العادات الشعبية في الأعياد الصينية

العادات الشعبية في الأعياد الصينية

تأليف : تشي شينغ

دار النشر باللغات الاجنبية بكين

الطبعة الاولى ...... عام ١٩٩٠

رسم : يانغ قوانغ هوا

٢٤ شارع باى وان تشوانغ
بكين ـ الصين
الرمز البريدى ١٠٠٠٣٧

ISBN 7—119—00887—0

طبع فى جمهورية الصين الشعبية

مقدمة

لأى واحد بل لكل واحد من الناس شيء من ذكريات الطفولة ، يتعلق بتلهفه على احتفالات عيد رأس السنة : فخلال عطلة رأس السنة فى الصين " تلعب البنات بالازهار ، بينما يلعب الاولاد بالمفرقعات النارية " ، وهناك كثير من المأكولات الشهية والملابس المتعددة الالوان . وهناك كذلك وقت من أكثر الاوقات روعة ، يمكن ان يستمتع به الجميع .

والصينيون ، على اختلاف اماكنهم ، لهم جميعا طرقهم المختلفة فى تسلية انفسهم فى الاعياد . فهم مثلا يقرعون الصنوج ، ويضربون الطبول ، ويؤدون رقصات الاسد ، ويعرضون فوانيس للتنين ، خلال عيد الربيع ؛ ويجدفون كذلك قوارب التنين فى عيد قارب التنين ، فى اليوم الخامس من الشهر القمرى الخامس : ويتمتعون بضوء القمر فى عيد منتصف الخريف ، فى الخامس عشر من الشهر القمرى الثامن ؛ ويتسلقون الجبال فى اليوم التاسع المزدوج ، اليوم التاسع من الشهر القمرى التاسع .

واحتفالات الاعياد لدى الاقليات القومية تشتمل على الغناء الحوارى ، والرقص تحت ضوء القمر ، واشعال المشاعل ، ورش المياه على

الناس ، ومصارعة الثيران ، واختطاف الاغنام ، وانتزاع وشاح الحرير الاحتفالى عن ظهر الحصان ، وسباق الخيل ، والمصارعة ، وألعاب مطاردة الفتيات للفتيان . انه فى الواقع لتنوع رائع من التسليات . وهذه الاعياد لها فى الغالب منشأ اسطورى ، يحار فى تفسيره الناس ، لكنه يبعث فى نفوسهم الامل والبهجة . لذلك ليس الاطفال وحدهم الذين يتشوقون للاحتفال بعيد رأس السنة او غيره من الاعياد ؛ فالكبار ايضا يشعرون بالسرور والبهجة فى هذه المناسبات ، ويلقون صعوبة فى كبح انفعالاتهم السارة .

منذ القديم اتخذ الصينيون اكثر من مئة نوع من التقاويم . واوسع هذه التقاويم انتشارا تقويم يانغ لى (التقويم الشمسى او الغريغورى) وتقويم ين لى (التقويم القمرى او الزراعى) . الاول يقسم الزمن الى اربعة فصول بحسب دوران الشمس ، والسنة الى ١٢ شهرا و٣٦٥ يوما ، وبمرور كل ثلاث سنوات تأتى الرابعة سنة كبيسة تعد ٣٦٦ يوما ، ويكون الشهر الثانى من تلك السنة (شباط / فبراير) ٢٩ يوما ؛ وتقويم يانغ لى يستخدم اليوم فى بلدان متعددة من العالم ، ومن ضمنها الصين .

اما تقويم ين لى فقد وضع ليكون وثيق الارتباط بالانتاج الزراعى ، لذلك يعرف ايضا بالتقويم الزراعى ، ويستخدم فى الصين منذ عهد اسرة شيا قبل ثلاثة الى اربعة آلاف سنة تقريبا .

ان مختلف الاعياد فى الصين تحسب عادة وفقا للتقويم القمرى . وقد تطورت عبر سنوات طويلة من التاريخ . وهذه الاعياد والعادات المتبعة فيها ذات ملامح وطنية قوية ، وتعتبر جزءا من الثقافة الوطنية

النفيسة . ولدى دراسة هذه العادات المتبعة فى الاعياد سنجد على الاقل حكاية او اكثر حول كل عيد فى الصين ، وهذه الحكايات زاخرة بذكريات الماضى حلوها ومرها . واذا عدنا الى الماضى نستطيع ان نفهم حاضرنا فهما افضل . ان النظر فى العادات الشعبية للاعياد التقليدية فى الصين شبيه بفتح نافذة على التاريخ والقاء لمحة على حياة اجدادنا وتلمس عواطفهم .

ويمكن للاعياد الصينية ان تصنف فى الفئات الاربع التالية :

١ — تلك التى تخلد ذكر حادثة تاريخية او شخصية تاريخية . فعيد قارب التنين فى اليوم الخامس من الشهر القمرى الخامس يقال مثلا انه يوم ذكرى الشاعر الوطنى العظيم تشيوى يوان . وعيد الصفاء والنقاء هو يوم ذكرى جيه تسى توى الذى كان مخلصا لملكه .

٢ — تلك المرتبطة بأسطورة او خرافة . فعيد تنين الربيع مثلا يقال انه اليوم الذى يرفع فيه التنين رأسه . والسابع المزدوج ذو خلفية اسطورية وخيالية ، تحكى قصة راعى البقر وفتاته النساجة .

٣ — تلك التى توارثتها الاجيال سنة بعد سنة ، وتطورت من طقوس عبادة الاسلاف والآلهة . فعيد "لابا" فى اليوم الثامن من الشهر القمرى الثانى عشر ، مثلا ، هو اليوم القريب من نهاية السنة القديمة وبداية السنة الجديدة ، والذى فيه تقدم القرابين للسماء والارض ولجميع الآلهة وللاسلاف معا ، والكلمة "لا" نفسها فيها معنى "معا" . وعيد "جيتشاو" يقال انه اليوم الذى يتم فيه تقديم القرابين لاله المطبخ بالسكر الدبق .

٤ — تلك التى تأتى فى نهاية السنة لتوديع القديمة وفى بداية

السنة للتهنئة بالجديدة ، تلك الاعياد التى يتوسل الناس فيها للفوز بحظ سعيد ، كعشية رأس السنة القمرية الجديدة وعيد الربيع .

والاقليات القومية فى الصين لها ايضا اعيادها الاستثنائية . فهناك اعياد التضرع للحصول على حصاد وافر او الاحتفال به ، مثل عيد وانغقوه فى التبت وعيد دوان لقومية شوى فى مقاطعة قويتشو وعيد الشعلة لقومية يى . وهناك اعياد يشترى الناس خلالها ويبيعون فى سوق موسمية ، وفيها كذلك كثير من الاطعمة والتسليات كسوق " نادام " للمنغوليين وسوق الشهر الثالث لقومية باى . وهنالك ايضا اعياد ذات خلفية دينية كعيد الفطر لدى قومية هوى المسلمة وعيد المفرقعات النارية لقومية دونغ . وترتبط بهذه الاعياد كثير من الحكايات الممتعة ، فبخصوص عيد رش الماء لدى قومية داى ، مثلا ، هناك اسطورة تحكى ان اميرا شريرا من الجن ، لم يكن يخشى شيئا . فالماء لا يمكن ان يغرقه ، والنار لا يمكن ان تحرقه ، والسيف او السهم لا يمكن ان يقتلاه . وكان له سبع زوجات فى جناح الحريم داخل قصره ، جاء بهن عنوة . وكانت الزوجة السابعة شديدة الدهاء . فاكتشفت ذات يوم بكل لباقة سر الموضع الذى يمكن ان يؤدى الى قتله . وفى احدى الليالى اقتلعت شعرة من رأسه وهو نائم ، وقطعت رأسه بها . فسقط رأسه ، واخذ يتدحرج على الارض ، مشعلا النار فى كل مكان يصله . وحين تدحرج الى النهر بدأ ماء النهر يغلى ، ومات السمك فى داخله . وعندما دفن تحول المكان كله الى بقعة متعفنة . لذلك اضطرت الزوجات السبع الى حمل الرأس بأيديهن بالتناوب ، كل واحدة تحمله يوما . وفى كل مرة يحدث فيها التبديل ،

ترش التي تتسلم الرأس بالماء . ويوم في السماء يعنى سنة على الارض . فمنذ ذلك الحين ، وفي ذلك اليوم من كل سنة ، يرش الناس الماء على بعضهم بعضا . لذا فان عيد رش الماء يخلد ذكرى بعض البطلات اللاتي ساعدن الناس على التخلص من الجان .

وعيد الشعلة لدى قومية يى ، مثلا ، مرتبط بقصة حول صراع الانسان ضد الطبيعة . تقول القصة انه في الماضي الغابر عاش اسلاف قومية يى عيشة راضية سعيدة في جبال ليانغشان . فحسدهم الملك السماوى ، وانزل عليهم ماردا يدوس لهم المزروعات . وحين احتج الاهالي وبحثوا الامر مع المارد ، قال في غطرسة : " حسنا ، سأعود الى السماء اذا نجح اى منكم في ان يصرعني ارضا . " فقبل التحدى شاب يدعى باو تسونغ . وبعد بضع جولات القى بالمارد ارضا . فثارت ثائرة الملك السماوى ، وانتزع حفنة من رماد البخور ، ونشرها فوق الحقول ، حيث تحولت ذرات هذا الرماد الى حشرات مؤذية شرعت تتلف المزروعات . لذلك اشعل ابناء قومية يى المشاعل لاحراق تلك الحشرات . ان معظم هذه القصص مسلية وممتعة ، الا ان بعضها خرافي ، وبعضها الآخر يصف عادات غير سليمة . ومع انتشار العلم والتقدم اللذين يمكناننا من فهم الطبيعة وترويضها ستستأصل الافكار الخرافية استئصالا نهائيا .

اذا نحن شبهنا العيد في ثقافتنا الوطنية بلؤلؤة تلتمع ، واذا قمنا بجمع هذه اللآلئ معا ، وضفرنا منها عقدا جميلا لقرائنا ، فسيكون ذلك عملا ذا مغزى عميق حقا . ان هذا الكتاب يقدم مع التوضيحات ، وبطريقة منظمة ، اصول معظم الاعياد التقليدية الهامة لدى قومية

الهان والاقليات القومية فى الصين ؛ كما يقدم بيانا بتطورها ، ويصف العادات السارة جدا التى تمارس فى تلك الاعياد . وسنسر حقا اذا وجد قراؤنا هذا الكتاب غنيا بالمعلومات ومفيدا فى فهم الصين اكثر فأكثر ، صين الامس وصين اليوم .

الفهرس

العادات الشعبية فى الاعياد الرئيسية لقومية هان

١ ـ تشون جيه (عيد الربيع)

اصل "نيان"

ان عيد الربيع ، رأس السنة القمرية ، هو اهم واكبر عيد للأمة الصينية .

لماذا يدعى عيد الربيع ايضا : نيان او شين نيان (السنة الجديدة) ؟ ان المقطع الصينى نيان من حيث فقه اللغة هو الطريقة المبكرة لكتابة المقطع رن الذى يعنى الحصاد . وفى المعاجم القديمة وضع المقطع نيان تحت قسم (الارز) لأن نيان تفيد معنى حصاد وافر . ومصطلح عيد الربيع ، تشون جيه ، استخدام حديث . ومنذ آلاف السنين والتقويم الزراعى (القمرى) هو التقويم الوحيد المستخدم ن الصين ، علما انها ادخلت اصلاحات كثيرة على نظامها التقويمى . فحين يتكلم الناس فى الصين عن رأس السنة ، انما يعنون رأس السنة القمرية . وبعد ثورة ١٩١١ التى وضعت حدا ، والى الابد ، للحكم الامبراطورى فى هذه البلاد اصبح التقويم للغريغورى هو المستخدم رسميا . ولتمييز

نيان (السنة الجديدة) وفقا للتقويم الغريغورى عن السنة الجديدة وفقا للتقويم القمرى ، بدأ الناس يدعون الاخيرة عيد الربيع ، ذلك لأنها تبدأ قبل او بعد لى تشون (بداية الربيع) . وهناك سبب ما جعل الناس فى الزمن القديم يبدأون السنة فى الجو البارد . ذلك لأنه الوقت الذى يلى "حصاد الخريف والتخزين للشتاء" ، ولأنه الوقت الذى يسبق "حراثة الربيع وازالة الاعشاب فى الصيف" . انه موسم الركود فى الزراعة ، انه وقت الاسترخاء والاحتفالات بعد سنة من الكد والتعب ، وقت اعادة النظر الى الماضى والتطلع بلهفة الى الايام القادمة ، وقت التمتع باستراحة طويلة قبل الانطلاق الى الحقول واستئناف العمل من جديد .

"وسط صوت المفرقعات النارية تعبر سنة"

ان الشاعر وانغ آن شى من اسرة سونغ يقدم فى قصيدة له بعنوان « اليوم الاول من السنة » تصويرا حيا لمشاهد الفرح فى احتفالات رأس السنة فى زمنه . تقول القصيدة :

وسط صوت المفرقعات النارية تعبر سنة ،
ومع الربيع يهب النسيم لينفح بالدفء خمرة "توسو" . *
بينما تداعب شمس الصباح بوابة كل بيت
لا بد ان تستبدل بصور اله الباب القديمة تعويذات خشب الدراق الجديدة .

* نوع من خمر الاعشاب يشرب فى عيد رأس السنة . وقيل انه شراب يطرد الارواح الشريرة .

ان اطلاق المفرقعات النارية والصاق صور الهى الباب ومقطع شعرى على البوابات كما ورد فى القصيدة من اكثر العادات شيوعا فى الصين القديمة خلال احتفالات رأس السنة .

لقد تحدرت الينا عادة اطلاق المفرقعات النارية من الماضى السحيق ، يوم كانت تشعل جذوع البامبو . فجذوع البامبو مجوفة ولها عقد . وعندما تشعل يتمدد الهواء فى داخلها بفعل الحرارة . وتتفجر هذه الجذوع محدثة فرقعة . وفيما بعد حشا الناس هذه الجذوع بالبارود ، مخترعين بذلك باوتشو (البامبو المتفجر) او المفرقعات النارية . وبعد ذلك ايضا استبدلت بجذوع البامبو لفائف ورقية اسطوانية . ومع اقتراب اواخر عهد اسرة تشينغ أصبحت فى الصين معامل خاصة تصنع كافة انواع المفرقعات النارية .

فى البداية اطلق الناس المفرقعات النارية بهدف " تجنب الارواح الشريرة وطرد الاشباح واخماد الشياطين والتماس السعادة . " فهناك اسطورة تقول انه كان فى باطن الجبال حيوان غريب يصعب وصفه ، له جسم كجسم الانسان ، وهو فى غاية التوحش . وفى نهاية كل سنة يخرج ليقتل الناس والحيوانات . ولكنه يخاف من الضوء والضجيج . فكلما سمع ضجة المفرقعات النارية ، ذعر اشد الذعر وولى هاربا يسابق الريح . لذلك عند بداية ونهاية كل سنة ، حيث يعتقد ان الوحش يحاول الظهور ، يستأنف الناس اطلاق المفرقعات النارية اتقاء لشره .

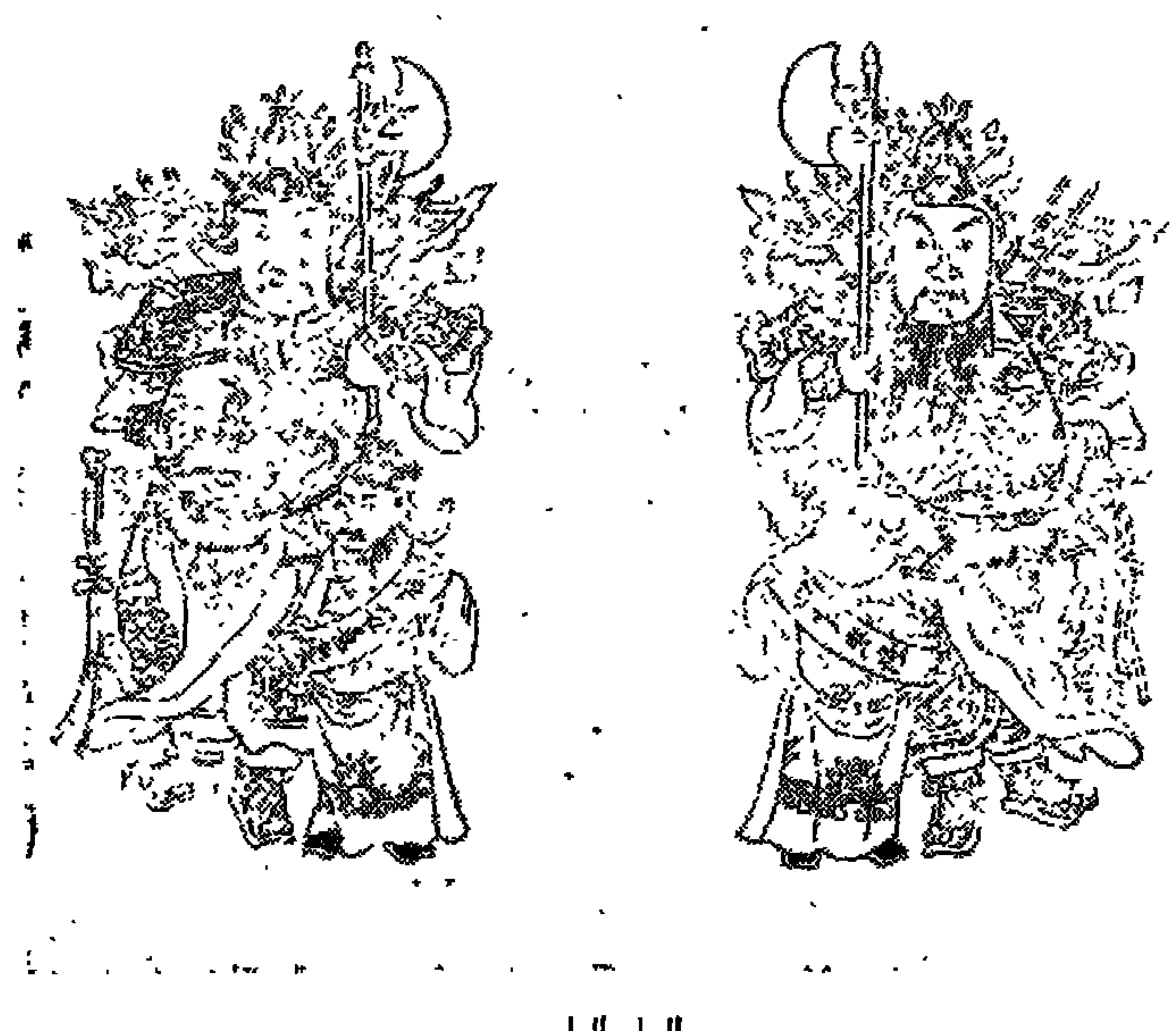
وفى كتاب بعنوان « ديجينغ سويشى جيشنغ» (الايام الرائعة لرأس السنة فى العاصمة الامبراطورية) يقدم المؤلف وصفا دقيقا لكيفية

قيام اهالى بكين فى عهد اسرة تشينغ باطلاق المفرقعات النارية فى اليوم الاول من السنة . لقد كتب يقول : " ان ضجة المفرقعات النارية الشبيهة بهدير الامواج وهزيم الرعد تسمع خارج القصر ، لقد استمرت طوال الليل دون توقف . " لقد احيت المفرقعات النارية فى الواقع عطلة رأس السنة جالبة البهجة العظيمة للناس عامة والأطفال خاصة .

" اللافتات الربيعية تزين الابواب "

خلال عيد الربيع يعلق الاهالى تعويذات خشب الدراق على بوابات بيوتهم ، او يلصقون عليها صورا لالهى الباب ومقاطع شعرية باللون الاحمر البراق . وهذه تجعل البيوت فى كل مكان تبدو بهيجة رائعة .

ان الصاق صور الهى الباب فى عيد الربيع عادة تقليدية منذ القديم . وهناك كثير من الحكايات الشعبية عن الهى الباب ، ومن الصعب القطع بماهية هذين الالهين . فبعض المصادر تقول انهما تشين تشيونغ ويوى تشى قونغ . ولقد قيل انه حين مرض لى شى مين او الامبراطور تاى تسونغ من اسرة تانغ ، سمع الاشباح فى منامه تولول . وفى الصباح اخبر موظفى البلاط بحلمه . فقام تشين تشيونغ ويوى تشى قونغ ، وهما جنرالان أسهما فى تأسيس امبراطورية تانغ ، بلبس درعيهما . وامسك الاول صولجانا ، وامسك الآخر قضيبا حديديا ، ووقفا يحرسان طوال الليل على باب حجرة الامبراطور . وبعدها لم يعد الامبراطور يحلم بالاشباح . ولضمان السلامة فى الليل وعدم ازعاج الجنرالين بحراسة الامبراطور ليلة بعد ليلة ، طلب الامبراطور من احد



الها الباب

الرسامين ان يرسم صورة لهذين الجنرالين على قطعة من الورق ، ثم امر بتعليقها على مدخل القصر كأنهما " الها الباب" وعندما انتشر خبر هذه الحادثة تحمس عامة الناس لتعليق صور الهى الباب على ابواب بيوتهم بهدف طرد الارواح الشريرة .

والصاق صور رأس السنة فن شعبى خاص باحتفالات رأس السنة باستثناء الصاق صور الهى الباب . وموضوعات هذه الصور تتضمن

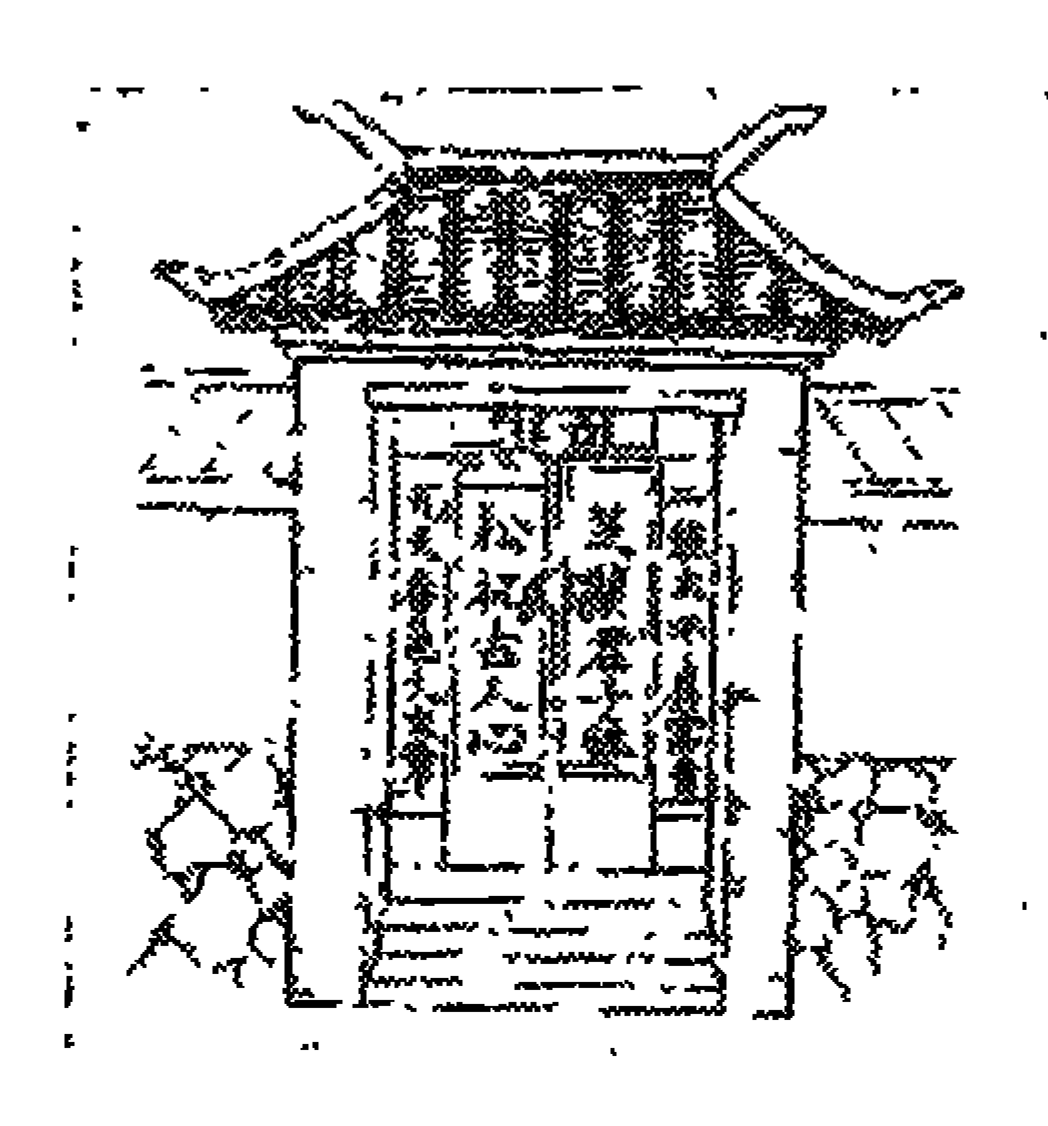
الحصاد الوافر للانواع الرئيـ ـية الخمسة : الحبوب واليمن المتوفر والاطفال السمان والازهار والطيور . والمناطق المشهورة تاريخيا بهذه الصور هى يانغليوتشينغ فى تيانجين وويفانغ فى مقاطعة شاندونغ وتاوهواوو فى سوتشو وميانتشو فى مقاطعة سيتشوان ووتشيانغ فى مقاطعة خبى وفوشان فى مقاطعة قوانغدونغ . وقد اشتهرت يانغليوتشينغ مرة بأنها المكان الذى " تعرف كل اسرة فيه كيف تستخدم الالوان فى الصور ، وان كل اسرة فيه تجيد الرسم " . واليوم ينتج فى الصين اكثر من مئة مليون صورة كل سنة .

وتشون ليان (اشعار الربيع) عبارة عن مقطع شعرى يعلق على



رسوم رأس السنة

البوابات خلال عيد الربيع . ويتضمن كلمات ميمونة مثل : " افضل الاشياء وكنوز السماء ورجل بارز الشخصية ومكان الخير." " ايام السلام ، سنة فى الداخل ، وسنة فى الخارج ، ربيع الحظ السعيد ، هذه السنة وكل سنة . "



اللافتات الربيعية

لقد نشأت اشعار الربيع فى الاصل من " تعويذات خشب الدراق " فى الزمن الماضى . وفى عهد الربيع والخريف وفترات الممالك المتحاربة كانت هناك تسجيلات تقول ان "كل أسرة لديها تعويذات من خشب الدراق معلقة على البوابة . " وهى عبارة عن لوحات مستطيلة الشكل مصنوعة من خشب الدراق . وفى موسم رأس السنة كتبت تعاويذ سحرية على هذه اللوحات وثبتت على البوابات لطرد الارواح الشريرة والتماس البركة . كما اريد منها ايضا ان تذهب بالقديم وتأتى بالجديد . وكان الملك منغ تشانغ (٩٣٤ — ٩٦٥ م) من دولة شو الاخيرة فى عهد الاسر الخمس والممالك العشر هو اول من كتب اشعار الربيع على لوحات خشب الدراق ؛ وقد ورد هذا فى كتاب « ملحمة شو فى تاريخ اسرة سونغ » . فقد قيل ان الملك منغ تشانغ "كان يطلب عشية كل رأس سنة من موظفه المسؤول عن الثقافة ان ينظم بيتا من الشعر ويكتبه على لوحات خشب الدراق لتثبت على جانبى باب حجرة نومه " . وحدث مرة ان البيت الذى ألفه الموظف لم يحظ بموافقته ،

فتناول ريشة ، وكتب المقطع الشعرى التالى :

سنة جديدة نرجو ان تقبل علينا بالخير العميم ،
عيد رائع نرجو ان يوافينا بربيع خالد .

وهذا ربما كان اول مقطع شعرى يكتب .

وفى عهد اسرة سونغ استخدم الورق بدلا من خشب الدراق لكتابة اشعار الربيع . وبعد ذلك اصبح رجال الأدب فى الاكاديمية الامبراطورية يرغبون فى كتابة ملاحظات ، ثم يعلقونها قريبا من بوابات القصر الامبراطورى . ومع حلول عهد اسرة مينغ ، وبتشجيع من الامبراطور تاى تسو (تشو يوان تشانغ) ، اصبحت اشعار عيد الربيع شائعة . وحين حلت سنة اخرى جديدة بعد جعل نانجينغ عاصمته ، اصدر مرسوما امبراطوريا يطلب فيه من جميع الموظفين والادباء وعامة الناس ان يعلقوا بيتين من الشعر على بوابات بيوتهم . وخلال سفره متنكرا رأى اشعار الربيع الملونة هذه ، فسره ذلك . ثم مر ببيت لم يعلق على بوابته شيء . وتبين له حالا ان الرجل الذى يسكن هذا البيت يمتهن خصى الخنازير ، وانه يبحث عمن يكتب له بيتى الشعر بدلا منه . فأخرج الامبراطور ريشته عن طيب نفس وكتب له على الفور بيتين من الشعر الربيعى :

استخدم كلتا يديك لشق الطريق الى الحياة والموت ،
ولوح بالسكين لتقطع بها وتستأصل جذر الشر والازعاج .

وهذه العادة القديمة ما تزال متبعة الى يومنا هذا ، ولكن مع اختلاف الزمن تغير مضمون تلك الاشعار تغيرا تاما عما كان عليه فى

الماضى . فالاشعار اليوم اما ان تصف ازدهار البناء الوطنى ، او تتغنى بامتداح المشاهد الرائعة لطبيعة البلاد ، او تعبر عن آمال الشعب بمستقبل افضل .

المأكولات الشهية فى رأس السنة

ان الشعب الصينى شعب كادح ومقتصد بطبيعته ، يعيش حياة بسيطة . ولكنه يتناول كمية لا بأس بها من المأكولات الجيدة خلال ايام عيد الربيع . وكتاب « الايام الرائعة لعيد رأس السنة فى العاصمة الامبراطورية » اورد قائمة بجميع الاطعمة التى كان سكان بكين فى عهد اسرة تشينغ يتناولونها خلال رأس السنة الصينية . " هناك فاكهة مشرحة تقدم مع الشاى بالاضافة الى اطباق ساخنة متنوعة على العشاء . وبالنسبة للاطعمة الخفيفة الساخنة هناك اللفائف الاسطوانية المقلية بدهن الاوز ، والكعك المحلى المنضج على البخار المحشو بلحم الخنزير المفروم وكعك الارز اللزج وكعك دقيق الدخن اللزج . وبالنسبة للاطباق الرئيسية التى تقدم مع الخمر هناك الدجاج المملح ولحم الخنزير المقدد ولحم الاوز المنقوع فى الخمر والسمك المجفف ولحم التدرج ولحم الغزال المجفف ولحم صدر الارنب ، هذا الى جانب جميع انواع الفاكهة والجوز ، كجوز الصنوبر والبندق وبذور اللوطس والجوز العادى ، والدراق والمشمش وبذور البطيخ والكستناء والتمر وعين التنين المجفف وهلام الزعرور والعنب وبذور الرمان والكمثرى والتفاح والبرتقال واليوسفى والقطلب . وهناك ايضا المأكولات البحرية ، واطباق تعد فى المنزل واطعمة جاهزة تشترى من الاسواق . "

والصيد البحرى النادر والمأكولات البحرية ، مما ورد فى القائمة ، كأنها بالطبع ابعد بكثير عن متناول البيوت العادية . ولكن هذه القائمة الطويلة لم تشمل بالتأكيد جميع الاطعمة التى يتم تناولها فى عيد الربيع . ففى شمالى الصين كان الطعام الاكثر شيوعا فى عيد الربيع هو الجاوزه يستمتع به الاغنياء والفقراء على السواء . وهذا الطعام يؤكل فى اليوم الثلاثين من الشهر القمرى الثانى عشر واليوم الذى يليه ، اليوم الاول من الشهر القمرى الاول . وكانت الجاوزه تعرف فى الايام الخالية باسم " بيان شى" اى طعام ثابت الشكل . و« تشينغ باى ليه تشاو» (الملاحظات العشوائية التى جمعها الناس فى عهد اسرة تشينغ) فيها فقرة تقول : " نوع من المأكولات يصنع اما من الدقيق او من مسحوق الارز محشو من الداخل . والمنضج على البخار منه يدعى تانغميان جياو (الدقيق الساخن) ، بينما الذى يغلى فى الماء يدعى "شوى جياو" . والناس فى هذه البلاد يعتبرون هذا الطعام طبقهم المفضل منذ القديم . ولعل هذا يرجع الى انه طعام يجمع بين المادة الاساسية (الطحين) وغير الاساسية (اللحم والخضار فى داخلها) ، وانه سهل الاعداد لذيذ الطعم . وقد يصنع شبيها بيوان باو (قالب ذهبى او فضى على شكل حذاء يستخدم نقودا فى الصين القديمة) يعتقد انه يبشر بالحظ السعيد ، والزلابية يمكن ان تحشى بالسكر (ايحاء بحياة حلوة عذبة) وبالعملة (ايحاء بوفرة النقود لانفاقها خلال السنة) وبالفول السودانى المعروف بجوز العمر المديد فى اللغة الصينية (ايحاء بحياة طويلة) او بالتمر والكستناء (وكل من كلمة التمر و" باكرا" تلفظان فى الصينية "تساو" ، و"لى تسي" وتعني اما حبة كستناء

او قدوم مولود) (والجمع بين تساو ولى تسى يوحى بقدوم مولود فى وقت قريب جدا) .

وفى جنوب الصين يغسل الارز عدة ايام قبل رأس السنة ، ويدعى وان نيان ليانغ (حبوب لعشرة آلاف سنة) وهذا يوحى بأن كل سنة سيتوفر فيها حبوب غذائية للادخار . والاطباق على مائدة العشاء تحتوى عادة الدجاج والبط والسمك واللحم . والمعجنات التى تستهلك فى الجنوب خلال عيد رأس السنة اكثر تنوعا من تلك التى فى الشمال . فنيان قاو (كعكة رأس السنة) مأكول ضرورى ، وكلما اشتدت لزوجتها كان ذلك افضل ، لأن كلمتى "كعكة لزجة" تلفظان تماما مثل نيان قاو ، ولذلك فان كعكة رأس السنة اللزجة يمكن ان تترجم الى " الارتفاع عاليا كل سنة ." وفى قوانغتشو وما يجاورها يقدم الاهالى لضيوفهم خلال رأس السنة علبة من الكعك من جميع الانواع ، ويأكلون المعجنات المنضجة على البخار والكعك المقلى المثلث الشكل والكعك المنضج على البخار وكعك اللفت والكعك التساعى الطبقات . وفى هوايآن بمقاطعة جيانغسو يتناول الاهالى حساء بذور اللوطس وحساء التمر ، وكلاهما مع السكر وبذور البطيخ والتمر والكعك قبل الوجبات . وهم يحرصون على ترديد كلمة التبرك " تيان تيان مى مى" (حياة حلوة مثل الشهد) عندما يتناولون السكر ، وكلمة " بو بو دنغ قاو" (الارتقاء خطوة فخطوة) عندما يأكلون الفطائر ، او يرددون كلمة " تساو شنغ قوى تسى" (ليكن لك ابن رائع فى وقت قريب) ؛ وذلك عندما يأكلون البلح (تساو تسى بالصينية) . وفى شاوشينغ بمقاطعة تشجيانغ يشرب الناس الشاي فى رأس السنة

الجديدة ، ويتناولون معه الزيتون مع البرتقال الذهبي . وفى فطور ذلك اليوم تقدم الفطائر الكروية رمزا لالتئام الشمل . وفى ذلك اليوم يأكل المعمرون الخضروات بدلا من اللحم او الاسماك .

الاحتفالات فى عيد الربيع

والسهر عشية عيد الربيع الى ساعة متأخرة او طوال الليل مع الصلاة من اجل السلام فى السنة القادمة عادة شعبية . ففى تلك الليلة تتلألأ كل البيوت بالانوار أملا فى ان يضطر الضوء الباهر كل ما يختبئ فى الزوايا والاركان مما يجلب الحظ العاثر للناس الى الهرب والاختفاء . وفى بعض الاماكن يشعل الناس عند الفجر المشاعل من فروع اشجار الصنوبر او اعواد القصب او البامبو ، وذلك لاضاءة البيوت من داخلها وخارجها على السواء ، وهى ممارسة يطلق عليها تينغ لياو ، وتعنى " نارا فى الساحة . "

يكون منتصف الليل او الثانية عشرة بالضبط ايذانا ببدء السنة الجديدة . وفى الايام الخالية كان اول ما يفعله الناس فى " يوان دان " (بمعنى الصباح الاول) هو اشعال المفرقعات النارية وحرق البخور والترحيب بعودة الآلهة (الذين يفترض انهم غادروا الى السماء فى نهاية العام السابق) ، وتقديم آيات الاحترام والقرابين والاضاحى الى الاسلاف ، وفى ذلك اليوم يرتدى الجميع رجالا ونساء ، صغارا وكبارا الملابس الجديدة ، ويزورون الاقارب والاصدقاء لتبادل التحيات بالانحناء ورفع اليدين مقبوضتين الى الامام قائلين عبارات طيبة من مثل : " قونغ شى (تهنئات) ! وأتمنى لك الافضل من كل شيء

فى السنة الجديدة . " و" سعادة اعظم وحياة مديدة " ، و" أتمنى لك سعادة شاسعة مثل البحر الشرقى وحياة دائمة مثل الجبل الجنوبى . " وعندما يقدم ابناء الاجيال الاحدث سنا تحياتهم الى ذويهم الكبار ، يعطيهم هؤلاء نقودا ملفوفة فى ورق احمر يطلق عليها " يا سوى تشيان " (نقود يحتفظ بها للعام الجديد) : والاطفال الذين يرتدون ملابس جديدة واحذية جديدة وقبعات جديدة وفى جيوبهم " يا سوى تشيان " هم احرار فى شراء ما يولعون به ايا ما كان ، فاكهة او حلويات او مفرقعات نارية ، وفى الاسترسال فى متعهم حتى تنشرح صدورهم ، غير آبهين لكل تلك النواهى التى ألفوا الالتزام بوضعها فى قرارة انفسهم . اما الكبار فلا يفعلون شيئا فى ذلك اليوم سوى الجلوس معا فى استرخاء وتجاذب اطراف الحديث دونما تطرق بالطبع الى موضوعات غير بهيجة .

فى اليوم الثانى يجرى بعد الافطار تبادل الزيارات بين الاصدقاء والاقارب الذين يتهادون فيما بينهم هدايا من كعك رأس السنة الجديدة وثمار البرتقال واليوسفى والحلويات المسكرة المقرقشة (التى تجرش بالاسنان) . ويقدم المضيف لضيوفه الشاى اولا ثم السجائر : وبعد تبادل بعض العبارات التمهيدية القصيرة يستأذن الضيوف فى المغادرة لزيارة سائر الاصدقاء والاقارب . ويذهب بعض الناس الى المعبد الخاص بعشيرتهم حيث يقدم الطعام والخمر ، ويلعبون الالعاب ، ويتحدثون وهو ما يعرف باسم " توان نيان " ، ويعنى ان افراد العشيرة يجتمعون معا من اجل التئام الشمل ، والاحتفال بالسنة الجديدة معا .

يعرف اليوم الثالث باسم " يوم تسريح الفقر " : وفى ذلك اليوم

لن تكون هناك زيارات متبادلة ، بل يبقى الناس فى بيوتهم يكنسونها وينظفونها من النفيات والاوراق المهملة وما الى ذلك مما لا غناء فيه ، حيث يؤخذ الى ساحة مكشوفة ليكون طعاما للنيران . وفى تلك اللحظة الحاسمة عليهم ان يحرقوا البخور ويوقدوا الشموع ويطلقوا المفرقعات النارية ، ويسجدوا وينحنوا مشتبكى الايدى بغية تطهير البيت من كل شيء خبيث ، وتسريح الفقر منه للسماح للثروة والسعادة بالدخول .

أما اليوم الرابع فهو اليوم الذى تذهب فيه النساء لرؤية آبائهن . ويغادرن بيوتهن فى ذلك اليوم مرتديات ثيابا جديدة ، وحاملات الهدايا ومصطحبات اطفالهن فى مجموعات من ثلاث نساء او خمس ، يتبادلن الحديث وهن فى طريقهن على الدروب الضيقة فى الريف . ان هذا اليوم يجب ان يكون اسعد يوم فى السنة بقدر ما يتعلق الامر بهن .

يقال ان اليوم الخامس هو اليوم الذى تتنزل فيه الآلهة من السماء الى العالم الارضى للقيام بجولة تفقدية . لذلك توضع امام تماثيلهم " الاضاحي الثلاث" (ذبائح الثيران والغنم والخنازير ، او الدجاج والسمك والخنازير) مع الفاكهة ، وينحنى الناس متعبدين سائلين آلهتهم البركات .

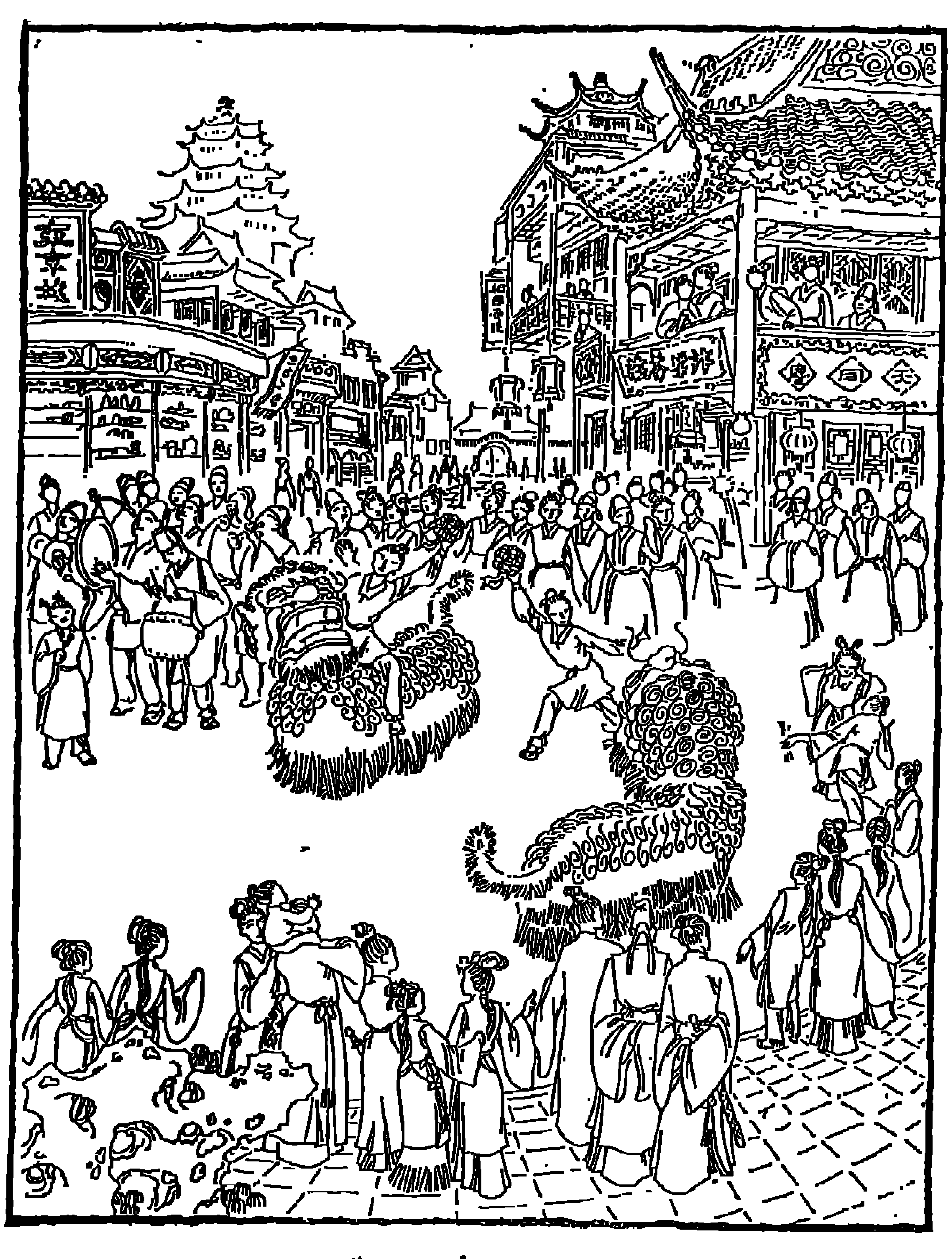
وعلى الجملة ففى كل يوم بدءا من عشية رأس السنة الجديدة وحتى الخامس عشر من الشهر الاول ، عيد الفوانيس ، هناك يوميا نوع من الاحتفالات . وفى الايام الخالية كانت المعتقدات الخرافية هى الدافع وراء معظم هذه الممارسات المتعلقة بالعام الجديد ، وكان الناس يسرفون فى المقامرة ، ولكنهم مع تقدمهم على طريق التحضر

اخذوا يتخلون طواعية شيئا فشيئا عن عاداتهم الفاسدة .

المنافسة فى قرع الصنوج والطبول ورقصة الاسد

ان اداء رقصات الاسد والدخول فى منافسات قرع الصنوج والطبول هما من الاحداث الكبيرة فى احتفالات رأس السنة الجديدة ، وخصوصا فى ريف الجنوب . وتظل اصوات الطبول والصنوج تتردد هنا وهناك طوال النهار خلال هذا الموسم وحتى اليوم الخامس عشر من الشهر الاول . وهذه المنافسات هى جزء من احتفالات الترفيه الجماهيرية ؛ حيث تقوم كل قرية بايفاد فرقة مؤلفة من طبال وضارب بزوج من الصنوج وعدد من قارعى الصنوج (الجونج) بالعصا . ويقوم الطبال بدور قائد الفرقة ، بينما يؤدى الآخرون عزفهم على ايقاع ضربات طبله . وحينما يصل العزف الى ذروته يقرع العازفون جميعا آلاتهم فى زخم واهتياج ، وتحاول كل فرقة ان تطغى على الاخرى فيما تحدثه من ضوضاء . وهكذا يجتاح صوت مبهم اشبه ما يكون بموجة زلزالية من امواج البحر او بصوت آلاف الافراس وهى تعدو فى وقت واحد ، خالقا فى الريف الذى طالما شمله الهدوء جوا من اكثر الاجواء اثارة وحياة .

اما رقصات الاسد فهى نشاط رياضى شعبى تقليدى . ومنذ اليوم الرابع من السنة الجديدة حتى الخامس عشر من شهرها الاول تأخذ فرق رقصة الاسد التى تتألف كل منها مما يتراوح بين سبعة الى عشرة اشخاص فى التجول من قرية الى قرية ، مرتدين نفس النوع من الحلل والسراويلات والاحذية والقلانس ، متمنطقين بحزام حول



رقصات الاسد فى عيد الربيع

خصورهم ، رافعين السيوف والهراوات ليلقوا فى روع الناس انطباعا من المهابة والفخامة . اما رأس الاسد فتصنع من الورق فى شكل تقليدى على صورة رأس القط او الديك او الاسد الذى يصارع الثور . ويكون رأس الاسد كاملا بما رسم عليه من العينين والانف والفم وبداخله اللسان ، وبما زين به من اجراس تصلصل فوق الشراريب . اما جسم الاسد فعبارة عن قطعة متباينة الالوان من القماش . ويؤدى الرقصة لاعب يحمل رأس الاسد بكلتا يديه ، وآخر ينحنى الى اسفل محدبا ظهره مع ذيل الاسد ، وهما يقلدان الايماءات والحركات التى يأتيها الاسد بمصاحبة ايقاعات الطبول والصنوج . ويتنكر لاعبان آخران فى هيئة القرود ، ولاعبان فى هيئة البهلوانات . ويجرى ذلك كله بطريقة شديدة الاحكام ، ولكن مثيرة للمرح والفكاهة . ومن الرقصات الشائعة فى هذا المضمار رقصة الاسد وهو يلعب بالكرة ، ورقصة المجالد الذى يستثير حفيظة الاسد ، ورقصة الاسود ، ورقصة الاسد مع اشباله .

وثمة انشطة ترفيهية جيدة اخرى خلال عيد الربيع من مثل السير على الركائز الخشبية ، وعرض فانوس التنين ، والتجديف بالقوارب البرية ، وامتطاء احصنة البامبو . وفى كثير من الاماكن تقام المنصات المسرحية التى تعرض عليها اعمال من التراث التقليدى مثل : " القرد يقهر الحورية ذات العظام البيضاء " ، وهى مقتبسة من الرواية الكلاسيكية " الرحلة الى الغرب " ، ومثل " حكاية الافعى البيضاء " المبنية على قصة شعبية ذائعة الانتشار .

سوق تشانغديان فى بكين وسوق الازهار فى قوانغتشو

ان عقد الاسواق تقليد اكتسب رسوخه ومكانته فى الصين على مر الزمن كأداة لعقد الروابط الاقتصادية بين المدينة والريف وتنشيط التجارة . والاسواق المحلية بملامحها القومية الزاهية تزيد من جو الاحتفال ، لذا تتناثر الاسواق فى شتى انحاء الصين خلال عيد الربيع . ونخص بالذكر هنا سوقين من نمط فريد ، احداهما فى الشمال ، والاخرى فى الجنوب : سوق تشانغديان فى بكين وسوق الازهار فى قوانغتشو .

ومنذ عهد يعود الى اسرة تشينغ اصبحت تشانغديان واحدة من اشهر اسواق البلاد على النطاق القومى ، وبدءا من اليوم الاول الى الخامس عشر من الشهر الاول تصطف اكشاك البيع على جوانب الشوارع ممتدة مسافة بضعة كيلومترات ، بينما تتركز الانشطة فى شارع ليوليتشانغ . وتقدم فى السوق عروض الاوبرا والعروض الاكروباتية، وتباع كل انواع السلع بدءا من الكتب والرسوم والتحف الى ما لا حصر له من اللوازم اليومية واللعب والمرطبات الخفيفة ذات النكهة المحلية وفواكه الموسم . ويستطيع ارباب القلم والثقافة والاغنياء ان يبحثوا هناك عن بغيتهم من الاحجار الكريمة والاختام البرونزية والنقوش المحفورة والتحف القديمة والمجوهرات والطرائف . اما الآخرون فيستطيعون دائما ان يجدوا الاشياء ذات الاستخدام اليومى التى يريدونها . بينما السوق فى حقيقة الامر بالنسبة للاطفال جنة يجدون فيها الاعواد المغروسة بثمار الزعرور البرى المغطاة بالسكر ، او يشترون منها طيارات ورقية فاخرة جدا ، او دواليب الهواء الورقية التي يلوحون بها

وهم يغنون فتدور بحركة الايدى والهواء . والناس فى السوق يتحركون كتفا لكتف فى تيار لانهائى ، بينما كبار السن يلقون المساعدة من ذويهم ، والآباء يأخذون بأيدى صغارهم . وتعطى « زيارة لتشانغديان » التى كتبت فى عهد تشينغ وصفا نابضا بالحياة لما يعج به ذلك المكان من صخب فى ذلك الوقت فتقول : " ان المكان يكون خاليا فى الاوقات الاخرى ونادرا ما تلمح شبح انسان على مدى البصر ، ولكن فى الشهر الاول من السنة القمرية يأتى الرجال والنساء من كل انحاء المدينة لزيارة هذا المكان ، بعضهم بالعربات ، وآخرون يأتون يدا بيد فى تدفق دائم . " وكان الاديب الصينى العظيم المعاصر لو شيون يأتى الى تشانغديان فى كل عيد للربيع اثناء اقامته فى بكين . وفى احدى السنوات زار هذا المكان سبع مرات خلال اسبوعين (كما روى فى يومياته) .

سوق الازهار فى قوانغتشو هى سوق اخرى من اسواق الربيع ذات شهرة عريضة ، وهى تنعقد طبقا للتقليد القديم مدة ثلاثة ايام بلياليها قبل اليوم الاول من الشهر الاول ، وتنفض فى الساعة الثانية والنصف من الصباح الباكر لرأس السنة الجديدة .

تتمتع قوانغتشو التى تقع جنوب سلاسل الجبال الخمس بجو لطيف ، وتتوفر الازهار بها فى جميع الفصول . وخلال عيد الربيع تتدفق على المدينة فى مثل موجة عارمة الازهار المستنبتة فى المحافظات التسع القائمة على ضفتى نهر اللؤلؤ وفى ضواحى قوانغتشو ايضا . ومن الناحية الفعلية تغرق كل الشوارع الرئيسية والفرعية فى قوانغتشو فى بحر من الازهار . وغالبا ما يستخدم الناس فى وصف فخامة السوق قولهم :

" شارع مزهر طوله خمسة كيلومترات . "

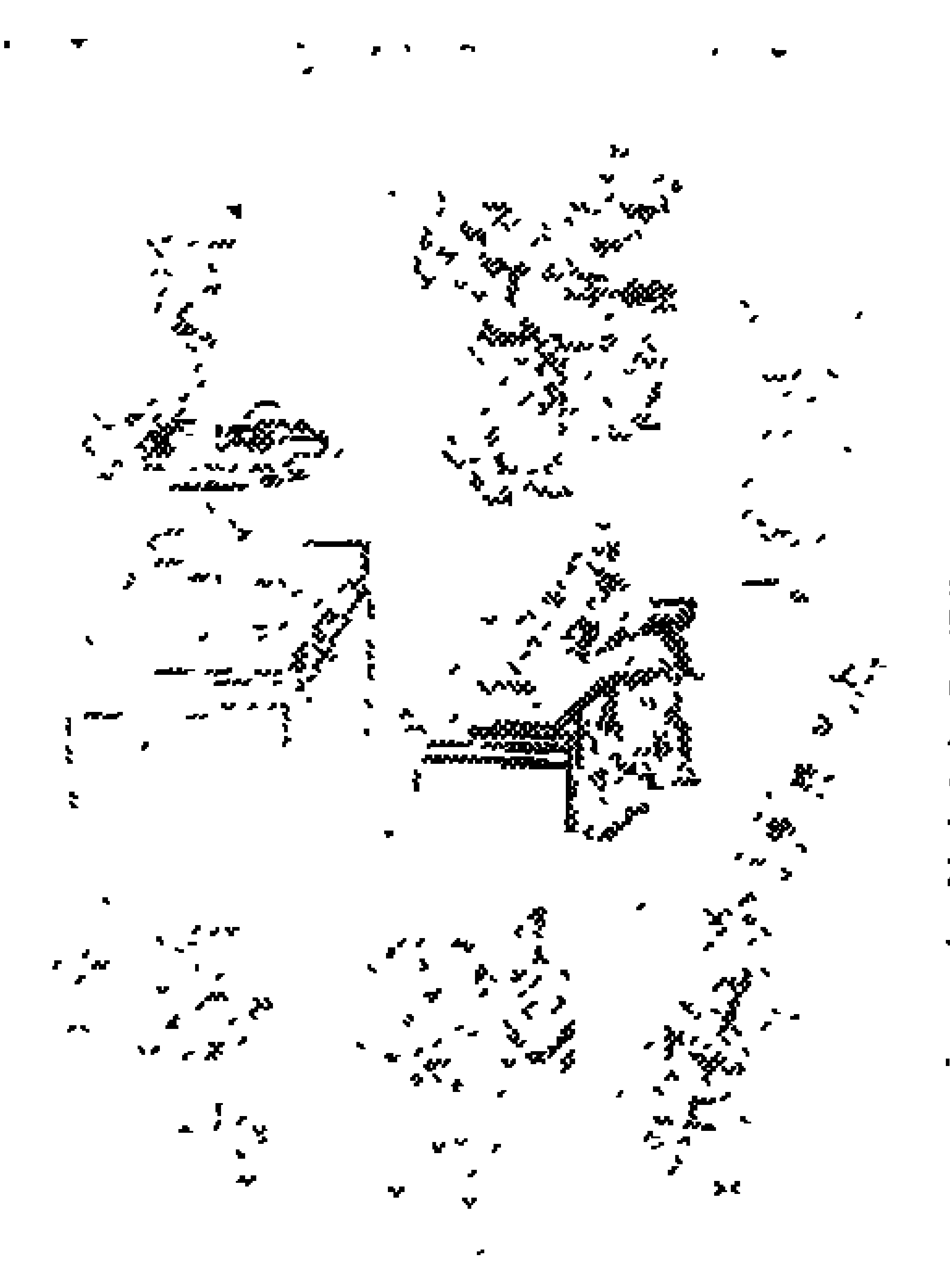
وفى السوق تتهيأ للناس كافة انواع الازهار ليختاروا منها ما يشاؤون ، بما فى ذلك ازهار الخوخ البهيجة الالوان ، والاقاحى الانيقة التى لا تشوب لونها شائبة ، وازهار النرجس والبرتقال الذهبى الجميلة والتى تعد رمزا للحظ السعيد . ووسط بحر الازهار هذا يستطيع المرء ان يلقى نظرة على فوانيس القصر المشهورة من فوشان ، وان يستمع الى الموسيقى الكانتونية (نسبة الى مقاطعة قوانغدونغ) الخفيفة — وانه لاحتفال فنى فخم بالعيد يتأبى على النسيان .

عيد الربيع فى القصور الامبراطورية

كان اباطرة اسرتى مينغ وتشينغ يعلقون اهمية بالغة على عيد الربيع ، ويحيونه بشعائر اكثر تعقيدا .

وكان اباطرة اسرة مينغ يتلقون التهانى من موظفى بلاطهم فى اليوم الاول من الشهر الاول . وقبل ذلك بيوم ينصب عرش امبراطورى فى قاعة " فنغ تيان " (الحكم بارادة السماء) . ولدى بزوغ النهار يصطف الحرس الامبراطورى فى ساحته على الطريق الذى يجتازه الامبراطور . وخارج بوابة فنغ تيان يرفرف ما لا حصر له من الاعلام المختلفة . وعلى جانبى الساحة بدءا من الدرجات الحجرية التى تقود الى القاعة والى بوابة " وومن " (المدخل الرئيسى للقصر) يقف الحرس يؤدون خدمتهم . ولدى اول ضربة على الطبل فى برج بوابة وومن يتجمع كبار موظفى البلاط والضباط العسكريون فى ملابسهم الرسمية . ولدى الضربة الثانية على الطبل يدخلون فى صفين من البوابتين

الجانبيتين ليقفوا على الجانبين الشرقى والغربى للدرجات . ولدى الضربة الثالثة يتخذ الامبراطور مجلسه على العرش مرتديا رداء التشريفات الملكى وواضعا التاج على رأسه ليتلقى تحيات موظفيه وقادته . وعلى ممثل للموظفين ان يقرأ بصوت عال رسالة تهنئة تتغنى بمناقب الامبراطور ، ويمكن ان تمضى الرسالة على النحو التالى : " خادمكم المتواضع .. (الى آخر هذه الديباجة) فى رأس السنة الجديدة هذه يظهر لكل شىء على الارض بداية جديدة ، واننا لذلك نتمنى لجلالتكم الامبراطورية بكل احترام الصحة الجدة . ولتتبارك جلالتكم ولتحكموا بارادة السماء مع الازدهار الابدى . " وقد يقول الامبراطور ردا على هذه التحية : " فلنحى رأس السنة الجديدة هذه معا . " وحينئذ يهتف رئيس المراسم : " ارفعوا الالواح" (ويعنى ذلك رفع الالواح العاجية للاحتفالات بكلتا اليدين عاليا) و" انحناء " و" تحية " . وفى هذه اللحظة الحاسمة يجب ان يظهر جميع الموظفين والقادة خضوعهم بضم اليدين الى الصدر واحداهما مقبوضة بالاخرى ، وهم يهتفون ثلاث مرات " وان سوى" (اى : عش عشرة آلاف عام) . وعلى جميع الضباط والرجال



البهلوانيون فى احتفال عيد الربيع داخل القصر فى اسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م)

الحاضرين ان يهتفوا ايضا فى صوت واحد " وان سوى" ثلاث مرات ؛ وحينذاك تبدأ الفرقة عزفها الموسيقى ، وتطلق المفرقعات النارية . وبعد ان ينسحب الامبراطور الى القصر الداخلى يبدأ موظفو البلاط فى الانسحاب واحدا اثر الآخر . وبهذا تنتهى طقوس الاحتفال برأس السنة الجديدة . وفى بعض الاحيان يعقب هذا الاحتفال اقامة مأدبة فخمة .

اما فى اسرة تشينغ فكان الامبراطور يقيم عشاء استقبال عشية السنة الجديدة فى " باوخه ديان " (قاعة الانسجام الدائم) يحضرها اساسا زعماء الاقليات القومية ، ومندوبون من الدول الاجنبية ، وكبار الموظفين من الدرجة الاولى والثانية . وكانت ادارة القصور الملكية تضع تسعين مائدة على كل جانب من جوانب القاعة وعليها الخمور واطباق الطعام . وكانت الارضية الى جانب الموائد تفرش بحصائر من الليف تكسوها ابسطة من اللباد . ويجلس الى كل مائدة اثنان متربعين على البساط . اما المائدتان اللتان امام عرش الامبراطور فتكونان مرتفعتين .

واولئك الذين يحضرون المأدبة يتخذون اماكنهم طبقا للترتيب السابق اعداده ، وبعد ان يتخذ الامبراطور مجلسه على العرش يخر الحاضرون جميعا على الارض ساجدين له قبل ان يتاح لهم اتخاذ مجالسهم فوق البساط المفروش على الارض . ويبدأ الامبراطور بارتشاف شيء من الخمر ، ثم يتبعه الباقون ، وخلال المأدبة تعزف الفرقة الملكية المقطوعة الموسيقية "كان الهدوء والسلام على الارض" . وبعد ان تنتهى هذه الموسيقى تليها عروض من آلات النفخ المنغولية ، واغان

من مناطق التبت وقومية هوى ورقصة السعادة . ويؤدى هذه الرقصة عشرة او نحوهم من النبلاء وحراس القصر ، يتحركون اثنين اثنين ، ترافقهم مجموعة من الحرس تغنى اغانى منشورية ، ومجموعة اخرى تصدر اصواتا ايقاعية من حك المنفضات بعيدان الاكل . ويعقب ذلك كله عروض اخرى خارج القاعة يستهل برنامجها بالرقص الطويل الذى يقدمه فرسان الرايات الثمانى (الوحدات العسكرية الادارية المنشورية) وهم يرتدون الدروع والاقنعة ، ويحملون الرماح والسهام ، والرايات التى بلون وحدتهم الخاصة فى الخلفية ، راكبين الجياد او سائرين على الركائز الخشبية ، حيث يعرضون رقصة القتال بين الدببة والنمور (هؤلاء فى الحقيقة رجال متنكرون) . وكان هناك ايضا رقصة البهلوان الكورية (تتكون فى الغالب من مجموعة شقلبات) ، والعرض المتنوع (ألعاب اكروباتية) لمنطقة قومية هوى وجينتشوان . وحين تنتهى العروض يصبح من حق الحاضرين ان يحملوا الى بيوتهم ما بقى على المائدة من طعام . فبعد ان يغادر الامبراطور يسمح للخدم بأن يأخذوا الفطائر والفواكه الباقية على الموائد ، وهو التقليد الذى يعرف باسم " انتزاع واستلاب اطايب المأدبة " والذى تصل به المأدبة الملكية الى نهايتها .

٢ ـ يوانشياو جيه (عيد الفوانيس)

نشأة عيد الفوانيس

ان اليوم الخامس عشر من الشهر القمري الاول هو عيد تقليدى

هام فى الصين . والكتب المألفة فى العصور القديمة تشير اليه باسم " شانغيوان " (الجزء العلوى من السنة) ، والى ليلة العيد باسم " يوان يه " (ليلة البدر الاول) او " يوانشياو" (المساء) . والتعبير الاخير ما زال مستخدما حتى اليوم . وافراد الاسرة يجتمعون لاحياء هذه المناسبة . ولأن هناك عرضا للفوانيس تلك الليلة فان العيد يسمى ايضا عيد الفوانيس .

وقد يعود تاريخ هذا العيد الى عهد الممالك المتحاربة حين كان الناس يحيون عادة مشاهدة الفوانيس تحت ضوء القمر تلك الليلة . وكان فى البداية يوما لتقديم القرابين الى " اله الشمس " الذى كان يعرف حينذاك بأنه " اول امبراطور للشرق فى العالم " او بأنه " رب المشارق " . وقد بدأ الناس يحتفلون بعيد الفوانيس فى عهد اسرة هان . وجاء فى التاريخ الصينى القديم انه بعد وفاة ليو بنغ (الامبراطور " هوى" من اسرة هان) اغتصبت الامبراطورة " ليوى" سلطة الدولة بعض الوقت . وبعد ان ماتت بدأ تشو بو ، وتشن بينغ ، وآخرون ممن عقدوا العزم على استمرار اسرة هان فى معركة مشتركة للخلاص من آل " ليوى" وتنصيب ليو هنغ امبراطورا ، وهو الذى عرف فيما بعد باسم الامبراطور " ون " . وقد حكم الامبراطور الجديد البلاد وفقا لما يمليه الضمير بتجميعه الافكار الجيدة من موظفى بلاطه ، وأغاث المحتاجين . وكانت النتيجة ان امبراطورية هان قد انتعشت واصبحت قوية ومزدهرة مرة اخرى . وحيث ان الخلاص من آل ليوى قد تم فى الخامس عشر من الشهر الاول ، فان الامبراطور ون دأب على مغادرة قصره بملابسه المدنية فى تلك الليلة من كل عام للاحتفال

بتلك الذكرى السنوية مع الرجال فى الشوارع . وفى الأزمنة القديمة كانت الكلمتان يه (ليلة) وشياو (مساء) مترادفتين ، وكان الشهر الاول من العام يدعى يوان . ولذلك اطلق الامبراطور على اليوم الخامس عشر من الشهر اسم " يوانشياو جيه " .

عرض الفوانيس

هذا العرض عادة متبعة منذ العصور القديمة حتى يومنا هذا ، وهو شيء يتعلق به الصينيون كثيرا ، وقد جاء فى كتاب « دونغجينغ منغهوالو» (مذكرات عن العاصمة الشرقية) العائد الى عهد اسرة سونغ انه " فى ليلة الخامس عشر من الشهر الاول كانت تنصب ظلل عالية امام القصر الامبراطورى . وكان الناس يجتمعون على جانبى الطريق الذى يمر به الامبراطور ، حيث كانت الفرق المسرحية المختلفة تعرض الفنون من مختلف الانواع جنبا الى جنب ، وكان يمكن ان يسمع صوت الموسيقى وجلبة الاصوات البشرية على بعد اكثر من عشرة ليات . "

كان لهذه العادة فى البداية شأنها مع حظر التجول ليلا فى الصين القديمة . فمنذ اسرة تشو اصبح محرما على عامة الناس ان يخرجوا من ابواب بيوتهم او يتجمعوا معا ليلا . ولم يكن مثل هذا التقليد الصارم بالطبع مما يلائم جو الاحتفالات فى الشهر الاول من العام لأنه يقمع حاجة الناس الى الاستمتاع . وهكذا فان هؤلاء الحكام الذين كانوا هم انفسهم يرغبون فى المتعة ، واهم من ذلك يرغبون فى اشاعة الطمأنينة والراحة فى نفوس رعاياهم ، وفى اظهار العاصمة بمظهر سلمى مزدهر . .



عرض الفوانيس في عيد يوانشياو

هؤلاء الحكام خففوا من وطأة حظر التجول ليلا خلال العيد : وقد جاء فى مجلد « حول الترفيه » من كتاب « السجلات التاريخية » لعهد اسرة هان ان شعيرة تقديم القرابين الى الملك السماوى تقام خلال الليل وحتى الفجر . وربما كانت هذه هى المناسبة التى رفع فيها حظر التجول الليلى للمرة الاولى . وكان هذا يهيئ للناس فرصة الخروج ليلا ومشاهدة الفوانيس . وكان عرض الفوانيس ليلا ممارسة شائعة فى الاسر الجنوبية والشمالية . وقد اورد الامبراطور جيان ون من اسرة ليانغ فى مقال نثرى عن الفوانيس . . وصفا للفوانيس فى عيد الفوانيس ، واتى على ذكر عدد منها : الفوانيس الزيتية ، وفوانيس اللك . وكان بعضها يحرق فيه البخور ، وبعضها تضاء فيه الشموع . وكانت اضواء القمر والفوانيس تشع معا مشكلة انعكاسات على صفحة الماء . وكان الناس يستمتعون بمشاهدة هذه الفوانيس ، وكذا العروض التى تقدم فى تلك الليلة .

فى عهد اسرة تانغ كان عيد الفوانيس اجازة وطنية مدتها ثلاثة ايام . وكانت المكاتب الحكومية تغلق كلها فى اليوم الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، ويرفع حظر التجول ثلاثة ايام بالنسبة لساكنى المدينة ليخرجوا من بيوتهم ويصيبوا من المتعة قدر ما يحبون . وحتى عندما كانوا يقتربون من اسوار القصر فان التعليمات المبلغة الى الحراس كانت هى ان لا يتدخلوا : وفى السنة الثانية من شيان تيان (٧١٣ م) وتحت حكم شيوان تسونغ امبراطور اسرة تانغ تركت بوابات القصر مفتوحة على مصاريعها ليلة العيد ، وكان هناك خارج القصر " دولاب للفوانيس يبلغ ارتفاعه مائتى قدم . وكان معلقا فيه

خمسون الف فانوس ، مما جعله شبيها بشجرة مزهرة . " كما تجمع ما يزيد عن الف من وصيفات القصر والف اخريات من الفتيات والشابات فى مدينة تشانغآن " ليغنين تحت دولاب الفوانيس ثلاثة ايام بلياليها " . (انظر « تشاو يه جين تساى» ملاحظات حول شؤون البلاط والشؤون المدنية) المكتوب فى عهد اسرة تانغ . ومنذ ذلك الحين درج اباطرة الاسر المتعاقبة على مشاهدة الفوانيس من البرج الامبراطورى ليلة العيد ليظهروا استعدادهم لمشاركة رعاياهم بهجة العيد . واخذ القائمون على شؤون المقر الامبراطورى والمعابد الطاوية والبوذية وكذا بيوت النبلاء والاغنياء ينصبون المظلات العالية والابراج المزينة بالاقمشة الملونة ، ويتنافسون فيما بينهم فى صنع الفوانيس ذات التصميمات غير المألوفة بتكلفة باهظة ، وهكذا كانت الشوارع الرئيسية والازقة والحارات تفيض بالفوانيس التى تجعل الليل يضاهى النهار اشراقا .

وفى عهد اسرة سونغ امتد عرض الفوانيس من ثلاث الى خمس ليال ، واصبح يقام على نطاق اوسع . وكانت هناك فوانيس من زجاج ملون او حتى من اليشب الابيض فى اشكال شتى غريبة . واصبحت ترسم على تلك الفوانيس مناظر طبيعية واشخاص بشرية وزهور وطيور . وكان اكثرها اجتذابا للعين تلك المصنوعة على هيئة قوارب التنين ، وهيئة تل شبيه بالسلحفاة ، والتى فى شكل جواسق ومصاطب وابراج ، كما كانت هناك فوانيس الباغودات ، وفوانيس التلال ، وفوانيس الكرة ، وفوانيس الابواب المقنطرة . وكان الناس يمدون فوق الشوارع المزدحمة الفوانيس التى يطلق عليها اسم " فوانيس بعرض الشارع " .

وتشجيعا للناس على الحضور ومشاهدة الفوانيس المعروضة على طول الطريق الذى يستخدمه الامبراطور وضع البلاط قاعدة ، وهى اعطاء اى شخص يأتى كأسا من الخمر . وفى مقطوعة شعرية غنائية وضعها شين تشى جى شاعر اسرة سونغ تصوير حى للمشاهد الملونة لعرض الفوانيس . تقول المقطوعة :

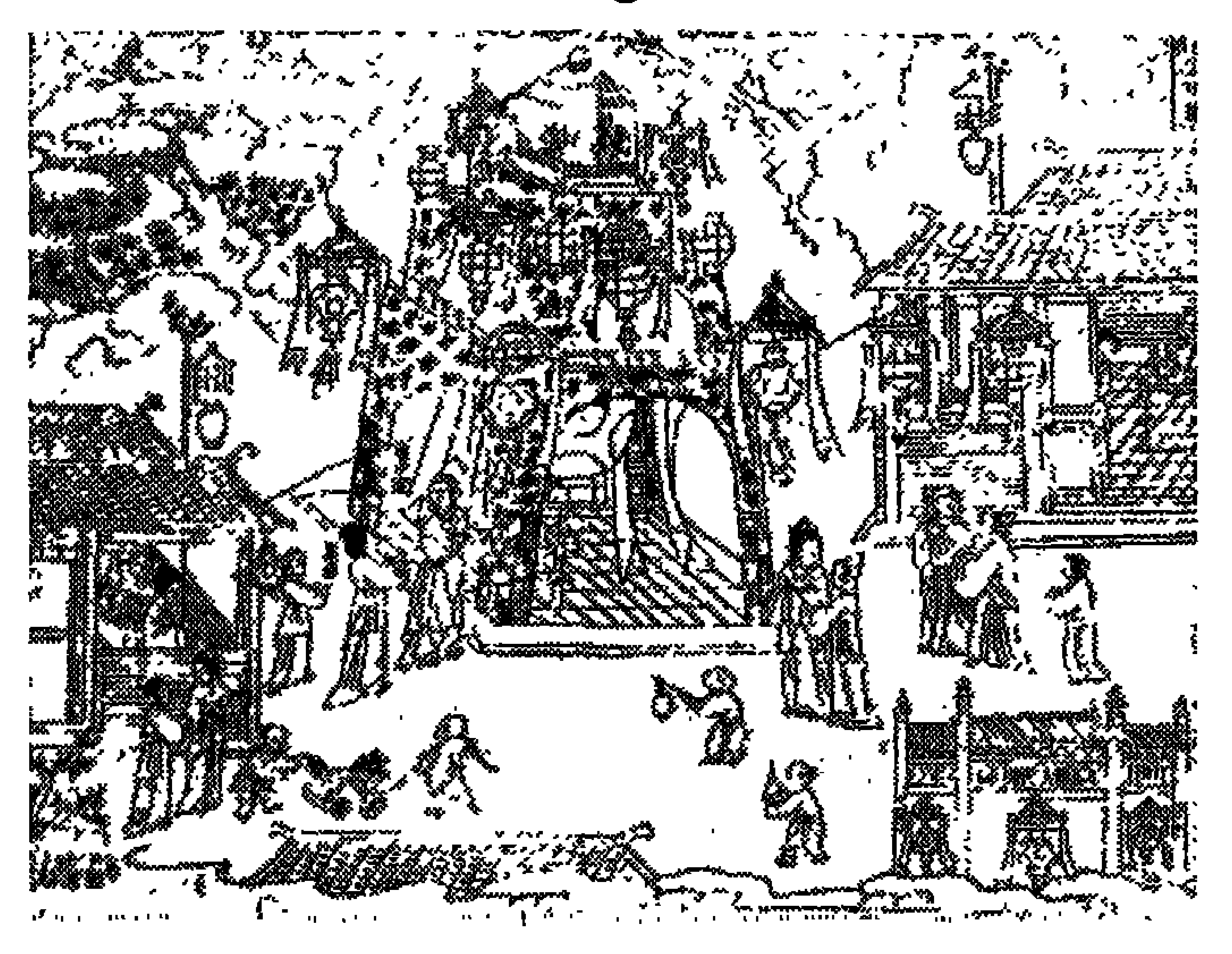
نسيم شرقى دعا الف شجرة الى
ان تزهر ذات ليلة ،
واخذ يهز جذوعها فتساقط منها مثل
مطر من النجوم .
العربات المنقوشة التى تجرها الخيول المطهمة اضفت على
الشارع بأسره عبقا بهيجا .
صوت الناى يتردد فى الفضاء ،
وضوء الفوانيس الشبيهة باليشب
يتلألأ ،
وطوال الليل تواصل مصابيح السمك والتنين
رقصها .

امتد عرض الفوانيس مرة اخرى تحت حكم تشو يوان تشانغ من اسرة مينغ الى عشر ليال . وفى اسرتى مينغ وتشينغ كانت العروض المسرحية تقدم الى جانب عرض الفوانيس .

ومع تحسن الحياة المادية والثقافية للناس فى السنوات الاخيرة اصبحت عروض الفوانيس فى انحاء مختلفة من البلاد اكثر تلونا واوسع نطاقا من ذي قبل . ان الفوانيس التي تضاء في العيد هى منظر

رائع حقا : ففوق الرؤوس قمر متلألئ ، وعلى الارض عدد لا حصر له من الفوانيس . والاشعة التى تأتى من السماء تلتقى مع الاشعة التى تنبعث من الارض ليزيد كل منهما الآخر لمعانا . وثمة متع اخرى فى الاحتفال . . منها اللعب على الأرجوحة ، وفوانيس التنين المزدهرة ، وعرض المسرحيات ، واطلاق المفرقعات النارية ، والسير على الركائز الخشبية ، وعروض رقصة القارب (وهو قارب مزيف من البامبو ليس له قاع ، مربوط الى رسغ راقصة تأتى بحركات كما لو انها تجدف فى قارب حقيقى) .

«عرض الفوانيس فى عيد يوانشياو» . .
حفر الخشب فى اسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩ م)



وسرعان ما اصبحت صناعة الفوانيس حرفة متميزة بفضل التقدم في عروض الفوانيس في اعياد الفوانيس . وليس هناك شيء مسجل يوضح متى بدأت صناعة فوانيس الزينة . ولكن قيل ان لو بان معلم النجارة في عهد الممالك المتحاربة قد بدأ صناعة فوانيس القصر ليزين بها الصرح الفخم الذى كان يبنيه . ومن هنا يمكن القول بأن الشعب الصينى يصنع فوانيس الزينة منذ اكثر من الفى سنة على الاقل . ان لفوانيس الزينة اشكالا وتصميمات متنوعة . ومن الفوانيس ذات الاشكال البشرية هناك " تشانغ أ تطير الى القمر " * ، و" شى شى تجمع بذور اللوتس " ** ، و" ليو هاى يضايق علجومه " *** . ومن فوانيس الازهار والفواكه هناك فوانيس النيلوفر ، والعنب ، والبطيخ ، وجذر اللوتس ، وزهرة عود الصليب وثمار البرسيمون ، واليوسفى . ومن فوانيس الحيوانات هناك فوانيس الايل ، والكركى ، والتنين ، والحصان ، والقرد ، والعنقاء ، والسمك الذهبى ، وسمك الشبوط ، والضفدعة ، والاربيان — وفى هذه الايام اصبحت فوانيس الزينة فى

* يقال ان تشانغ أ كانت زوجة لشيخ قبيلة قديمة ماهر فى رمى السهام، وانها سرقت اكسير الحياة من زوجها اللى كان قد حصل عليه من الهة من الالهات ، وتناولته لتصبح خالدة ، وتطير الى القمر .

** يقال ان شى شى كانت حسناء بارعة الجمال ارسلها ملك مملكة يوه هدية الى ملك مملكة وو اللى كان قد تغلب على قومها .

*** ليو هاى صبى من الجان فى الميثولوجيا القديمة . تتدلى على جبينه خصلة من الشعر ، ويمسك بيده حلقة من خيط منظوم فيه مجموعة من النقود الصغيرة ، وهو يمتطى دائما علجوما ذهبيا .

عيد الفوانيس اكثر تنوعا حتى من ذلك ، فكل واحد يتنافس مع الآخرين فى اخراج فوانيس اكثر اصالة وجمالا ، بما فى ذلك الفوانيس التقليدية مثل الفوانيس الدوارة التى تزينها من الداخل رسوم بالورق المقصوص ، وفانوس اللوتس ، وفانوس الطاووس . ويسمى الفانوس الدوار بهذا الاسم لأن به صورا من الورق المقصوص لجنرالات يمتطون جيادهم ، وهذه الصور تدور باستمرار ، فثمة دولاب فى اسفل الفانوس ، وعندما تشتعل شمعة تحت هذا الدولاب يتكون تيار حمل هوائى بفعل الحرارة فيدير الدولاب ، فتدور الصور احداها فى اثر الاخرى .

وفى شمال شرقى الصين يحب الناس ان يصنعوا كافة انواع الفوانيس من الثلج الذى يتم تشكيله ببراعة ليضاهى الفوانيس الحقيقية . وقد يصنع هيكل فانوس الزينة من مواد مثل البامبو او الحديد او الخشب او الاغصان او سيقان القمح او قرون الحيوانات ، ثم يكسى بالورق الملون او الحرير او الشاش او الياف البوليستر او زجاج من القماش البلاستيكى .

وفى ليلة يوانشياو تكون هناك ألغاز الفوانيس فى عرض الفوانيس . والالغاز (الفوازير) هى لعبة ظهرت اصلا فى عهد الربيع والخريف ، وهى فترة ظهر فيها كثير من الحكام الحكماء ، وسعت فيها ممالك كثيرة الى القوة ، وتقرب فيها كثير من الاستراتيجيين المحترفين الى الحكام ليعرضوا عليهم ويبيعوهم افكارا حول السبيل الى كسب اليد العليا فى لعبة سياسة القوة . ولم يكن هؤلاء الناس فى الغالب يقولون ما فى ذهنهم مباشرة ، وانما يستخدمون تلميحات هي بصورة ما ألغاز

واحاج فى شكلها الجنيني . وكانت العبارات ذات التضمينات المعينة تعرف فى ذلك الوقت باسم " يوى تسى " او " ين يوى " (العبارات المخبوءة) . وقد تطورت هذه العبارات الى ألغاز فى ايام " الممالك الثلاث " . وهكذا اصبحت تكتب الآن على مختلف اشكال الفوانيس ألغاز تتناول اى شيء تحت الشمس تقريبا بعبارات غامضة ومضللة ليحاول الناس حلها ، واولئك الذين يتوصلون الى الاجابة غالبا ما يكسبون جائزة .

اطعمة يفضل تناولها

من التقاليد المرعية فى ذلك اليوم فى كل بيت تناول الـ " يوانشياو " (وتعنى هنا فطائر مكورة من دقيق الأرز الغروى — محشوة بأشياء حلوة) التى ترمز فى الصين الى التئام شمل الاسرة والمحبة والسعادة . وتعرف تلك الكعكة ايضا باسم " توان تسى " (الكرة الطافية) او " تانغ يوان " (كرات فى الحساء) .

وتحكى الحكايات الشعبية لماذا بدأ الناس تناول " يوانشياو " فى عيد الفوانيس . فقد حدث فى ايام الامبراطور وو من اسرة هان ان الاديب دونغفانغ شوه ، وهو احد رجال البلاط الملكى ، قد ذهب فى يوم تساقطت فيه الثلوج الى الحديقة الامبراطورية ليقطف بعض زهرات البرقوق لجلالته . وهناك رأى فتاة ، اسمها يوان شياو ، تعد لتكون خادمة فى القصر ، على وشك ان تلقى نفسها فى بئر طلبا للموت ، فأنقذها . وتبين ان الفتاة كانت تشتاق الى اعزائها بشدة فى مناسبات الاعياد ، وانتابها اليأس الى حد انها ارادت التخلص من الحياة .

وفكر دونغفانغ شوه الذى عطف عليها كثيرا فى طريقة تجعلها ترى اسرتها ، فطلب منها ان ترتدى ثوبا احمر وتذهب الى الشارع الرئيسى فى العاصمة لتقرأ على الناس بيانا باسم امبراطور اليشب فى السماء تقول فيه : " انا ، اله النار ، اقوم هنا بأمر امبراطور اليشب لأحرق مدينة تشانغآن . وجلالته السماوية سوف يراقبنى وانا اؤدى واجبى من البوابة السماوية الجنوبية هناك فى الاعالى . " وقد اخذ اولئك الذين سمعوها كلامها مأخذ الجد ، واسرعوا يطلبون منها الرحمة ، فأجابت الفتاة ذات الرداء الاحمر : "حسن . اذا كنتم تريدون حقيقة تجنب تلك الكارثة ، فخذوا تلك الورقة الى امبراطوركم ليجد لكم مخرجا " . ثم دفعت اليهم مذكرة مكتوبة على ورقة حمراء ، وغادرت المكان .

ارسلت المذكرة الى الامبراطور الذى فتحها ليجد فيها الرسالة التالية : "تشانغآن محكوم عليها بالهلاك . قصر الامبراطور سوف يحرق فى نار سماوية فى اليوم السادس عشر بألسنة حمراء من اللهب تتوهج فى الليل . "

ملك الذهول الامبراطور الذى سأل دونغفانغ شوه النصيحة فقال له بذهن حاضر : " انا افهم ان اله النار مغرم بـ ' تانغيوان ' وان الخادمة يوان شياو ماهرة جدا فى صنعها . وربما يعرف اله النار ايضا ان الـ ' تانغيوان ' التى تصنعها لذيذة ، فأقترح ان تقوم فى مساء اليوم الخامس عشر بصنع ' تانغيوان ' ، وان تحرق جلالتكم البخور وتقدمها قربانا لاله النار . كذلك سوف تصدر جلالتكم مرسوما يأمر كل اسرة فى العاصمة بصنع ' تانغيوان ' لاله النار الذى قد يسر بذلك ويغير رأيه . وحينذاك سوف تبلغ جلالتكم اهالى العاصمة ،

الموظفين الرسميين منهم والمدنيين على السواء ، بأن يصنعوا فوانيس ويعلقوها فى الشوارع الرئيسية والفرعية وفى الأفنية وعلى الابواب ، وان يطلقوا المفرقعات النارية حتى تصبح المدينة بأسرها فى ليلة السادس عشر كأنها تتوهج باللهب ، وقد يخدع امبراطور اليشب الذى يراقب من البوابة السماوية الجنوبية تماما بهذا المظهر ، ويتصور خطأ ان المدينة تحترق بالنيران . "

وهكذا فعل الامبراطور وو ما اشار به دونغفانغ شوه . وفى السادس عشر من الشهر الاول اصبحت المدينة كلها تلمع بالفوانيس والمفرقعات النارية المنتشرة فى كل مكان . وجاءت الاخت الصغرى ليوان شياو وابواها ليشهدوا هذا المنظر ، وحينما التقطت عينا الاخت منظر فانوس القصر الضخم وعليه اسم "يوان شياو" صاحت فى فرحة غامرة : " اختى ، اختى يوان شياو هنا ! " وعندما سمعت يوان شياو ذلك اندفعت الى ابويها ، والتأم شمل الاسرة ليحكى كل منهم للآخر كيف كان يشتاق اليه ، ومنذ ذلك الحين انتهزت يوان شياو هذه الفرصة لجمع شمل الاسرة . ولأن فطائر تانغيوان التى صنعتها الخادمة يوان شياو لتكون قربانا يقدمه القصر كانت هى الافضل ، فان الناس يفضلون ان يطلقوا عليها الآن اسم يوانشياو .

ورغم ان فطائر يوانشياو التى تصنع فى اماكن مختلفة لها نكهات ومذاقات مختلفة ، فانها جميعا ترمز الى التئام شمل الاسرة ، وكل واحد يحب ان يتناولها . وللشاعر جيانغ باى شى ابيات تمضى على هذا النحو :

الرجل ذو المقام الرفيع ازاح الستارة
لينظر الى الطريق الذى يرتاده الامبراطور .
هناك شيء ثمين فى السوق
انه متاح الآن .

وهنا يشير الشاعر بالشيء الثمين الى فطائر يوانشياو ، الامر الذى يعنى انها لا بد كانت غالية بعض الشيء فى ذلك الوقت . لقد اصبح لفطائر يوانشياو اليوم فى الصين مذاقات مختلفة كثيرة ، ويمكن ان يشترى الى جانبها بسعر معتدل فطائر يوانشياو المحشوة بالقرفة الصينية والزعرور البرى والعجوة و" المكونات الخمسة " وحبة البركة والبرقوق وعجينة الفول وحتى الكاكاو . ان غلى يوانشياو وتناوله فى ليلة عيد يوانشياو هو متعة تقليدية .

٣ ـ تشونلونغ جيه (يوم تنين الربيع)

التنين فى الاساطير

" رفع التنين رأسه فى اليوم الثانى من الشهر الثانى . " هذا ما تقوله احدى الاساطير : وذلك اليوم يدعى يوم تنين الربيع . وتصادف ذلك اليوم او تقع قريبا منه الفترة الثالثة ـ جينغ تشه ـ من الفترات الشمسية الاربع والعشرين على التقويم القمرى (انظر ملحق ١) ويقال ان التنانين التى استيقظت فى ذلك اليوم بعد فترة سبات بدأت ترمجر وتهز ذيولها محدثة ما يشبه قصف الرعود .

ولكن ، اى شيء يشبه للتنين ؟ ـ لا احد رأى تنينا قط . وقد



التنين فى الاساطير

ذهب الاثريون بعد سنوات من البحث الى انه لم يكن هناك قط شيء يشبه ان يكون تنينا . ولكن التنين فى الميثولوجيا هو حيوان بجسم الافعى وقرون كقرون الوعل ومخالب كمخالب النسر ووجه كوجه الحصان ! وله لحية ذات شعبتين اشبه بشريطين . لقد تأسست صورة التنين فى فجر الحضارة فى المجتمع البدائى ، ففى ذلك الوقت كان لكل عشيرة او قبيلة طوطمها الخاص بها . وكان هذا الطوطم صورة لحيوان . . ثور او حصان او نمر او وعل او افعى . وكانت الافعى طوطم العشيرة التى حكمت فى اسرة شيا ، بينما جعلت العشيرة التى حكمت اسرة شانغ الطائر طوطما لها . ونظرا للصراع المستمر وعمليات الالحاق والضم التى جرت فى المجتمعات العشائرية ، فان الطوطم بوصفه رمزا لعشيرة خاصة لحقه التغيير باستمرار ايضا . وهكذا فان عشيرة الافعى كانت اذا ضمت اليها عشيرة النسر ربما اعادت النظر فى صورة طوطمها ، فأضافت زوجين من المخالب الى جسم الافعى ، فاذا ضمت اليها عشيرة الوعل فيما بعد اضافت نتيجة لذلك قرنين الى طوطمها ، وبمرور الوقت خرج الى الوجود التنين بشكله الغريب .

كذلك لحقت صورة التنين تغيرات فى بضعة آلاف من السنين الاخيرة . وتذكر الاساطير ان نوع التنين يمكن تقسيمه الى : "تيان لونغ" (تنين فى السماء) وهو ذلك الذى يركب السحب ويطير فى السماء المضببة ، والى "بان لونغ" (التنين الملتف) الذى يعتكف فى مكان ما على الارض . وقد وجدت اقدم اشارة الى تيان لونغ فى «فنغ تشان شو» (وهو كتاب عن تقديم القرابين الى السماء والى الارض) ، جاء فيه ان الامبراطور هوانغ دى (الامبراطور الاصفر

الذى يفترض فيه انه الجد الاعلى للامة الصينية) كان له منذ اربعة آلاف سنة هيكل حديدى ضخم ثلاثى القوائم فى سفح جبل جينغشان بمقاطعة خنان الحالية . وانه بعد الفراغ من بناء الهيكل ركب تنينا وصعد الى السماء . وفى وقت مبكر يعود الى عهد اسرتى تانغ وسونغ كانت تبنى معابد الملك التنين للدعاء للملك التنين ليهب الناس بركاته ويعدهم بمناخ جيد مناسب للزراعة (كان من المفترض ان التنانين هى المسئولة عن سقوط الامطار والبحيرات والانهار والبحار) . وقد انحدرت هذه العادة فى طلب رضاء الملك التنين من جيل الى جيل . اما بان لونغ فقد تم تعريفه على يد يوى العظيم الذى حظيت منجزاته فى ترويض الانهار بتأييد واشادة من عامة الناس وكان ينظر اليه على انه سليل اسرة التنين ، ومنذ ذلك الحين اصبح التنين فى الصين رمزا للسيادة والملك ، وزعم كل من الاباطرة فى الاسر كلها دون استثناء انه " التنين الحقيقى" او " ابن السماء" ، وهكذا فقد اصبح العلم الوطنى فى الصين فى عهد اسرة تشينغ يحمل تنينا مطرزا عليه ، فقد كان التنين آنذاك يعنى السلطة العليا .

العادات فى عيد التنين

تختلف العادات المرعية فى ذلك العيد من مكان الى آخر : ففى شنشى لا تزاول النساء فى ذلك اليوم اشغال الابرة خشية ان تخرق ابرهن – فيما يقال – عين تنين فتثير انتقامه . وبعض الناس يستخدم الرماد او السكر لرسم تنين او افعى على الارض ليقودها من البئر (التى تستخدم لشرب الماء) الى عتبة الباب ، ومن عتبة الباب الى جرة

حفظ رماد الموتى او رفاتهم فى داخل البيت . ويعنى ذلك انه تم احضار تنين الى البيت ، ويتيقن صاحب البيت انه باحضاره ذلك التنين اليه سوف يصبح غنيا . وفى مقاطعتى شاندونغ وجيانغسو يستخدم رماد الخشب والعشب فى رسم دوائر واسعة وصغيرة احداها داخل الاخرى وتعرف بدوائر الاهراء او مخازن الحبوب ، وهى بشير بحصاد جيد ، وبعض الناس يكوم الرماد ايضا بجانب الدوائر فى شكل سلم بما يعنى ــ لديهم ــ ان الحبوب سوف تكوم فى اكوام عالية كالجبال بعد حصاد وفير .

يأتى اليوم الثانى من الشهر الثانى فى الربيع الباكر عندما تبدأ الحشرات فى مهاجمة الناس والحيوانات ، ولذلك تقلى فى بعض الاماكن حبوب فول الصويا مع السكر فى ذلك اليوم . وفى اماكن اخرى تجعل الفطائر المتبقية من عيد الفوانيس على شكل مصابيح وتغلى . وكلا الفول المقلى الذى يعرف باسم " لدغ العقرب" والفطائر المغلية يؤكلان باعتقاد انهما يقيان من خمسة اشياء سامة هى : العقرب ، والثعبان ، وام اربع واربعين ، والسحلية ، والعلجوم . وفى بعض اجزاء من جيانغسو يؤكل كعك رأس العام الجديد المتخلف من العام السابق والذى يعرف عادة باسم "كعك دعم الخصر" لمنع آلام الخصر فيما يزعم الناس ولمساعدة الناس على العمل فى راحة على مدار السنة . وثمة ابيات من الشعر تناولت هذه العادة بصفة خاصة . تقول الابيات :

اليوم الثانى من الشهر الثانى هو
فى افضل اوقات الربيع .
وتناول كعك الاحتفال يشد

خصر المرء .
والجسد القوى مطلوب لتزويد البيت بالوقود
والطعام ،
وذلك بأن تكدح دون ان يخامرك التعب
على مدار العام .

وقد يلجأ الناس فى اجزاء من هونان فى ذلك اليوم الى العمل على الخلاص من الطيور ، فيلصقون كعكة لزجة معينة على الاشجار او يضعونها فى الحقول املا فى اصطياد الطيور ، والحيلولة بينها وبين تخريب المحصولات . وفى فوجيان يكون هذا اليوم يوم الخروج الى ضواحى المدينة والتمشى على الخضرة .

ان الكثير من العادات الشعبية تكسوها فى الغالب مسحة من الخرافة . ومع انتشار المعرفة والعلم تسقط مثل هذه العادات الشعبية بالتدريج فى هوة النسيان . وعلى العكس من ذلك يزداد احتمال بقاء الاحتفالات الصحية المفعمة ببهجة الاعياد مثل : عرض فوانيس التنين والتجديف بقوارب التنين . . تلك الاحتفالات التى تسود البلاد فى يوم تنين الربيع .

٤ ـ تشينغمينغ جيه (عيد الصفاء والنقاء)

طرائف عن تشينغمينغ

ظل تشينغمينغ لآلاف السنين واحدا من اكثر الاعياد شعبية فى الصين . والناس فى ذلك اليوم يذهبون لتقديم آيات الاحترام لأسلافهم في مقابرهم ، كما يخرجون للنزهة . ويأتي هذا اليوم بعد انقضاء الشتاء



عيد الصفاء والنقاء

بقليل . انه يوم من ايام الربيع الباكر فى الموسم الذى يبدأ فيه نمو النبات .

ويعرف عيد تشينغمينغ ايضا باسم هانشى جيه او يوم تناول الاطعمة باردة . فخلال عهد الربيع والخريف منذ الفى سنة اجبر "تشونغار" ابن الملك "شيان" لدولة "جين" على الحياة فى المنفى فى ارض اجنبية تسع عشرة سنة . ولم يستطع معظم اتباعه ان يتحملوا مصاعب الحياة معه كثيرا ، فتركوه فى محنته ، ولم يبق ملازما له فى اخلاص وولاء سوى "جيه تسى توى" وخمسة او ستة آخرين . وعندما اعرب تشونغ ار عن رغبته فى تناول بعض اللحم — الامر الذى لم يكن متاحا — اقتطع جيه خلسة جزءا من اللحم من ذراعه وطبخه له ليأكله . وفيما بعد اصبح تشونغ ار — الملك "ون" لدولة "جين" بمساعدة الملك "مو" لدولة "تشين" . وانعم على اولئك الذين تبعوه الى المنفى بألقاب واقطعهم اقطاعات مكافأة لهم طبقا لمراتبهم من الجدارة . ولكن جيه تسى توى قرر بعد التشاور مع امه الا يسعى الى الثروة والجاه ، بل يختار حياة العزلة فى جبل "ميانشان" ، وذهب تشونغ ار بنفسه ليبحث عن جيه ، ولكنه لم يستطع على مدى ايام متتابعة ان يجد الام او الابن . وكان يعرف ان جيه يحب امه حبا جما ، فقدر ان جيه سوف يخرج مع امه اذا هو اشعل النار فى الجبل . ولكن جيه كان يفضل الموت على ان يقبل مكافأة على سالف اعماله الجديرة بالتقدير : وقد ظلت النار مشتعلة ثلاثة ايام بلياليها حتى ذوت مخلفة وراءها المكان وقد تحول كله الى رماد . اما جيه وامه فقد وجدا محترقين حتي الموت وقد تشبثت ايديهما بجذع شجرة

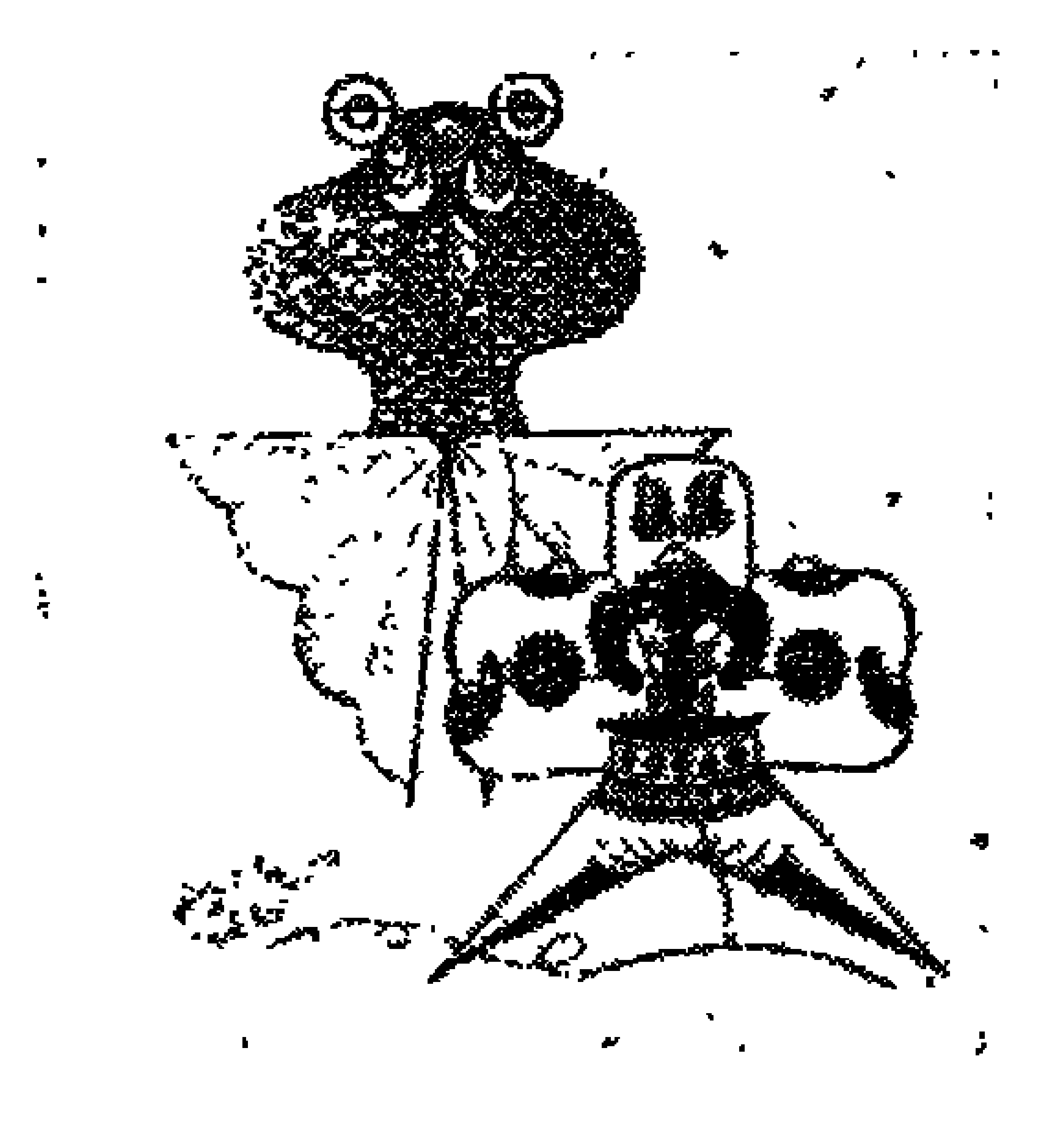
صفصاف محترقة . وحزن تشونغ ار حزنا بالغا ، ودفن جيه وامه فى الجبل حيث اقيم ضريح لهما ، واعاد تسمية الجبل باسمه تخليدا لذكراه . وحتى يذكر تشونغ ار الى الابد وفاء واخلاص جيه له ، فان شجرة الصفصاف المحترقة قطعت واحضرت ليصنع منها زوج من الاحذية الخشبية ، وكان تشونغ ار ينظر كل يوم الى الحذاء ويتنهد منتحبا ويقول : " وا حسرتاه ! الاقدام تحت . " ومنذ ذلك الحين دأب الناس فى الصين على ان يستهلوا رسائلهم الى ثقات الاصدقاء بهذه التحية : " بالنسبة الى كذا وكذا .. فان الاقدام تحت . "

وقد تصادف ان اليوم الذى اشعل فيه الملك ون النار فى الجبل كان يوم عيد تشينغمينغ . ولذلك فان الناس احتراما وتقديرا لصفات جيه تسى توى الذى آثر الموت حرقا على ان يأخذ ما هو حق له يبقون مطابخهم فى ذلك اليوم مطفأة النيران ، ويأكلون اشياء باردة مجهزة سلفا . وبمرور الوقت اكتسبت هذه العادة قبولا عاما . وذلك هو ايضا اليوم الذى ينظف الناس فيه مقابر الاسلاف ويبكون موتاهم .

عادات العيد

كان تشينغمينغ فى الأزمنة القديمة هو اليوم الذى يخرج فيه سكان الحواضر بما فيهم النساء للنزهة فى اطراف المدينة – وهو ما كان يسمى " تا تشينغ " او التمشى على الخضرة . ولدى عودة الناس من تلك النزهات كانوا يضفرون اكاليل من اغصان الصفصاف يضعونها على رؤوسهم . اما النساء فكن يجدلن منها حلقات جميلة يشبكنها فى شعرهن املا بدوام شبابهن . وهناك قول مأثور يقول : - " اذا لم

تضع الشابة حلقات الصفصاف
فى شعرها فى يوم تشينغمينغ ،
فسرعان ما يزحف الشيب
اليه . " وقد وصف الشعراء على
مر العصور من وجهات نظر
عديدة مظاهر الاحتفال والمشاعر
فى ذلك اليوم . من ذلك ما قاله
"دو مو" شاعر اسرة تانغ :



الطيارات الورقية

يظل المطر يهطل باستمرار فى موسم تشينغمينغ ،
ذلك ما يجعل المسافر على الطريق حزينا جدا فى الحقيقة .
يسأل : اين يستطيع ان يجد حانة ؟
راعى بقر يشير الى مكان فى البعيد
المشمش
يكسو بأزهاره القرية .

ما زالت تلك العادات فى الخروج للنزهة وتقديم آيات الاحترام للراحلين عند قبورهم عادات مرعية حتى يومنا هذا . وان الربيع الذى تضج فيه الحقول بخضرة الحياة لهو الوقت الذى يستحب فيه الخروج للاستمتاع بجمال الارض . اما عن تقديم آيات الاحترام للراحلين لدى القبور فى ذلك اليوم ، فتلك فرصة لأولئك الذين اتيح لهم ان يظلوا على قيد الحياة للتأمل فى حياة الشهداء الذين ماتوا من اجل الثورة الصينية والاعتبار بحياة الاسلاف .

الطيارات الورقية

هناك ايضا فى هذا الموسم انشطة رياضية مختلفة مثل اللعب على الارجوحة وركل نوع من كرة القدم الصينية القديمة ومصارعة الديكة وسباق الكلاب وتطيير الطيارات الورقية . . الخ . وللشاعر وى تشوانغ من اسرة تانغ قصيدة يصف فيها استمتاع الناس باللعب على الارجوحة قائلا :

الشوارع ملأى بالصفصاف الباكى الذى اصبحت اغصانه
سحابة من الخضرة .
ويا لها من صورة لعيد تشينغمينغ فى شهر مبكر
من السنة !
من خلال ستارة تزهر على الاشجار التى تبدو كأنها تتحرك
عندما تدفع الفتيات بلا هدف مقصود مقاعد الاراجيح ،
جيئة وذهابا .

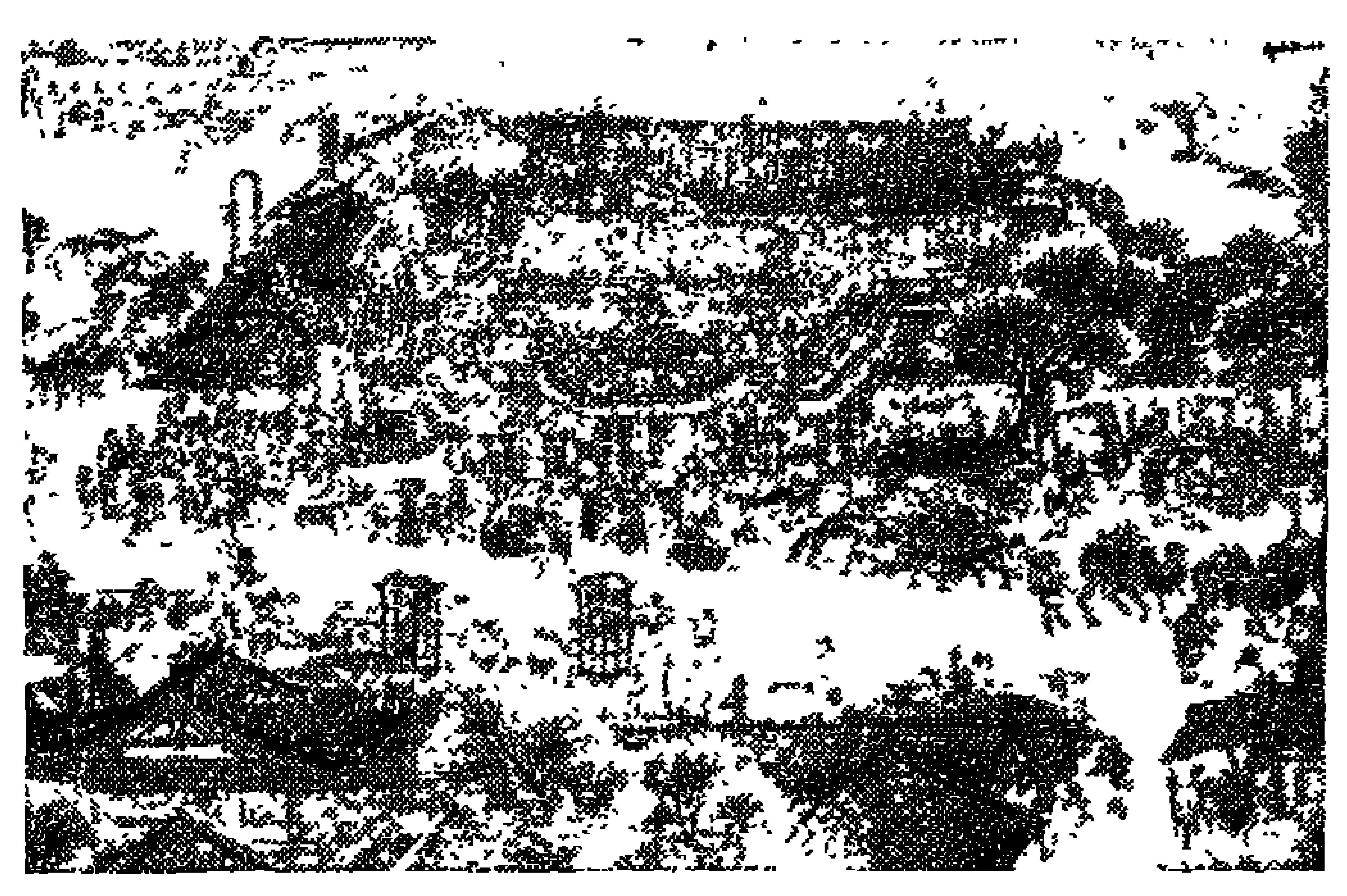
تضرب لعبة القدم الصينية القديمة بجذورها الى عهد الممالك المتحاربة ، وكانت رياضة شائعة جدا فى عهد اسرتى تانغ وسونغ .

ويرجع تقليد تطيير الطيارات الورقية الى عهد الربيع والخريف منذ اكثر من الفى سنة . وكان هناك رجل يدعى " قونغ شو بان " قد صنع طائرا خشبيا اطلقه على ارتفاع عال للتجسس على عاصمة دولة سونغ . وفى عهد اسرة هان الغربية حل الورق محل الخشب فى صنع هذه الوسيلة من وسائل الاستطلاع ، وهو تحسين ادخله هان شين

الخبير فى الشئون العسكرية عام ١٩٦ ق . م ، والذى دأب على القيام باستطلاعات لأغراض عسكرية .

وفى زمن الاسر الخمس ثبت رجل يدعى " لى يه " انبوبا من البامبو او خيطا من الحرير على طيارته الورقية حتى تستطيع ليس مجرد ركوب الريح والطيران عاليا ، بل ان تحوم وترفرف فى الفضاء ايضا . وكانت الريح حين تهب مندفعة فى انبوب البامبو تحدث صوتا شبيها بصوت الـ " تشنغ" (آلة وترية قديمة شبيهة بالقانون) . وبذلك اصبحت كلمة " فنغ تشنغ" (آلة الريح) اسما صينيا للطيارة الورقية فى الماضى والحاضر .

ولقد تعرضت الطيارات الورقية باعتبارها وسيلة للتسلية وازجاء الوقت لتغيرات عديدة فى شكلها وتركيبها خلال تطورها المستمر . والناس يخرجون فى كل عام ، قبيل او بعد تشينغمينغ عندما يكون الجو معتدلا ، فى جماعات من ثلاثة او خمسة افراد لتطيير الطيارات الورقية . وسرعان ما تنطلق فى السماء الزرقاء طيارات ورقية من مختلف الاشكال ، ينافس بعضها بعضا فى الاصالة والابتكار . ومن بين هذه الطيارات الورقية ذات التصميم البارع والمبتكر ما يمثل شخصيات اسطورية ، او ابطالا فى الاوبرات الصينية ، او فراشات ترفرف بأجنحتها ، او اسماكا ذهبية تهز ذيولها . وهناك ايضا يعاسيب وقبرات وخفافيش ونسور وضفادع وامات اربع واربعين تنطلق فى انحاء السماء فى عرض مبهر . وقد ظهر كثير من الناس صناعا بارعين من الناحية الفنية فى صنع الطيارات الورقية ، واصبحت منتجاتها صناعة يدوية صينية فريدة ذات شهرة عالمية .



جزء من رسم « مناظر ضفاف النهر فى عيد تشينغمينغ » . . بريشة تشانغ تسه دوان فى اسرة سونغ

مناظر ضفاف النهر فى تشينغمينغ

لن تكتمل قصتنا عن تشينغمينغ دون الاشارة الى " مناظر ضفاف النهر فى تشينغمينغ" الرسم الاكثر شهرة الذى رسمه على لفيفة ورقية " تشانغ تسه دوان " من عهد اسرة سونغ الشمالية ، وهو فنان من المدرسة الواقعية . اصبح هذا الرسم الآن من مقتنيات متحف القصر الامبراطورى فى بكين ، وهو يصور بأسلوب نابض بالحيوية الحياة فى " بيانليانغ" (كايفنغ الآن) عاصمة اسرة سونغ الشمالية خلال عيد تشينغمينغ . وهو يبدأ بتصوير عدد قليل من الناس يقدمون آيات الاحترام الى اقاربهم الموتى عند المقابر فى ضواحى المدينة . ويتبع ذلك مناظر على ضفاف نهر " بيانخه " التى تصطف عليها اشجار

الصفصاف المتبرعمة موحية بجو الربيع فى عيد تشينغمينغ . وفى عمق ظلال الصورة قوافل من البغال والجياد تأتى من بعيد فى طريقها الى المدينة . وثمة قرية تجمع على جانب الطريق بها الاجراء ليأخذوا قسطا من الراحة ، بينما يعمل بعض الزراعين فى الحقول . وتلك المشاهد كلها نابضة بقوة الحياة الحقيقية . واذ يأخذ مجرى النهر فى الاتساع تدريجيا تظهر لنا الصورة مزيدا من الناس فى الشارع ، ومزيدا من القوارب فى النهر ، وعددا من الناس يسحبون قواربهم الى الشاطئ ، وآخرين يحملون سفنا او يفرغونها من حمولتها ، وسفنا كبيرة راسية جنبا الى جنب امام الرصيف على حافة المدينة . وذلك المشهد الاخير هو احفل المشاهد بالحركة والنشاط فى الرسم . وتحت قنطرة تربط ضفتى النهر كأنها قوس قزح ينهمك ملاحو القوارب فى اعمالهم . اما ضفة النهر على مقربة من القنطرة فهى محتشدة بالمتفرجين . والى جانب النهر تقوم مطاعم ومشارب للشاى . والشارع مزدحم بالعربات ، واناس يحملون اشياء معلقة فى العوارض المرتكزة على اكتافهم . ومن خارج بوابة المدينة تقبل قافلة من الجمال ، وهى حيوانات الحمل التى تربط ظهورها ما بين خطوط النقل المائى وخطوط النقل البرى . وفى داخل المدينة دكاكين لمختلف انواع التجارة ، واشخاص بشرية من جميع العينات . . موظف يمتطى جوادا . . وسيدة على محفة . . وواحد من السكان المحليين فى رداء احمر ، وصناع ، وحرفيون . ان عدد الاشخاص البشرية فى اللوحة لافت للنظر ، فهناك منهم ١٦٤٣ شخصا ، وذلك بالاضافة الى ٢٠٨ حيوانات واكثر من ٢٠ سفينة واكثر من ٢٠ عربة وما يزيد على ٣٠ مبنى . ان اللوحة تعطى صورة

للازدهار الصناعى والتجارى فى عاصمة اسرة سونغ الشمالية ، وتصور حياة وعادات الناس فى تلك الايام ، وتطلعنا على مفارقات صارخة بين الناس ذوى الخلفيات الاجتماعية المختلفة .

٥ ـ دوانوو جيه (عيد قارب التنين)

عيد التنين

" دوانوو" ، او " دوانيانغ" ، او " وو يويه جيه" (عيد الشهر الخامس) ، او " شيا جيه" (عيد الصيف) . . هو واحد من ثلاثة اعياد شعبية رئيسية فى الصين ، والآخران هما عيد الربيع وعيد منتصف الخريف . ويقع دوانوو فى اليوم الخامس من الشهر القمرى الخامس وهو عيد عريق . ويذكر " ون يى دوه" العالم المعاصر المشهور ان هذا العيد قد بدأ احياؤه قبل مولد " تشيوى يوان" بزمن طويل ، وان كثيرا من العادات المرعية فى هذا العيد لها علاقة ما بالتنين ، ولذلك فان " ون" انتهى الى نتيجة مؤداها ان عيد دوانوو كان يوما تحييه قبيلة عاشت فى " وو" و" يوى" القديمتين (الآن جيانغسو وتشجيانغ) لتقديم القرابين الى طوطمها . . التنين . اى انه باختصار " عيد للتنين" . وفى السنوات الاخيرة تم اكتشاف قطع اثرية ثقافية فى قوانغدونغ وقوانغشى وفوجيان وتايوان وتشجيانغ وجيانغسو وآنهوى وهونان وهوبى ، وتتألف هذه الآثار اساسا من فخاريات واوان حجرية عليها علامات هندسية . وهذه الآثار التى يمكن ارجاع تاريخها الى فترة بين اواخر العصر الحجرى الحديث والفترة السابقة

لأيام تشين وهان تخص قبيلة يغلب على الظن استنادا الى الاساطير التاريخية واستخلاصا من المواقع الجغرافية للعثور عليها انها القبيلة المعروفة فى التاريخ باسم "بايبوى" ، وهى القبيلة التى كانت تعبد التنين بوصفه طوطمها . وكان هؤلاء الناس "يقصرون شعورهم ، ويشمون اجسادهم بالتنانين بطريقة تجعلهم يبدون مثل التنانين الصغيرة بالضبط" ، وكانوا يعتبرون انفسهم سلالة التنين . ولذلك فان يوم "دوانوو جيه" الذى كانوا يحتفلون به كان من الناحية العملية يوم الاحتفال بالتنانين ، ومع تلاشى الثقافة الطوطمية افسحت الممارسات القديمة المتطابقة مع المجتمع الطوطمى ، وبالتحديد وشم الاجساد بالتنانين . . افسحت السبيل لبناء قوارب التنين ، وبعبارة اخرى لم تعد التنانين توشم على الاجساد فقط ، بل اخذت ترسم على الاشياء التى تستخدم ايضا . وكان "تسونغتسى" (ملفوف الارز الغروى فى اوراق القصب) يصنع فى عيد قارب التنين اصلا ليقدم قربانا الى التنين . وفى كثير من الاماكن كانت هناك عادة جمع مياه الامطار فى ذلك اليوم ، فقد كان من المفترض ان يسكب التنين السماوى للمياه المقدسة فى ذلك اليوم على الارض ، تلك المياه التى كانت لها سمعة القدرة على الوقاية من الامراض . وفى بعض الاماكن فى العصور القديمة كانت المرايا البرونزية المحلاة بنقوش للتنانين المنحنية تسلط على النهر فى يوم الاحتفال . وكان يقال ان المطر يسقط اذا اتجه الانسان بدعائه الى السماء ومن هنا نستطيع ان نرى بسهولة التغيير الذى طرأ على موضوع العبادة فى مجتمع بدائى . فالناس فى المجتمع البدائى فى عصر ما قبل التاريخ كانوا اولا على حظ من الجهل والعجز

ازاء عناصر الوجود ، جعلهم ينظرون الى التنين بوصفه كائنا كلى القدرة خارقا للطبيعة ، وعبدوه على هذا الاعتبار . ولكن الانسان مع تقدم المجتمع البشرى اصبح قادرا على العثور على وسائل اكثر فعالية للسيطرة على الطبيعة وتحويلها ، واخذ الانسان مع تزايد ثقته فى قهر الطبيعة يحاول التحرر تدريجيا من الثقافة الطوطمية الساذجة ، وحينذاك فقد هذا الاحتفال معناه كيوم لعبادة طوطم التنين ، ذلك الطقس الذى تعود اصوله لعصور موغلة فى القدم ، واصبح الاحتفال تكريما للشاعر الصينى العظيم تشيوى يوان من عصر الممالك المتحاربة .

عيد احياء ذكرى تشيوى يوان

ان ما قلناه آنفا عن عيد "دوانوو" فى العصور البدائية فهو — الى حد ما — ما يقرره التراث الشعبى . ولكن فى ايامنا هذه اصبح من المسلم به على نطاق واسع ان دوانوو هو المناسبة التى يحتفل فيها باحياء ذكرى تشيوى يوان .

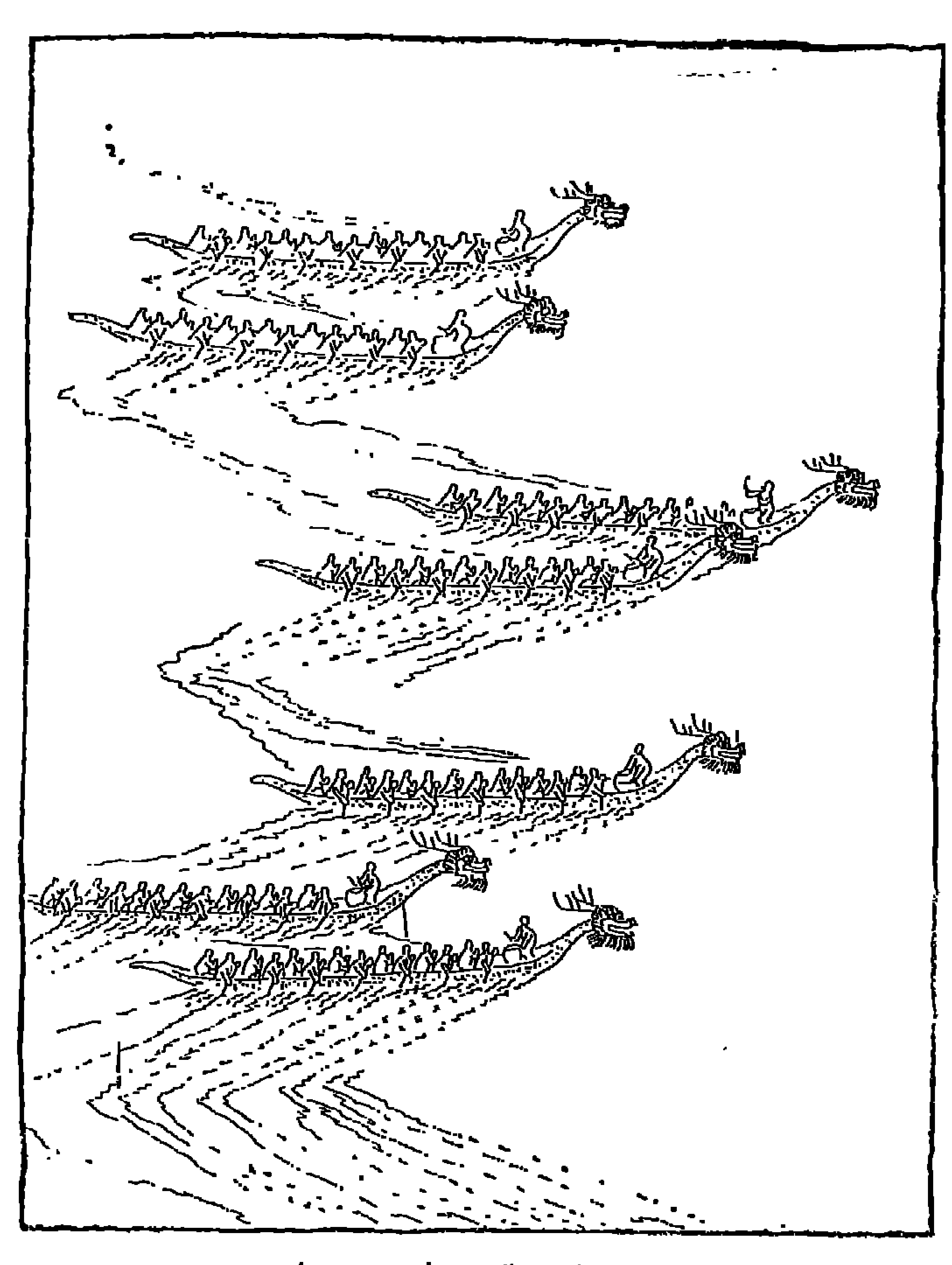
ذلك انه كان هناك شاعر وطنى عظيم اسمه تشيوى يوان فى عهد الممالك المتحاربة منذ حوالى ٢٣٠٠ سنة . وكان وطنه هو دولة تشو فى الجزء الجنوبى من الصين . وقد ولد عام ٣٤٠ ق . م تقريبا ، فى وقت كانت تعصف فيه بالمجتمع الصينى آلام مخاض عنيف . وقد اقترح تشيوى يوان الذى تملكه السخط على فساد الارستقراطية فى الدولة تطبيق اصلاحات سياسية داخلية ، واقامة نظام قانونى ، والاقتصار فى تعيين الموظفين الحكوميين على اولئك الذين يتمتعون بكفاءة عالية واستقامة خلقية . ودافع فيما يتعلق بالعلاقات مع الدول

الاخرى عن التحالف مع دولة تشى فى مواجهتها مع دولة تشين . ولكن هذا الموقف التقدمى الذى اتخذه لقى معارضة من قوى الفساد ممثلة بجين شانغ احد اعوان ملك تشو ، وبالملكة تشنغ شيو زوجته الاثيرة لديه . وقد انهال كلاهما بالافتراءات على تشيوى يوان الذى قرر الملك نفيه اخيرا .

غادر تشيوى يوان الذى تجاوز الخمسين من عمره العاصمة ينغ محزون الفؤاد . واخذ يتجول فى مناطق شيابو ولينغيانغ المجاورة مبدعا قصائد غنائية كثيرة ، تنم عن عاطفة وطنية مشبوبة ، وتظهر تعلقه بشعبه وبلاده . ومن بين آثاره الرائعة تلك « لى ساو» (مرثية) و« جيو قه » (تسع قصائد) و« جيو تشانغ» (تسع فصول) ، وهى قصائد تميزت بنبرة الاخلاص وبمتانة البنيان ، وتعد كنزا حقيقيا فى الادب الصينى ، بل فى الادب العالمى حقا .

وفى عام ٢٧٨ ق . م احتلت قوات تشين مدينة ينغ ، واصبح سقوط دولة تشو متوقعا بين لحظة واخرى ، فقام تشيوى يوان وكان آنذاك فى الثانية والستين من عمره ، باغراق نفسه فى نهر ميلوه قريبا من مدينة تشانغشا الحالية فى مقاطعة هونان متشبثا بحجر كبير فى يديه . لقد آثر الموت على ان يعيش ويرى بلاده تقع فى قبضة الاعداء .

لقد كسب تشيوى يوان احترام الناس بسعيه الدؤوب الى طريق يجعل بلاده قوية مزدهرة ، وبتفانيه وقصر حياته على خدمة مثله العليا . وعندما جاءت الاخبار بوفاته اندفع الناس من كل صوب الى مسرح الحادث ، واخذوا يجدفون بالقوارب محاولين العثور على جثمانه الذى غاص فى اعماق الماء ولم يظهر بعد ذلك ابدا . و" تفجع شعب تشو



سباق قوارب التنين فى عيد دوانوو

على وفاته ، وفى كل عام كانوا يرمون انابيب البامبو المملوءة بالارز فى النهر قربانا مقدما اليه " (انظر « شيوى تشى شيه جى » — مزيد من الحكايات الغريبة) . ويظن ان هذه هى بداية عادة التجديف بقوارب التنين واكل تسونغتسى فى يوم دوانوو . ويقال ان عادة شك أوراق الشيح الصينى وعرق الاكر فى الابواب خلال هذا العيد انما يقصد بها استدعاء روح تشيوى يوان .

ان احياء ذكرى تشيوى يوان فى عيد دوانوو ليدل على الشعبية التى يحظى بها شاعر ارتبط بالشعب . وقد كان تشيوى يوان واحدا من اربعة عمالقة من اعلام الثقافة ، دعا مجلس السلام العالمى شعوب العالم بأسره فى عام ١٩٥٧ الى احياء ذكراهم .

تسونغتسى

ان ملفوف الارز اللزج بأوراق القصب هو الطعام التقليدى الذى يؤكل فى عيد دوانوو . وهناك قصة مسلية عن السبب الذى دعا الى لف الارز بهذه الطريقة . تقول القصة بأنه كان يعيش فى تشانغشا اثناء عهد اسرة هان الشرقية واحد من الاهالى يدعى أو هوى . وتصادف ان رأى أو هوى هذا رجلا اسبغ على نفسه لقب الوزير المسئول عن شئون الاسر الارستقراطية الثلاث (وهى وظيفة كان يشغلها تشيوى يوان) . وقال الرجل لأو هوى : " جميل منك جدا ان تقدم الى القرابين ، ولكن التنين فى النهر سرق معظمها والتهمها فأرجو منك مستقبلا ان تلفها بأوراق الازادرخت ، وان تربطها بخيوط ملونة ، فان التنين يخاف من هذين الشيئين ، ولذلك لن يلمس القرابين ابدا " .

وهكذا فعل الناس كما طلب منهم . وذلك هو السبب فى ان تسونغتسى يصنع الآن بهذه الطريقة .

تحدث كتاب « فنغ تو جى» (ملاحظات حول العادات المحلية) لتشو تشو من عهد اسرة جين عن " طبخ زلابية مثلثة الشكل من الدخن فى دوانوو فى منتصف الصيف" . وهذه الزلابية هى نفسها تسونغتسى التى نعرفها . وتضيف « الملاحظات» ان الدخن يلف بأوراق الارز البرى ، ويغلى فى عصير سميك حتى يطبخ جيدا ليؤكل فى اليوم الخامس من الشهر الخامس وفى الانقلاب الصيفى" . ومن المحتمل ان الدخن الذى يلف بهذه الاوراق ويطبخ فى هذا النوع من العصير لا يكون جيد المذاق ولا حسن المنظر ولا طيب الرائحة . وفى عهد اسرتى تانغ وسونغ كانت كافة الانواع من تسونغتسى متاحة . وجاء فى « شوى شى قوانغ جى» (ملاحظات متنوعة حول مناسبات الاعياد) انه كانت هناك انواع من التسونغتسى فى شكل مثلث او مخروط او اسطوانة او على شكل الصنجة المنزلقة للميزان القبانى . وكل هذه الانواع كانت تسمى تبعا للشكل الذى تصنع فيه . وقد لاحظ هذا الكتاب نفسه ان السكر والبلح قد يضافان فى اثناء صناعة تسونغتسى . وفى السنوات الاخيرة اصبح ممكنا ايضا اضافة بذور الصنوبر والكستناء والجوز والزنجبيل والقرفة الصينية والمسك وما شابه ذلك ، مما يجعلها دون شك اطيب مذاقا بكثير مما كانت عليه تسونغتسى الدخن فى الايام الخالية . وكانت تسونغتسى تصنع فى عصر اسرة مينغ بطريقة فاخرة جدا . وقد جاء فى كتاب « مينغ قونغ شى» (تاريخ القصر الملكى فى اسرة مينغ) ما يلى : " اغسل الارز اللزج حتى يصبح

نظيفا ، واخلطه بالبلح والكستناء وثمار البرسيمون المجففة واللوز والفاصوليا الحمراء ، ثم لفه بأوراق البامبو او اوراق الارز البرى . " وكان هناك ايضا التسونغتسى الشهير بنكهة اوراق الشيح الصينى . وعلى عهد اسرة تشينغ اصبحت هناك انواع كثيرة من تسونغتسى ولكل منها مذاق خاص . منها ما يصنع فى الشمال ، ومنها ما يصنع فى الجنوب ، والتى تصنع فى المطبخ الملكى ، وتلك التى يصنعها عامة الناس . ولكن التسونغتسى اللبنى التى كانت تصنع فى المطبخ الملكى فى بلاط تشينغ هى بالتأكيد افضل الانواع قاطبة ، اذ كان الارز الذى يستخدم فى صنعها ينقع ليلة كاملة فى الجبن قبل ان يطبخ . وكانت مئات الارطال من الجبن تستخدم فى صنع التسونغتسى للاحتفال بعيد دوانوو ؛

ومن انواع تسونغتسى الاخرى الجديرة بالذكر التسونغتسى بفخذ الخنزير فى يانغتشو ، والنوع الملفوف بأوراق البامبو ذو الخصائص الجنوبية ؛ جاء فى كتاب « يانغ شياو لو » المكتوب فى عهد اسرة تشينغ ان قلى ملفوف التسونغتسى الصغير المصنوع على شكل الكستناء المائية هو حقا " طعام تأكله آلهة الفردوس " . وقد تنوعت المواد التى تحشى بها التسونغتسى فى عهد اسرة تشينغ تنوعا كبيرا ، فكان منها البلح والسكر ودهن الخنزير وعجينة الفول والفواكه والخلطات المشكلة والكراميل الصلبة واليام الصينى وثمار الزعرور البرى والسمسم و " الخلطة الخماسية " التقليدية التى تحتوى الجوز وبذور البطيخ والفول السودانى وبذور عباد الشمس وبذور المشمش .

ومن الأصناف المشهورة من تسونغتسى فى زماننا تلك التى تصنع فى جياشينغ ونينغبوه وسوتشو وقوانغدونغ وبكين . والتى تصنع فى

جياشينغ مشهورة بنوعيتها المختارة ومذاقها الممتاز . وعلى سبيل المثال يصنع هناك تسونغتسى فخذ الخنزير من ارز جيد منقوع فى صلصة فول الصويا ومكعبات فخذ الخنزير المخلوطة بالسكر والنبيذ والملح ، وكل قطعة منه تحتوى على قطعة من اللحم الدسم بين شريحتين رقيقتين من اللحم الخالص ، فاذا طبخت تسرب الدسم الى الارز ليتشبع منه دون أن يصبح متشحما . كذلك فان تسونغتسى مقاطعة قوانغدونغ لها مذاقها الخاص ايضا حيث تحشى بمح البيض المملح أو بخلطة مشكلة من مثل مكعبات لحم الدجاج ومكعبات لحم البط ولحم الخنزير المشوى ومح البيض والفطر او عجينة الفول ، ثم يلف بأوراق اللوتس . ولذا يتميز هذا الصنف بحجم قطعه الكبير ، فتزن القطعة الواحدة نحو نصف كيلوغرام . وهناك ايضا تسونغتسى الارز الاصفر وهى خاصة بشمال الصين ، وتتميز بلزوجتها مع رائحتها الطيبة . ان الصينيين اذ يتناولون التسونغتسى فى احياء ذكرى شاعرهم العظيم تشيوى يوان قد ابدعوا ايضا اضافة فنية الى تراث مطبخهم العريق .

٦ ـ تيانكوانغ جيه (يوم هدية السماء)

عيد تيانكوانغ فى الاساطير

كلمة كوانغ تعنى هدية ، وتيانكوانغ تعنى هدية السماء . وفى العصور القديمة كان الاحتفال بعيد تيانكوانغ جيه يقام فى انحاء

كثيرة من البلاد فى اليوم السادس من الشهر القمرى السادس من كل عام .

وقد بدأ هذا العيد بعد اعادة توحيد الصين على يد الامبراطور الاول (شى هوانغ دى) من اسرة تشين حين ذهب الى محافظة تاي‌آن فى مقاطعة شاندونغ لتقديم القرابين الى السماء . وكانت القاعة الرئيسية فى معبد الداى فى جبل تايشان هى المكان المخصص لاقامة الشعائر . وفيما بعد اصبح اسم هذه القاعة قاعة تيانكوانغ : وتابع الاباطرة اللاحقون هذه السنة بالحج الى جبل تايشان فى تاريخ محدد وتقديم القرابين بوصفهم – فيما زعموا لأنفسهم – ابناء السماء .

وطوال هذه السنوات اعيد تجديد قاعة تيانكوانغ المرة تلو الاخرى ، بحيث تبدو اكثر فخامة عقب كل تجديد . كما اصبح اليوم السادس من الشهر القمرى السادس ايضا يوم عيد . وفى عهد اسرة سونغ زعم الامبراطور تشن تسونغ انه عرف ان كتابا تنزل من السماء على الارض فى اليوم السادس من الشهر القمرى السادس فى سنة معينة ، وانه جاء فى ذلك الكتاب " ان حاكما حكيما وامبراطورا مستنيرا سوف يحكم البلاد " طبقا لارادة السماء ، وان البلاد سوف تنعم فى ظله بالسلام والثراء .

ولكن البوذيين لهم قصتهم الخاصة التى يروونها عن تيانكوانغ جيه . فقيل ان بعض المجلدات من المخطوطات التى احضرها معه الراهب الشهير شيوان تسانغ فى اوائل اسرة تانغ لدى عودته الى البلاد من رحلة الغرب قد تعرضت للبلل بمياه البحر : وان تلك المجلدات لم تبق الى يومنا هذا الا بعد تعريضها للشمس وتجفيفها فى ذلك اليوم .

وكان البوذيون فى تشجيالغ يتبعون عادة تجفيف المخطوطات فى ذلك اليوم . وبمرور الوقت حل ترتيل المخطوطات محل تشميسها ، ودرج اتباع البوذية على التجمع فى المعابد مساء لليوم الخامس من الشهر السادس والترنم بتلك المخطوطات .

عادات العيد

فى ذلك اليوم يأكل الناس فى مقاطعة شاندونغ طعاما من دقيق القمح الذى يخبزونه أولا ، ثم يضيفون اليه الماء الساخن ويأكلونه بالسكر او الملح . ويمكن ان يؤكل فى ذلك اليوم ، او يحفظ لاستهلاكه فيما بعد . ويعتقد بعض الناس ان اكل الدقيق المخبوز فى ذلك اليوم يمكن ان يعالج الاسهال . وفى خبى يخزن الناس فى ذلك اليوم الماء لصنع الخميرة وتخمير الخمر التى يقال انها بذلك تكون معتقة الى حد كبير ولها شذا طيب .

ان اليوم السادس من الشهر القمرى السادس هو يوم من ايام الصيف القائظة . وفى كثير من الاماكن يقوم الناس فى ذلك اليوم بتعريض ملابسهم وفراشهم وكتبهم للشمس . وفى هونان يضع الناس الماء النظيف تحت اشعة الشمس ، بينما يقومون بتهوية وتشميس ملابسهم وكتبهم ، وذلك لتدفئة الماء وتهيئة حمام للاطفال ، وبعضهم يحمم الخيول وقطعان الماشية فى النهر فى ذلك اليوم على امل ان يكون فى ذلك تحصين لها من الامراض . واليوم اخذ عيد تيانكوانغ وما يرافقه من افكار زائفة يفقد بالتدريج دلالته واهميته .

٧ ـ تشيشى جيه (ليلة السابع المزدوج)

ليلة صيف حالمة مرصعة بالنجوم :

يقع الشهر القمرى السابع فى الصين فى الصيف الحار . وفى امسيات ذلك الشهر يجلس الناس بعد ان ينتهوا من عملهم اليومى فى افنية بيوتهم يروحون بالمراوح ترطيبا لأجسادهم ، بينما يرنون بأبصارهم الى السماء المرصعة بالنجوم ويروون حكايات الجنيات . ومعظم هذه الحكايات تتعلق بالنجوم . وتسمى ليلة اليوم السابع من الشهر السابع ليلة السابع المزدوج . ويقال بأنه فى تلك الليلة من كل عام يعبر راعى البقر والنساجة الجسر الذى مدته طيور العقعق ليلتئم شملهما من جديد فوق نهر المجرة (الطريق اللبنى) . نعم ! انظر فقط الى الطريق اللبنى فوق سمت الرؤوس ، ابيض مشبعا بالبخار متألقا بالضياء . ها هى النساجة تعبر المجرة بالتأكيد . ولكن المحظوظين فقط هم الذين سيتاح لهم ان يروا المشهد ، وان تم لهم ذلك خروا ساجدين على الفور مبتهلين بالدعاء طالبين الثروة او العمر المديد او مولودا ذكرا ، وسوف تتحقق لهم احدى تلك الرغائب الثلاث فى غضون ثلاث سنوات . ويقال ايضا ان بوابة السماء تكون مفتوحة على مصراعيها عندما تعبر النساجة النهر ، فاذا ما التقط احد حجرا ورماه الى السماء ، فلسوف ينقلب الحجر ذهبا عندما يسقط على الارض .



لقاء على جسر الطيور فى عيد تشيشي

راعى البقر والنساجة

ان قصة راعى البقر والنساجة متواترة على نطاق واسع حتى ان كل شخص فى هذه البلاد ، صغيرا كان ام كبيرا ، يعرفها . وهى ايضا الموضوع الذى يدور حوله حديث الناس فى تلك الليلة . واقدم كتاب سجل القصة هو « فنغ سو تونغ » (كتاب مرشد للعادات) الذى الفه ينغ شاو من اسرة هان الشرقية ويقول الكتاب : " فى ليلة السابع من الشهر السابع سوف تعبر النساجة النهر ، وتجعل طيور العقعق تؤلف من انفسها جسرا لها . " وهناك تسجيل اكثر تفصيلا فى تقويم « يوى لينغ قوانغ يى » : ففى فصل « الشهر السابع » الذى الفه فنغ ينغ جينغ فى عهد اسرة مينغ يقول التقويم : " هناك فى الضفة الشرقية للنهر السماوى تعيش نساجة ، ابنة للامبراطور السماوى ، سنة تأتى وسنة تذهب . وهى عاكفة على منسجها تصنع فى دأب واجتهاد ثوبا سماويا من حرير فى زرقة السحب وجمالها . انها مشغولة جدا حتى انها لا تجد وقتا للعناية بمظهرها . واذ يراها الامبراطور السماوى وحيدة مستوحدة يوافق على زواجها من راعى بقر فى الضفة الغربية ، ولكنها بعد الزواج تكف عن النسيج ، فيغضب الامبراطور السماوى ، ويطلب من النساجة العودة الى الضفة الشرقية . ولكنه يعد بأن يلتقى الاثنان مرة فى كل عام . "

غير ان فولكلور الازمنة الحديثة يروى قصة النساجة والراعى على نحو افضل . فتمضى القصة قائلة ان راعى البقر شاب امين مستقيم فى عمله ، وهو يتيم يعيش فى كنف اخيه الاكبر وزوجة اخيه ، وهى امرأة شديدة الدهاء والمكر تنجح فى نهاية الامر فى ارغامه على ترك



راعى البقر والنساجة

البيت ، ويسمح له بأن يأخذ معه عربة مكسورة وثورا عجوزا ويمنح قطعة من الارض القاحلة مساحتها ٢ مو نصيبه فى ميراث ابويه . اعتمد راعى البقر على الثور العجوز ليساعده فى كسب المعيشة . وغالبا ما كان يدعوه " الاخ الاكبر الثور" . تأثر الاخ الاكبر الثور لأن الفتى يعيش وحيدا ، ووعده بأن يجد له زوجة ، ويسر اليه بأنه فى يوم معين من شهر معين سوف تنزل سبع فتيات جنيات الى عالم البشر ليلعبن ويستحممن الى جانب النهر الفضى ، وانه اذا نجح فى اختطاف ثوب من ثياب اولئك الصبايا الجنيات فستغدو صاحبته زوجة له . ويتبع راعى البقر نصيحة الاخ الاكبر الثور ويسرق ثوب الصبية للنساجة ويعود به الى البيت ذات ليلة مقمرة يلفعها الضباب . وهكذا يصبح الاثنان زوجا وزوجة ، ويعيشان فى حب عميق . وفى غضون ثلاث سنوات يرزقان بولد وبنت ، وتغمرهما السعادة . ولكن الامبراطور السماوي يكتشف ذلكِ ، ويرسلِ الامبراطورة الام لارجاعِ

الصبية النساجة لمحاكمتها فى المحكمة السماوية . ويفترق الزوجان .
اما الراعى الذى لا يجد طريقا الى السماء فيستولى عليه الحزن . ولا
يطيق الاخ الاكبر الثور تحمل هذا الفراق ، فيكسر احد قرنيه ويتخذه
قاربا . ويبحر الراعى مع طفليه فى القارب على متن السحب ذاهبا
فى اثر زوجته . وعندما يوشك على اللحاق بها ، تلتقط الامبراطورة
الام دبوسا ذهبيا من شعرها تشق به خطا فى الفضاء ، وسرعان ما يظهر
نهر سماوى عاصف الامواج ، فلا يستطيع الراعى والنساجة اللذان
فرق بينهما الموج الا ان ينظرا الى بعضهما عبره . ولكن حبهما الصادق
يستثير مشاعر العنقاء ذات القلب العطوف ، فتدعو كل طيور
العقعق فى العالم الى ان تشكل من انفسها جسرا فوق النهر ليعبر فوقه
الزوجان ويلتئم شملهما فى مساء اليوم السابع من الشهر السابع . وتذهب
الاسطورة الى انه فى ذلك اليوم يسقط من السماء كثير من ريش
الطيور لأن الطيور قد ذهبت جميعا لتصنع الجسر الذى يعبر عليه
الراعى والنساجة .

ان النسر الطائر والنسر الواقع (نجمى السماء المعروفين فى هذه
البلاد باسم نجم راعى البقر ونجم النساجة على التوالى) يظهران فى
السماء وقد فصل بينهما " نهر " ، ويظهران متقاربين كأنهما على وشك
اللقاء . ولكن المسافة التى تفصل بين النجمين حقيقة كما يحددها
علم الفلك تبلغ ست عشرة سنة ضوئية او ١٥٠ الف بليون كيلومتر .
فحتى لو اخذ راعى البقر سفينة فضاء تمضى بسرعة الضوء فان عليه
ان يسافر ستة عشر عاما حتى يجتمع شمله مع النساجة . غير ان
تلك القصة تشير الى الواقع القاسى الذى كان قائما فى الصين الاقطاعية ،

الا وهو فقدان الرجال والنساء حقهم فى حرية اختيار شريك الزواج . وان انتهاء القصة بلقاء الرجل وزوجته على جسر من العقاعق فى ليلة اليوم السابع من الشهر السابع ليمثل رغائب الشعب الكادح فى حياة اكثر سعادة .

الاشعار والاغانى ليلة السابع المزدوج

اوحت القصة الجميلة عن راعى البقر والنساجة الى عدد يند عن الحصر من رجال الادب فى الامس واليوم بكتابة كثير من الاشعار الغنية ، تفيض بالمعانى القوية والمشاعر الرقيقة : واقدمها واجملها تلك القصيدة الغنائية الكلاسيكية (الا ما ابعده نجم راعى البقر) التى وردت فى « ون شيوان » (قطع ادبية مختارة) والتى نشرها شياو تونغ فى عهد اسرة ليانغ .

تقول القصيدة فى نصها الكامل :

الا ما ابعده .. نجم راعى البقر ،
وما احسن اشراقه ! .. نجم النساجة الى جانب النهر .
بيديها الناعمتين .. الناعمتين البيضاوين
تعمل مستغرقة ، مستغرقة مع المكوك فى المنسج ،
وعلى مدى يوم كامل لا تستطيع أن تصنع قطعة جميلة
من قماش .
تنشج وتبكى بدموع تساقط مثل
المطر .
يبدو الماء فى النهر صافيا ضحلا ،

ولكن من يعرف كم من الوقت يلزم للسفر حتى يرى
كلاهما الآخر ؛
والعاشقان اللذى فصل بينهما الماء
يعدمان الوسيلة للقاء !؟

والقصيدة الغنائية « السحب » التى نظمها تشين قوان من عهد اسرة سونغ ، والتى تغنى بلحن « تشيوه تشياو شيان » هى بحق من روائع النصوص التى تتخذ من الحب فكرتها الاساسية . واحاسيس الشاعر فى هذه القصيدة احاسيس صادقة عميقة ، والكلمات التى استخدمها نابضة بالاخلاص ، والمقاطع مكتوبة بطريقة جميلة .. ويمكن ترجمتها على سبيل التقريب هكذا :

السحب تبدل اشكالها بطريقة مبدعة .
واذ يفصل الطريق اللبنى بينهما ،
يبدى كلاهما لوعة الفراق .
يعبران النهر العريض خلسة
مرة واحدة كل عام لا غير ، فى ليلة معطرة الانداء والانسام .
وان لحظة تجمع شملهما لأحلى من كل لقاءات
الارض .
اللقاء عابر كحلم ،
وسرعان ما تحين لحظة الفراق مرة اخرى ،
فينظران بحزن الى الطريق خلفهما فوق جسر العقاعق .
ولكن .. اذا كان يقال ان حبهما باق الى الابد ،
فلا يهم كثيرا انهما لا يستطيعان البقاء معا نهارا بعد ليل
وليلا بعد نهار ،

هل ستكون لى يدان بارعتان ؟

تحكى الاسطورة ان النساجة كانت ذات يد بارعة فى النسج ؛ وليلة السابع المزدوج معروفة ايضا بين الفتيات بأنها الليلة التى سيكتشفن فيها ان كن سيصبحن ذوات ايد بارعة ام لا ؛ ويعنى هذا ان ذلك هو اليوم الذى تتضرع فيه الفتيات الى النساجة لتهبهن يدين رشيقتين ماهرتين . وفى العصور القديمة كانت هناك طريقتان مختلفتان لـ "التضرع من اجل يدين ماهرتين" ؛ احداهما استطلاع ما اذا كانت الفتاة ستكون من ذوات الايدى البارعة او الغشيمة عن طريق التنجيم ، وذلك بأن يوضع عنكبوت صغير فى صندوق ، وينظر اليه فى اليوم التالى ليرى ما اذا كان قد صنع نسيجا ام لا ، وهل النسيج محبوك العقد ام مفكك ، وهل هو فى صورة حسنة ام لا . فان كان النسيج محبوكا حسن الصورة فانه ينبئ عن فتاة ماهرة . اما الطريقة الثانية فكانت معروفة باسم "طلب المهارة" . "ففى الشهر السادس تنقع حبات البسلة الحلوة او الفول فى ماء من البئر ، ويغلق عليها وتبقى بعيدا عن الضوء ، ويغير ماؤها كل بضعة ايام حتى يصبح طول النبتة الجديدة قدما ، فتربط النبتة من وسطها بشريط احمر ، وتقوم الفتاة بعد ان تسجد لنجمى راعى البقر والنساجة بتكسير النبتة الى ما يعادل بضعة فنات* طولا ، وترميها فى حوض من الماء الصافى ، ثم تذهب فى اليوم التالى قبل شروق الشمس لترى اذا ما كان انعكاس النبتة فى قاع الحوض مستطيلا ومستدقا كالابرة ، فان كان كذلك

---

* الفن : ٣ ستيمترات .

فهذا يعنى انها ستكون فتاة ماهرة وسيكون لها يدان رشيقتان . " ويقال انه فى ليلة السابع المزدوج يمكن للمرأة الشابة عندما يهدأ كل شيء ان تختبئ فى جانب البئر القديمة او ظل كرمة وتحبس انفاسها وترهف سمعها مصغية ، .فان استطاعت ان تسمع الهمسات التى تدور بين النساجة والراعى مهما كانت غامضة او مبهمة فسوف تصبح امرأة بارعة ذات يدين رشيقتين . ولذلك فان ليلة السابع المزدوج يشار اليها فى بعض الاماكن ببساطة على انها " ليلة النساء " . وفى تلك الليلة تجتمع النساء للدخول فى مباراة فى شغل الابرة . وقبل ان تبدأ المباراة يفرش البطيخ والفواكه الاخرى على مائدة العشاء تقدمة وقربانا للنجمين . ثم تبدأ كل منهن فى نظم خيوط ملونة فى ثقوب تسع ابر . ومن تفرغ منهن اولا ، تكن هى الفائزة التى يفترض انها تبز الجميع مهارة .

٨ ــ تشونغيوان جيه (عيد منتصف العام)

طبقا لعادة صينية قديمة يعتبر الخامس عشر من الشهر القمرى الاول شانغيوان جيه (عيد الجزء الاول من العام) او " يوانشياو جيه " (عيد الفوانيس) . ويعتبر الخامس عشر من الشهر السابع " تشونغيوان جيه " (عيد منتصف العام) ، والخامس عشر من الشهر العاشر " شيايوان جيه " (عيد الجزء الاخير من العام) . وتشونغيوان جيه هو عيد بوذى من الناحية الفعلية .

وثمة روايات كثيرة مختلفة عن اصل هذا العيد ، تقول احداها انه يوم ميلاد ساكيامونى مؤسس البوذية ، اذ يقال انه ولد فى اليوم الخامس

عشر من الشهر السابع فى عام قوى تشو (انظر ملحق ٢) ، وان امه كانت مهامايا زوجة الملك سادهودانا . ورواية اخرى تقول ان مبعوثا يأتى من العالم السفلى فى ذلك اليوم الى عالمنا هذا ليرى كيف سلوك الناس هنا ؛ هل يفعلون الخطايا ام يقومون بحميد الفعال ؟ وتقول الرواية ان الارواح الجائعة التى تلقى التعذيب فى العالم السفلى لا يمكن ان يصفح عنها هذا المبعوث الا بسؤال الكهنة الطاويين ان يواصلوا ترتيل طقوسهم ليل نهار . ولكن هناك قصة اكثر شعبية تقول ان الها ، اسمه موليان ، قد ارسلت امه بعد موتها لسوء الحظ الى حيث تقاسى الارواح الجوع . فكان كل شيء يوضع فى فمها هناك يتحول الى ألسنة متأججة من اللهب ، وهكذا لم تكن تستطيع الاكل على الاطلاق . وليستنقذ مو ليان امه من هذا العذاب خرج من بيته سعيا الى مساعدة بوذا الذى اطلعه على مجلد كامل من لامبانا سوترا ، وهى السوترا التى سوف تنقذ الناس من ان " يعلقوا من اقدامهم " اى من الازمنة الرديئة . ويقال انه بانشاد هذه السوترا فان كل الآلهة من الاركان الاربعة سوف يأتون لانقاذ ام مو ليان ، ولذلك فان مو ليان ينشد هذه السوترا فى ذلك اليوم .

وبناء على هذه القصة فان الاغنياء الذين يؤمنون بالبوذية ويعتنقون المبدأ القائل " ان قيام المرء بواجباته ازاء ابويه هو اول وافضل عمل يمكن ان يؤديه . " . هؤلاء الناس غالبا ما يطلبون من الرهبان والراهبات انشاد السوترا فى ذلك اليوم ، املا فى ان لا يقاسى آباؤهم فى العالم الآخر . ويقام مذبح بوذى الى جانب مائدة تصف عليها مبخرة وتقدمات من اجل ان يقوم الكهنة بانشاد لامبانا سوترا من اجل الموتى ومن اجل

الآباء والاسلاف حتى سبعة اجيال ماضية . كذلك يخرج هؤلاء الناس الصدقات الى الرهبان والراهبات والمساكين فى ذكرى آبائهم . كما يذهب كثير من الناس الى القبور لتقديم الاحترام الى الاسلاف ، حيث يحرقون النقود الورقية او الورق المفضض اعرابا عن حدادهم ، وتنشد السوترا ايضا فى ذلك اليوم على حدة عزاء للارواح الجائعة والوحيدة فى كل مكان . ولذلك فان هذا اليوم يسمى ايضا "عيد الارواح" . ويمكن القول ان العادات المرعية فى تشونغيوان هى بطبيعتها اكثر العادات الشعبية تشبعا بالخرافة فى الصين .

وسرعان ما تطور انشاد لامبانا سوترا الى شعيرة تنشد فيها السوترا نهارا ، وتعوم الفوانيس المضاءة ليلا على صفحة النهر . وفى جنوب الصين فى عهد اسرة مينغ كان يضاء ستة وثلاثون فانوسا تعوم على النهر فى الليل . وكان يقال ان تلك الفوانيس تضاء لتقدم يد المساعدة الى الارواح الهائمة التى لا تجد مأوى تثوب اليه . وكانت تنتشر فى يوننان عادة مشابهة ايضا . وفى ذلك اليوم من الشهر تصنع كل اسرة بعض فوانيس اللوتس وتتركها على جانب الطريق او فوق الماء " لتضئ الطريق للأرواح الخاطئة حتى تستطيع ان تتقمص جسدا جديدا " . واذا غرق المصباح فى النهر ، فان ذلك يعنى ان روحا خاطئة قد التقطته . اما اذا بقى طافيا ، فان ذلك يعنى انه لا ارواح خاطئة فى هذا المكان . وكانت الفوانيس تصنع على هيئة الاوز البرى والسمك والسلاحف وما شابه ذلك ، وتلقى الى النهر قرابين للآلهة . ولا شك ان الفوانيس الكثيرة الصغيرة التى تلمع وتتحرك على صفحة النهر فى ليلة مقمرة فى بواكير الخريف كانت تشكل مشهدا رائعا بغض النظر

عن قصص الارواح والآلهة .

وفى مقاطعة شنشى يتجمع الناس ليلة العيد ويشربون ، ويدعون ذلك " تعليق المعزقة " ، او يرفعون اعلاما مثلثة الشكل بخمسة ألوان فوق قطعة من الارض حيث تنمو المحاصيل جيدا ، ويدعون هذه الاعلام " اعلام الحقل " ، ويرون فيها رمزا لحصاد طيب . وفى جيانغسو تقطع الاوراق من مختلف الألوان على شكل بتلات الازهار فى حافة طاس به زيت للاضاءة . ويعرف هذا باسم " شمعة كسيتيكاربا " . وفى تشاوآن بمقاطعة قوانغدونغ تشيع قصة تدور حول احد ملاك الاراضى الكبار ، ويدعى شيوى كان . لقد استأسد على السكان المحليين ، مما استثار حفيظة الفلاحين واستنفرهم الى الثورة ، فاختاروا يوم الخامس عشر من الشهر السابع يوما لانتفاضتهم حين تجرى اقامة شعيرة قراءة اللامبانا . وتمكن الثائرون الذين انقسموا الى تسع مجموعات من القضاء على كثير من الطغاة المحليين واعضاء الطبقة المستبدة . ولكن الثورة قمعت فى النهاية بوحشية . واحياء لذكرى الضحايا الابرياء الذين قتلهم الطغاة فى تلك الانتفاضة يحرق الفلاحون فى تلك الناحية البخور فى مثل ذلك اليوم من كل عام .

٩ ـ تشونغتشيو جيه (عيد منتصف الخريف)

لماذا يحتفل بعيد منتصف الخريف ؟

يأتى عيد منتصف الخريف فى اليوم الخامس عشر من الشهر القمرى الثامن من كل عام . فلماذا يطلق عليه هذا الاسم ؟ ان الشهر

القمرى الثامن طبقا لنظام التقويم القديم هو فى منتصف الخريف (حيث يتألف ذلك الفصل من الشهر السابع والثامن والتاسع) ، واليوم الخامس عشر من الشهر الثامن هو منتصف الشهر (حيث الشهر ثلاثون يوما) . وذلك هو السبب فى اطلاق اسم عيد منتصف الخريف على ذلك اليوم . ويعتقد ان القمر فى ليلة ذلك اليوم يكون بدرا اكثر اشراقا واكتمالا من بدر اى شهر آخر ، وان ضياء القمر فيها يكون فى غاية التألق . وفى الصين يعتبر البدر الكامل ايضا رمزا لاجتماع شمل الاسرة بعد تفرق ، ولذلك يطلق على هذا اليوم ايضا " يوم التئام الشمل . "

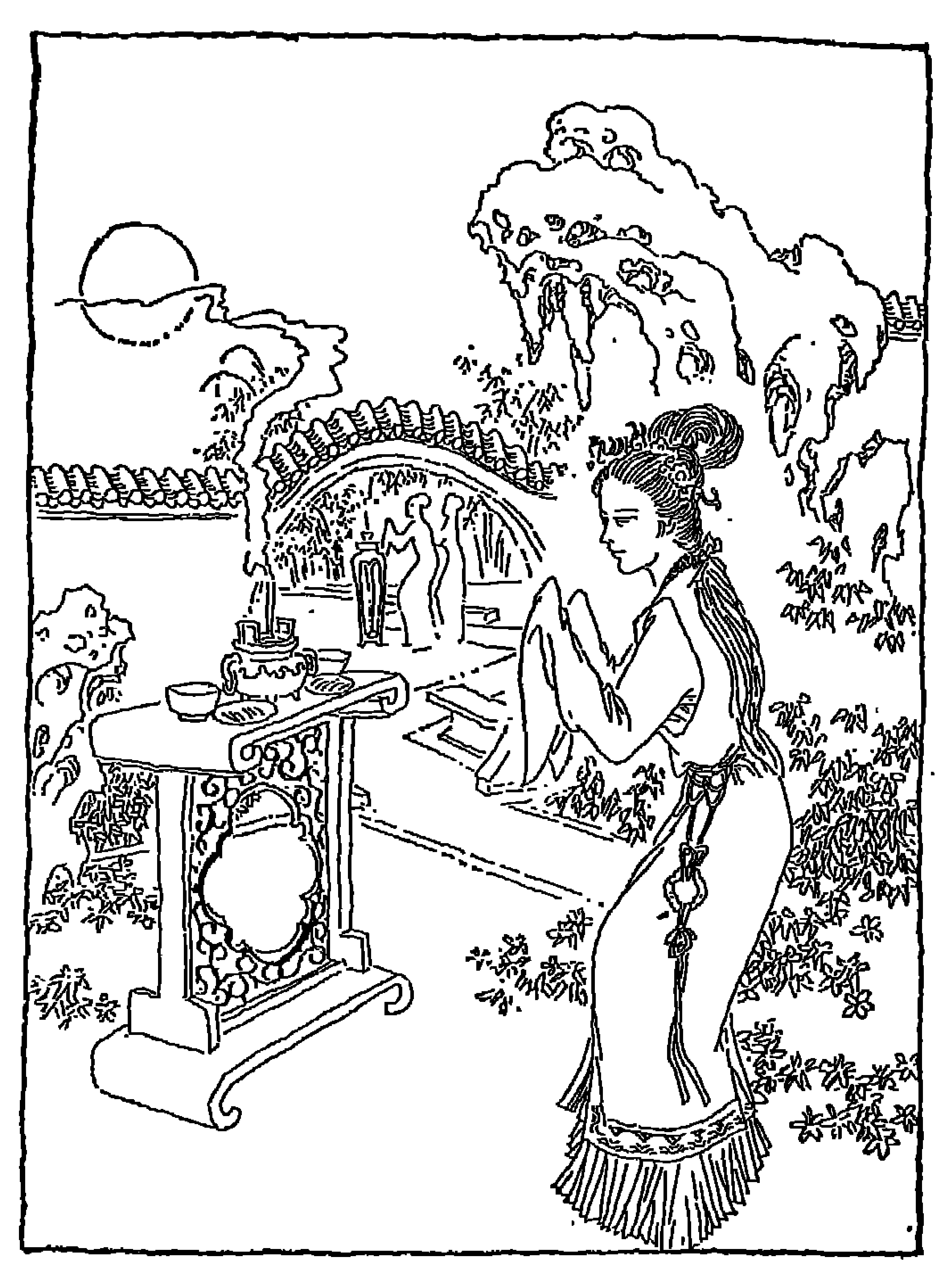
ان هذا اليوم مناسبة عظيمة ، لأن هناك كثيرا من الخرافات والاساطير التى تدور حول القمر . واكثرها شيوعا اسطورة تشانغ أ التى طارت الى القمر ، اذ يقال انه كان هناك فى العصور الموغلة فى القدم عشر شموس تشرق فى السماء فى وقت واحد . و"كان ضوء الشموس حارا كالنار ، وكان الماء فى البحار الاربعة يغلى من الحرارة ، والجبال تتصدع ، والارض تتشقق ، والنباتات تشيط وتحترق . " ولم يكن الناس يجدون ملجأ يلجأون اليه من لهيب هذا الحر . هنالك شد رجل يدعى " هو يى " قوسه فرمى تسعا من هاتيك الشموس فأسقطها بضربة واحدة بفضل بسالته وبراعته : وبذلك ساعد الناس على النجاة من كارثة محدقة بهم ، فحظى بحبهم واحترامهم وجعلوه ملكا . ولكنه بعد ان اصبح ملكا اخذ ينغمس فى معاقرة الشراب ومعاشرة النساء ، وشرع يقتل الناس كما يشاء ، جاعلا من نفسه طاغية وهدفا لكراهية كل شخص . واذ كان يدرك ان ايامه معدودة ، فقد ذهب الى الامبراطورة

الام فوق جبل كونلون سعيا الى اكسير يمنحه الابدية . بيد ان زوجته تشانغ أ التى لم تكن ترغب فى ان يعيش زوجها الى الابد فيحل الخراب والدمار بالناس على يديه اخذت الاكسير لنفسها وابتلعته ، وسرعان ما وجدت الريح تعزف تحت قدميها ، واحست انها خفيفة كسحابة . ولم يمض وقت طويل حتى اخذت تطير فى الهواء . وقد كانت دائما تحب ضوء القمر فناجت نفسها قائلة : حبذا لو طرت الى قصر القمر ولبثت هناك برهة من الوقت . فما ان خطرت هذه الفكرة ببالها ، حتى وجدت نفسها تهبط فوق سطح القمر . وفى قصر القمر قابلت شيخا عجوزا يدعو نفسه وو قانغ ، ارسل الى هناك ليقطع شجرة سنط العنبر عقابا له على خطأ ارتكبه فى اثناء دراساته التى كان يقوم بها ليصبح خالدا . ولكنه كلما صنع فتحة فى الشجرة التأمت بمجرد ان يسحب الفأس ، وهكذا كان عليه ان يبقى مكبا على قطع الشجرة المرة تلو المرة الى ما لا نهاية .

وجدير بالذكر هنا ان الانسان عندما كانت معرفته بالطبيعة بدائية جدا ، وكان عاجزا عن ايجاد تفسير للظلال التى على القمر . . اخترع القصة تلو الاخرى لينفس عن خياله . . ذلك الخيال الذى كان يصدر عن قصد حسن . وبسبب من هذه الاساطير الممتعة نشعر ان عيد منتصف الخريف من احفل المناسبات بالشاعرية والفتنة ومن اكثرها اثارة لانطلاقات الخيال الساحرة .

عبادة القمر

من العادات القومية تقديم القرابين الى القمر فى عيد منتصف الخريف



عبادة القمر في عيد منتصف الخريف

وكانت القبائل البدائية فى الماضى البعيد ترقص وتحتفل بالحصاد الطيب فى ضوء القمر وعلى ضوء المشاعل ليلا . وقد يكون ذلك مقدمة لشعيرة تقديم القرابين الى القمر . وتدل السجلات التاريخية القديمة على ان الناس فى عهد اسرة جين طوروا عادة عبادة القمر بالسجود والمرح تحت ضوء القمر طوال الليل . وفى عهود الاسر التالية جعلها الاباطرة قاعدة ايضا تقدم خلالها القرابين الى القمر فى تلك الليلة ، جعلوها شعيرة دعاء ان يكون الحصاد وفيرا ، وكانت تلك الشعيرة تقام وسط الموسيقا . ومع مضى الزمن اخذت الاحتفالات بالعيد تزداد بهجة وتلونا . ومن المحتمل انه فى عهد اسرة سونغ الشمالية اصبح الناس بصورة عامة يعتبرون عيد منتصف الخريف مهرجانهم الخاص . ويذكر « دونغجينغ منغ هوا لو» (ذكريات عن العاصمة الشرقية) ان دونغجينغ (العاصمة الشرقية – كايفنغ حاليا) عاصمة اسرة سونغ كانت تحفل بصورة خاصة بالنشاط فى ليلة عيد منتصف الخريف . وكانت واجهات محلات الخمور التى تبيع الخمرة المعتقة تدهن بطلاء جديد ، وتزين مداخلها بالفوانيس وحبال الزينة المدلاة ؛ وكانت محلات الفواكه تفيض طبعا بفواكه الموسم ، بينما تنشط السوق نشاطا بالغا فى المساء . وكانت كل موائد الحانات تحجز مقدما لأولئك الذين يتمتعون برؤية ضوء القمر بينما يرتشفون كأسا من الخمر .

وعندما يخيم الليل ويشع القمر فوق الرؤوس ، ويتنفس الليل انساما لطيفة عبقة بالشذا الحلو لأزهار سنط العنبر ترطب صدور الناس . . فلا بد ان يكون ذلك كله خبرة بالغة الروعة . وكانت الآلاف

بعد الآلاف من الاسر تنصب الموائد فى ساحات الدور تحت ضياء القمر ، وعليها يحرقون البخور وينشرون فواكه من كافة اصناف الموسم . وكانوا يطبخون فول الصويا والفول السودانى المتبل والقلقاس . ويضعون فى وسط المائدة كعكة كبيرة من كعك القمر مقطعة الى شرائح بعدد افراد الاسرة . وفى المبخرة التى يحترق فيها البخور يرشق عود طازج من نبات فول الصويا على انه شجرة سنط العنبر فى القمر . وعندما يصبح كل شيء مرتبا ومنسقا ، يتقدم افراد الاسرة جميعا ، كل فى دوره ، فيسجدون للقمر . وعبادة القمر تعنى من الناحية الفعلية تقديم آيات الاحترام الى تشانغ أ التى يزعمون انها تقيم فى قصر القمر . ولما كانت تشانغ أ انثى والقمر ايضا يفترض انه انثى ، لذلك ترأس احدى النساء عموما اقامة الشعائر شعيرة اثر الاخرى . وتجلس الاسرة بكاملها سويا فى حلقة دائرية يأكلون من القرابين ، ويتجاذبون اطراف الاحاديث . ويبدأ كبار السن فى سرد الحكايات الاسطورية عن قصر القمر على مسامع الاطفال ، بينما المستمعون ينصتون الى راوى القصة مأخوذين ، وابصارهم مشدودة اليه .

كان اباطرة اسرتى مينغ وتشينغ يرأسون فى كل عام طقوس عبادة القمر . وكانت الطقوس التى ترعى اقامتها الامبراطورة الارملة " تسى شى " من اسرة تشينغ تتميز بصفة خاصة بالاتقان والتفصيل والتعقيد ، وبأنها تجرى على نطاق واسع غير مسبوق : ففى تلك الليلة كانت الامبراطورة الارملة ، يحف بها موظفو البلاط والوصيفات ، تشرف بنفسها على اقامة الشعائر فى قاعة باى يون (قاعة تبديد السحب) فى القصر الصيفى : وكانت القرابين — فضلا عن كعكات القمر المنتخبة

من اجود الاصناف ، وجذور اللوتس ذات العقد السبع ، وكافة اصناف الفاكهة - تتضمن ايضا " زهرة القمر " - " يوه هوا " - صنعها خصيصا رئيس الطهاة الملكى ويبلغ قطرها عدة اقدام ، ولم تكن الاسرة الملكية تستخدم تعبير " يوه بينغ " (كعكة القمر) لأن كلمة المرض تنطق ايضا بنفس الصوت " بينغ " ، ولذلك كانوا يفضلون ان يسموها " يوه هوا " بدلا من ذلك . وكانت تنقش على الكعكة رسوم تصور قوانغ هان قونغ (قصر القمر الواسع والبارد) وشجرة سنط العنبر وتشانغ أ . وكانت التقدمات تتضمن ايضا بطيخة كبيرة يقطعها افضل الطهاة الملكيين الى عدة قطع دون ان يصل بها الى النهاية حتى تبدو كزهرة نيلوفر كاملة التفتح . وكان يطلق عليها " بطيخة النيلوفر من اجل اجتماع الشمل الكبير " ، وتوضع فى صحفة كبيرة من البرونز مصنوعة ايضا فى شكل نيلوفرة . وبعد انتهاء الطقوس كانت كعكة القمر الضخمة تقطع الى شرائح وتوزع مع البطيخ كانعام ملكى على المحظيات فى الحريم والخصيان ووصيفات القصر . اما الامبراطور والامبراطورة فيأخذان قاربا من قوارب التنين ، تصحبهم الحاشية فى قوارب اخرى تسبح جميعا على صفحة بحيرة كونمينغ طلبا للمتعة . وكانت اطايب الطعام تقدم فى القوارب ، الامر الذى كان يعرف باسم " حضور المأدبة وركوب القارب بعطف امبراطورى " وآنذاك كانت الألعاب النارية تعرض فوق البحيرة ، بينما تطفو فوق صفحتها فوانيس النيلوفر .

كانت حديقة يوه تان (مذبح القمر) خارج بوابة فو تشنغ من فى بكين هى الموقع القديم الذى يعبد فيه الاباطرة القمر . وقد بنيت هذه الحديقة فى السنة التاسعة من حكم جيا جينغ (١٥٣٠ م) من اسرة

مينغ . وكان المبنى الرئيسى هناك مذبحا لتقديم القرابين الى القمر . وهناك ايضا ملحقات له من منشآت وتجهيزات اقيمت من اجل هذا الغرض ، مثل : برج الجرس ، وقاعة تغيير الملابس ، ومخزن حفظ آنية القرابين ، ومقصورة ذبح الحيوانات التى تقدم قرابين ، والمطبخ الذى تطبخ فيه .

كعكة القمر

من عادة الناس فى الصين ان يتناولوا طعاما خاصا فى كل عيد تقليدى . فهم مثلا يأكلون الكعك المنضج بالبخار فى اليوم التاسع المزدوج . وفى عيد منتصف الخريف يأكلون كعكة القمر ذات الشكل المستدير ، والتى تسمى ايضا "كعكة التئام الشمل" .

وقد بدأ الناس يصنعون كعكة القمر فى عهد اسرة تانغ ، واصبحت من الفطائر الشائعة فى عهد اسرة سونغ . وقد جاء فى كتاب « يانجينغ سوى شى جى» (ذكريات عن ايام الاعياد فى بكين) ان "كعكات القمر التى تقدم قربانا للقمر كانت متوفرة فى كل مكان ، وكانت الكعكة الكبيرة منها تتجاوز القدم فى قطرها ، وعليها نقوش تمثل قصر القمر وارنب القمر . وبعض الناس يأكلونها عقب مراسم تقديم القربان ، وآخرون يحتفظون بها حتى عشية العام الجديد" . وقد كتب سو دونغ بوه من عهد اسرة سونغ مقطوعة من الشعر بعنوان "كعكة القمر" يقول فيها :

قطعة صغيرة من الكعك ، تأكلها كأنك تقرقش القمر
لها طعم الغريبة ، وبداخلها سكر الشعير .

وفى عهد اسرة مينغ كان من عادة الناس ان يتبادلوا كعكات القمر اسلوبا فى التحية فى اجتماع يضم شمل الاسرة . وفى عهد اسرة تشينغ اصبحت كعكة القمر تحشى جيدا بعجينة الجوز . ولذلك فان كعكة القمر فى ذلك العهد تشبه تقريبا ما نصنعه منها الآن ، وتختلف طرق صناعة كعكة القمر من مكان لآخر ، ولذلك فان مذاقها ايضا مختلف . ولكل نوع منها شيء خاص يميزه . فالتى تصنع فى سوتشو تشبه الغربية ، وتتكون من بضع طبقات تحتوى على الجنكة وعجينة الفول والملح المتبل ولحم الخنزير . اما التى تصنع فى بكين فتصنع بزيت الخضروات ، وتحشى بالخضروات . وكعكات القمر المصنوعة فى تشاوتشو مشبعة بالزيت وشديدة الحلاوة . وكعكات قوانغتشو غنية بالزيت حسنة المنظر ، وبها كمية كبيرة من الحشو داخل عجينة رقيقة . اما حشوات الكعك ، فتكون من عجينة جوز الهند او عجينة بذور اللوتس او تشكيلة من بذور الفاكهة والجوز والبندق او مح البيض او لحم الدجاج او فخذ الخنزير او زهرة سنط العنبر والعجوة . وفى عيد القمر يروج بيع كعكات القمر هذه كانتشار النار فى الهشيم .

كذلك تختلف العادات المرعية فى هذا العيد من مكان لآخر . ففى بعض الاماكن يذهب الناس لمشاهدة المنظر الجميل المتمثل فى ازدهار اشجار سنط العنبر فى عيد منتصف الخريف . وفى اماكن اخرى يقيمون غداء يجتمع حوله شمل الاسرة حيث يشربون النبيذ الحلو ، ويأكلون جذور اللوتس وثمار الكستناء المائية . وما زال الناس فى اماكن اخرى يعرضون فوانيس الزينة ، ويغنون الاغانى الشعبية .

ولكن النظرة الى عيد منتصف الخريف فى كل مكان تؤكد انه المناسبة التى يلتئم فيها شمل الاسرة ، ولذلك جرت العادة فى ذلك اليوم ان تعود المرأة المتزوجة التى تقيم مع ابويها الى زوجها ، فتنضم اليه والى بقية اسرته .

اشعار حول القمر

درج رجال الادب فى العصور القديمة على ان يروا فى القمر رمزا للاشراق والنقاء والخير . وقد خلف لنا الشعراء الصينيون من العصور السابقة طائفة كبيرة من القصائد الغنائية تدور حول القمر . فهذا دو فو كتب معبرا عن مشاعر رجل يعيش فى ارض غريبة ، مقاسيا آلام الغربة والحنين الى الوطن فقال :

بيضاء سوف تصبح الانداء منذ الليلة ،
ومشرقا هو القمر فوق موطنى .

وكتب وانغ آن شى فى الحنين الى الوطن والماضى :

الآن ، وقد جعلت ريح الربيع الاشجار فى
جيانغنان* مخضرة بالحياة ،
فيا ليت شعرى متى يضىء القمر طريقى الى الوطن .

اما لى باى ، فيشخص القمر فى احدى قصائده قائلا :

ارفع كأس سائلا القمر ان يشاركنى شرابا ،
مواجها ظلى . . هناك الآن ثلاثة منا .

---

* تعبير جغرافى فضفاض يشير الى الاماكن فى شرقى الصين جنوب تشانغجيانغ (نهر اليانغتسي) .

والقصيدة الغنائية التى تقع فى لحن « شوى دياو قه تو » ، والتى كتبها سو شى ، هى قطعة رائعة لا نظير لها ، والبيتان الاخيران منها مفعمان بروح الامل ورحابة الافق ، لا يملك القارئ معهما الا ان يستشعر نفحة من الالهام واحساسا بالرضا يغمرانه . ويقول البيتان :

لذا دعنا ، والف ميل تفصل بيننا ، نعش طويلا ،
ومعا نستمتع بالقمر الجميل .

ومثل الشعر هناك بعض الالحان الموسيقية التى تتخذ من القمر فكرة رئيسية تدور حولها . ومن امثلة هذه الالحان « القمر فوق جبل قوانشان » القطعة الموسيقية القديمة التى تعزف على آلة تشين (آلة للنقر لها سبعة اوتار) ، و« انعكاسات القمر فى البحيرات الثلاث» لموسيقى قوانغدونغ ،و« انعكاسات القمر فى نافورتين » للموسيقى الشعبى الراحل آ بينغ .

١٠ ـ تشونغيانغ جيه (التاسع المزدوج)

قصة العيد

اليوم التاسع من الشهر القمرى التاسع هو عيد تشونغيانغ التقليدى للشعب الصينى . وفى العصور القديمة كان الناس ينظرون الى الرقم تسعة باعتباره رقما " يانغ" (اى ايجابيا ومذكرا) يشير الى حسن الطالع والسعادة والمستقبل المشرق .

وهذا اليوم المتميز برقمي يانغ ، يوم يانغ فى شهر يانغ ، يدعى

" تشونغيانغ " (اى "يانغ المزدوج" ، او " التاسع المزدوج") .
وكلمة " جيوجيو" الصينية (اى : تسعة ، تسعة) تنطق كما تنطق الكلمة التى تعنى : السلام الدائم . وقد قدر الناس فى الصين على الدوام هذه التورية التى تنطوى عليها كلمة " جيو جيو" . فكان القصر الامبراطورى على سبيل المثال فى عهد اسرتى مينغ وتشينغ يضم ٩٩٩٩ حجرة . ويعود الاحتفال بعيد تشونغيانغ الى عهد اسرة هان الشرقية منذ حوالى الفى عام .

ففى عهد اسرة هان كان هناك رجل من محافظة رونان يدعى هوان جينغ . وكان تلميذا لراهب بوذى يدعى فى تشانغ فانغ . وذات يوم حذر " فى" تلميذه قائلا له : " ان كارثة ستطوف ببيتك فى اليوم التاسع من الشهر التاسع ، فأبلغ كل فرد فى اسرتك حالا ان يصنع كيسا احمر يضع فيه ثمار القرانيا ، وان يربطه حول ذراعه ، ويذهب ويتسلق جبلا ، ويشرب بعضا من خمر الاقاحى هناك . وبهذه الطريقة يمكنك الخلاص من الكارثة " : والكيس الاحمر المشار اليه هنا كان مصنوعا من الشاش ، وكان يسمى "كيس العبير" عندما توضع فيه ثمار القرانيا . وهكذا صنع هوان جينغ ، هو واسرته ، فى ذلك اليوم كما امرهم " فى" ، وعندما رجع مع اسرته الى البيت فيما بعد ، وجدوا كل حيواناتهم الاليفة نافقة . ومنذ ذلك الحين اصبح حمل ثمار القرانيا وشرب خمر الاقاحى وتسلق الجبال عادات تحرس من يؤديها من الشرور ، وتجنبه الكوارث .

وفى عهد اسرة تانغ اصبحت هذه الاشياء ممارسات شائعة جدا بين الناس . وغالبا ما كان الناس يتجمعون مع اصدقائهم لتناول الخمر

وكتابة الاشعار . وفى بعض الاحيان كان الامبراطور نفسه يحضر بشخصه هذه الاحتفالات . وكانت لتشونغ تسونغ (لى شيان) امبراطور اسرة تانغ الريادة فى تقليد تناول الطعام مع ضيوفه فى الشرفة بينما يكتبون الاشعار . اما دو فو المعروف بشاعر الحكمة ، فقد صعد الى جبل فى يوم من ايام التاسع المزدوج رغم مرضه . كما ترك لنا شعراء اسرة تانغ الآخرون مثل منغ هاو ران ووانغ وى قصائد تتغنى بالتاسع المزدوج .

عادات الاحتفال

حول ابتداء فروع نبات القرانيا ثمة فقرة فى «فنغ تو جى» (ملاحظات حول العادات المحلية) لتشو تشو تقول : " يقتلع نبات القرانيا فى اليوم التاسع من الشهر التاسع ويوضع حول الرأس ليشتت الهواء الشرير ، ويقاوم بواكير الطقس البارد . " والقرانيا نوع من الشجيرات دائمة الخضرة ، تزدهر فى اواخر الربيع واوائل الصيف ، وتحمل ثمارها فى الخريف . وتستخدم هذه الثمار مادة طبية ، او فى صناعة الخمر التى تبقى جسد الانسان دافئا ، بينما تسكن الآلام الناشئة عن الاضطرابات الوظيفية فى مختلف اعضاء الجسم . ولأوراقها تأثير علاجى مضاد للكوليرا ، وجذرها يمكن ان يستخدم مبيدا للحشرات ، وعندما يحمل المرء معه شيئا من القرانيا فلن تلسعه بعوضة .

ومن دواعى السرور ايضا فى اليوم التاسع المزدوج مشاهدة الاقاحى (ازهار الكريزانتيم) . والاقاحى التى تعرف فى الصين باسم الازهار الصفراء ايضا ذات انواع عديدة ، ولها شذا حلو لطيف ، وهى تزهر

بالرغم من جو البرد والصقيع ، ويظل شذاها ينبعث حتى بعد ذبولها وسقوطها . والتمتع بمشاهدة هذه الازهار فى اليوم التاسع المزدوج هو عادة قديمة . ويحكى منغ يوان لاو فى كتابه « ذكريات عن العاصمة الشرقية » عن المشهد الرائع " لأهالى العاصمة وهم يراقبون الاقاحى فى اليوم التاسع المزدوج" فى عهد اسرة سونغ الشمالية . وكانت اسرة تشينغ تقيم فى بعض انحاء البلاد معارض للاقاحى مع اقتراب موعد التاسع المزدوج . وكانت هذه المعارض بصفة عامة تقام كل ثلاث او خمس او عشر سنوات . وكان معرض الاقاحى الذى يعقد مرة كل ستين عاما مناسبة عظيمة خاصة (كل ستين عاما تعد دورة كاملة قائمة بذاتها فى نظام التقويم الصينى) . ويقال ان المرء اذا عاش ليشهد معرضين ستينيين للاقاحى فى دورتين ستينيتين ، فلا بد ان كأسه من السعادة كان مترعا . وفى تلك المعارض حيث الآلاف من الاقاحى يستشعر الناس الاعجاب بالازهار ، ويكتب الشعراء القصائد عنها ، ويرسم الفنانون صورا لها من الواقع الحى . واليوم ما زالت هناك معارض للاقاحى تقام فى بعض انحاء البلاد . وهناك اقاح للزينة تضم الانواع الخضراء والزرقاء والخنكار ، بينما هناك اقاح تستخدم فى صنع انواع الشراب او الدواء .

كذلك كان شرب خمر الاقاحى عادة اخرى فى الصين القديمة — " ويضع الناس فى ايامنا ازهار الاقاحى واعواد القرانيا فى الخمر ويشربونها " . « ليانغ منغ لو» او (ملاحظات) لوو تسى مو . ويذكر ان خمر ازهار الاقاحى مفيد للعيون ومعالجة الدوار وانخفاض ضغط الدم .

يأتى عيد التاسع المزدوج فى وسط الخريف حين يكون الجو معتدلا ، او تكون السماء فى الاغلب صافية ، لا شائبة فيها من سحب . وتتحول اوراق نبات القيقب الى اللون الاحمر ، وتصبح الاقاحى فى كامل تفتحها . انه الوقت المناسب للخروج الى الخلاء . وهنا فى الصين ما زال الناس يعملون ستة ايام ويستريحون يوما واحدا هو يوم الاحد . ورغم ان التاسع المزدوج قد لا يقع فى يوم احد فان الناس غالبا ما يقضون يوم اجازة فى التاسع المزدوج او حوله فى تسلق جبل او التجديف بقارب او التمتع بالمشاهد الجميلة للاقاحى وازهار سنط العنبر .

قصائد عن الاقاحى

للشعراء الصينيين الكثير والكثير من القصائد عن الاقاحى ، قصائد تنبض بعاطفة صادقة يحبها الناس ، ويستشهدون بها كثيرا . من هؤلاء تاو يوان مينغ من أسرة جين الذى ،. كما وصف نفسه بوضوح فى كتابة نثرية ، " رفض ان ينحنى للسيد الاعلى لمجرد الحصول على اجر مقداره خمسة دوات (مكيال) من الارز " . لقد كتب تاو هذا مقطوعات عن الاقاحى يقول بعضها :

مقتطفا ازهار الأقاحى تحت سياج
فى الجانب الشرقى ،
اقتنص مشهدا للجبل فى الجانب الجنوبى .
ازهار الاقاحى فى الخريف تبدو رائعة جدا .
اجمع الانداء عنها لأصل الى خلاصة الخلاصة منها .

ان شعره الرعوى يقول الكثير عن شخصيته المستقيمة .

وقد كتب تشن تسان ، وهو شاعر من عهد اسرة تانغ كان يعيش فى منطقة حدودية ، مقطوعة شعرية عنوانها « مسيرة الايام التسعة تعود بخواطرى الى حديقة مسكنى فى تشانغآن » . تقول المقطوعة :

صاعدا مرتفعا الح على خاطر ؛
لا احد هناك يحضر لى خمرا .
يا للحسرة ! كم افتقد الاقاحى فى حديقة
مسكنى السابق !
كان عليها ان تزهر هنا بالضبط الى جانب ميدان القتال .

اما هوانغ تشاو زعيم الفلاحين الثائرين فى نهاية اسرة تانغ فقد عبر عن افكار جديدة لم يسبق اليها فى قصيدته حول ازهار الاقاحى حيث كتب :

انتظر حتى الشهر الثامن او التاسع عندما يأتى الخريف ،
هناك تتفتح زهرتى ،
بعد ان تذبل مئات الازهار الاخرى .
هناك تعطر جو تشانغآن ،
عندما تعج المدينة كلها بجنودى فى دروعهم
الذهبية .

والقصيدة الغنائية التى كتبها ماو تسى تونغ عن الاقاحى مقطرة بعواطف سامية يتميز بها .. ويقول فيها :

الانسان يشيخ بسرعة لا الطبيعة ،
سنة فسنة يعود التاسع المزدوج .
وفى هذا التاسع المزدوج ،
يزداد شذا الأزهار الصفراء
فى ساحة المعركة طيبا .

فى كل عام تعصف ريح الخريف ،
مشهد يختلف عن بهجة الربيع ،
لكنه يفوق بهجة الربيع ،
انظر : عالم من الصقيع بين السماء والماء .

١١ ـ لابا جيه (اليوم الثامن من الشهر القمرى الثانى عشر)

عادة من الماضى القديم

الشهر القمرى الثانى عشر يدعى شهر " لا" ، واليوم الثامن من الشهر يدعى " با " .

" لا " تعنى " الكل فى واحد " . وفى العصور القديمة الف الناس تقديم القرابين للسماء والارض وللآلهة والاسلاف جميعا ، مرة واحدة خلال الفترة الانتقالية بين السنة الذاهبة والسنة القادمة . وكان هذا التقليد يعرف باسم " عبادة لا" . وبعض الناس من الرأى القائل بأن " لا " هنا تعنى تقديم الناس للطرائد التى اصطادوها قربانا لأسلافهم. وهى عادة انحدرت من عبادة الإسلاف في مجتمع بدائي (كلمة

الصيد تنطق بطريقة مشابهة لكلمة "لا") .

وقد ورد تسجيل للنشاطات التى كان يقوم بها عامة الناس فى يوم "لا" فى العصور القديمة فى «جينغتشو شوى شى جى» (يوم العام الجديد ومناسبات الاعياد الأخرى فى جينغتشو — حاليا هوبى) الذى كتبه ليانغ تشونغ لين فى عهد اسرة سونغ الجنوبية . وجاء فيه : "اليوم الثامن من الشهر الثانى عشر هو يوم 'لا' . وهناك قول سائر يقول : 'عندما تقرع الطبول فى يوم 'لا' فذلك يعنى ان الربيع قد بدأ زحفه من اجل أن ينمو العشب ثانية' ، وعلى القرويين ان يقرعوا الطبول المشدودة الى خواصرهم ، وان يضعوا الاقنعة ليظهروا كأجانب ، او يتنكروا فى صورة فيرا (الهة بوذية) بغرض مطاردة الاوبئة الى حيث لا يبلغها احد ." انه الاعتقاد القديم بأن التنكر فى صورة فيرا او سائر الآلهة والالهات والرقص وقرع الطبول فى يوم "لا" او فى اليوم السابق عليه يمكن ان يجنب الناس الكوارث ويطرد الشياطين بعيدا .

"لا" عيد بوذى

ان عيد "لابا" هو يوم من اجل البوذيين . وفى الماضى كان الاعتقاد الشائع فى الاماكن التى يعيش فيها الناس من قومية هان ان هذا اليوم هو اليوم الذى حصل فيه ساكيامونى على الخلود . ولذلك كانت الكتب المقدسة ترتل فى ذلك اليوم فى المعابد ، وتعد عصيدة الارز الدبق الخاصة بالعيد لتقديمها قربانا الى بوذا . وهناك قصة طريفة ممتعة تروى عن عصيدة الارز الدبق الخاص بـ "لابا" تقول :

ان ساكيامونى مؤسس البوذية زار كثيرا من الجبال والانهار فى الهند قبل ان يصبح بوذا ، وقابل رؤساء معابد ورجالا من فئات غير عادية من الناس سعيا الى التوصل للمعنى الحقيقى للحياة . وعندما وصل الى القرب من نهر فى ولاية ماجادها (حاليا بيهار) فى شمالى الهند ، سقط على الارض فى مكان مهجور بسبب الحرارة الشديدة والاعياء . وفى ذلك الوقت جاءت الى هذا المكان فتاة راعية اطعمته من غذائها وسقته من مائها الذى سحبته من نافورة وسخنته . وكان الغداء فى الواقع خليطا من بقايا الطعام الذى خلفته اسرتها فى المطبخ فى الايام القليلة السابقة . وكان يتألف من كل انواع الاطعمة الدبقة . . الارز الغروى والبلح والكستناء البرية والفواكه البرية التى جمعتها من منحدرات الجبل . ولكن هذا الطعام كان افضل من اى شىء آخر بالنسبة الى ساكيامونى الذى لم يكن لديه ما يأكله على مدى ايام كثيرة . وبعد ان تناول وجبته منه استحم فى النهر ، واوى الى ظل شجرة تين بنغالى للقيلولة ، ثم اصبح بوذا ، وكان ذلك فى اليوم الثامن من الشهر الثانى عشر . ومنذ ذلك الحين يتجمع الرهبان فى ذلك اليوم من كل عام ، ينشدون الكتب المقدسة ، ويلقون المحاضرات عن البوذية ، ويأكلون عصيدة الأرز الدبق احياء لتلك المناسبة .

عصيدة لابا

ظل الرهبان فى الصين يأكلون عصيدة لابا لأكثر من الف سنة . وقد بدأ هذا الامر اولا فى عهد اسرة سونغ . ويقول كتاب « تيان تشونغ جى» انه فى اليوم الثامن من الشهر الثانى عشر تقوم كافة المعابد فى

عاصمة اسرة سونغ الشمالية بتقديم "عصيدة ذات سبعة مكونات وخمسة مذاقات" معروفة باسم "عصيدة لابا" . ولم يكن يصنعها القصر الملكى ومكاتب الحكومة والمعابد فقط ، وانما الاسر العادية ايضا : وفى عهد اسرة تشينغ اصبح تناول عصيدة لابا عادة واسعة الانتشار . وكان الامبراطور والامبراطورة والامراء جميعا يمنحون هذه العصيدة للوزراء وضباط الجيش والخدم ووصيفات القصر ، ويرسلون الارز والفواكه الى مختلف المعابد فى البلاد حتى يستطيع الرهبان ان يصنعوا عصيدة لابا ويأكلوها . وهناك كان الرهبان يقيمون الصلوات الدينية التى ينشدون فيها الكتب المقدسة فى ذكرى ساكيامونى . وكان الرجال العاديون ايضا فى كل مكان يصنعون العصيدة فى ذلك اليوم احتفالا بالحصاد الوافر .

ويعطى فو تشا دونتشونغ من عهد اسرة تشينغ فى كتابه « ذكريات عن ايام الاعياد فى بكين » وصفا تفصيليا لكيفية اعداد عصيدة لابا فيقول : "عصيدة لابا خليط من الأرز الاصفر والارز الابيض والارز الجيلاتينى والدخن والكستناء المائية والكستناء والفاصوليا الحمراء والعجوة . وهى تطبخ فى الماء وترش بالجوز ثم تصبغ باللون الاحمر ويضاف اليها اللوز وبذور البطيخ والفول السودانى وبذور الصنوبر والبندق والسكر والزبيب لتزيينها . " "وفى اليوم السابع من الشهر الثانى عشر من كل عام يقوم الناس طوال الليل بتكسير المكسرات وتنظيف الاوانى وبكافة الاستعدادات لصنع العصيدة . وعند الفجر تكون الفطائر جاهزة . وهى تستخدم اولا تقدمات للاسلاف ولبوذا ، ثم تقدم للاقارب والاصدقاء فيما لا يتعدى وقت الظهر . " "وفى

صناعة عصيدة لابا كان يفضل استخدام مجموعة أكثر تنوعا من المكونات " لأن الناس " كانوا أكثر حماسا حتى من القدماء فى محاولة اعداد عصيدة لابا من احسن نوعية " . وعلى هذا النحو كان الناس يحيون العيد فى عهد اسرة تشينغ . وما زال الناس فى يومنا هذا يأكلون عصيدة لابا فى ذلك اليوم ، ولكن باعتبارها الطعام الخاص بهذه المناسبة فقط ، وليس لذلك علاقة بساكياموني .

وفى بكين وفى الاماكن القريبة منها يخلل الناس فى ذلك الوقت من السنة الثوم بوضعه فى الخل داخل زجاجة مختومة . ولا تفتح الزجاجة قبل عيد الربيع عندما يصبح للخل شيء من مذاق الثوم ، وللثوم رائحة طيبة من الخل .

١٢ ـ جيتساو جيه (يوم اله المطبخ)

اصل الشعيرة

فى اليوم الثالث والعشرين من الشهر القمرى الثانى عشر جرت العادة بتقديم القرابين الى اله المطبخ . وهى عادة يعود تاريخها الى الفى سنة او ثلاثة آلاف سنة .

واله المطبخ اله يقال انه مسئول عن الطهى والوقود فى العالم الارضى . وصورته التى توضع على فرن المطبخ تعرف ايضا باسم اله المطبخ وملك المطبخ . ويمكن العثور على وصف لاله المطبخ فى الرواية الكلاسيكية « فنغ شن بانغ » (تقديس الآلهة) . وهو فى الواقع ليس مجرد مسئول عن الطهى والوقود ، ولكنه ايضا " مبعوث " من امبراطور اليشب ن

السماء الى العالم الارضى . وهو يسجل من وقت لآخر حسنات وسيئات الناس ، ويعود الى القصر فى السماء فى الثالث والعشرين من الشهر الثانى عشر فى كل عام ليقدم تقريرا الى امبراطور اليشب . ولذلك فان المؤمنين بوجود الآلهة فى هذه البلاد لا يجرؤون على اغضابه ، ويحترمونه على الدوام بوصفه " سيد البيت" على امل ان " يذكرهم بكلمة طيبة عندما يكون فى السماء ، ويباركهم عندما يكون فى الارض . " وفى ذلك اليوم تقدم كل اسرة قرابين من سكر وفاكهة الى اله المطبخ الذى يقال انه ذاهب الى السماء لاجراء مشاورات . ويجهز حصان مصنوع من ساق الذرة السكرية ليركبه اله المطبخ فى رحلته ، ويقدم عشب الدخن المسحوق علفا لـ " الحصان " وطاسة من الماء لـ " الحيوان " . وينقل اله المطبخ باحترام من فوق الفرن ويحرق مع الشموع والبخور والورق المفضض و" الحصان " والعلف ، الامر الذى يعنى ان اله المطبخ قد ذهب الآن فى طريقه الى السماء . وسوف يرحب به مرة اخرى فى البيت فى عشية السنة الجديدة بشراء لوحة جديدة لاله المطبخ ولصقها على فرن المطبخ . ولأن الناس لا يتحدثون عن شراء اله المطبخ لما فى ذلك من تجديف ، فانهم يستخدمون كلمة " الترحيب" او " الدعوة " بدلا من ذلك .

اساطير حول اله المطبخ

من اله المطبخ ؟ ان الاجابة ليست واحدة اذا رجعنا لمصادر مختلفة . فيذكر كتاب عنوانه «يو يانغ تسا تسو» (ملاحظات شتى) ن اسم اله المطبخ هو " تشانغ" . وقد ظل هذا امرا مسلما به زمنا

طويلا . ربما لأن تشانغ هو اسم الاسرة لامبراطور اليشب فى السماء وان اله المطبخ باعتباره تابعا له يمكن بالتالى ان يكون من نفس الاسرة .

وكائنا ما يكون اسم الاسرة فان كون اله المطبخ الها مذكرا هو امر ليس محلا للنقاش . وذلك هو السبب فى ان الرجل بصفة عامة هو الذى يرأس شعيرة تقديم القرابين اليه . وقد درج الناس فى شمال الصين على ترديد هذا القول : "لا يجوز ابدا لرجل ان يسجد عابدا للقمر ولا لامرأة ان تقدم القرابين الى اله المطبخ ." ولكن لا يجوز ايضا



اله المطبخ

تجاهل انه الى جانب اله مطبخنا هناك دائما الهة المطبخ ذات الوجه الحنون .

تحكي احدى الاساطير انه منذ زمن بعيد .. بعيد كان هناك شاب اسمه تشانغ ، تزوج امرأة فاضلة ذات مظهر محترم اسمها قوه دينغ شيانغ (زهرة الليلك) . وكان الزوج يعمل فى الحقل والزوجة تعمل على النول . وفى اقل من ثلاث سنوات جمعا ثروة كبيرة . وسرعان ما اتخذ تشانغ لنفسه امرأة جديدة حظية تسمى هاى تانغ (للتفاحة البرية) . وكانت امرأة غيورا كسولا تحب الاستمتاع بالحياة . وسرعان ما هجر تشانغ زوجته زهرة الليلك مفتونا بسحر تلك المرأة . وعاش تشانغ مع التفاحة البرية حياة التبذير والاستغراق فى الملذات . وفى اقل من عامين بدد كل النقود واصبح خالى الوفاض . وهجرت التفاحة البرية التى كرهت حياة الفقر زوجها تشانغ ، وتزوجت رجلا آخر . وانتهى تشانغ الى ان اصبح متسولا . وذات يوم عاصف بالثلج والريح سقط منهارا من الجوع والبرد امام عتبة بيت من البيوت . فأخذته خادمة للبيت وادخلته الى المطبخ ، وتركته يستدفئ ويأكل حتى يشبع . وشعر تشانغ بالامتنان البالغ لهذا ، فسألها عن اسم سيدها فأبلغته الخادمة ان سيدتها هى سيدة مترملة طيبة القلب ، لا اهل لها ولا عشيرة ولا معارف . وآنذاك ظهرت سيدتها التى لم يلبث تشانغ ان تعرف عليها ، فلم تكن سوى زهرة الليلك التى خان عهدها منذ عامين . وتملكه الخجل حتى انه اندفع يدس نفسه فى جوف الفرن المشتعل محاولا ان يختبئ منها ، ولما تمكنت الخادمة من اجتذابه خارجا كان قد لفظ انفاسه الاخيرة محترقا . اما زهرة الليلك فقد عرفت فى

الرجل زوجها السابق ، واستولى عليها الحزن والاضطراب ، فماتت هى الاخرى بعد ايام قليلة حزنا عليه .

يقال ان امبراطور اليشب عندما سمع فى البداية بخيانة تشانغ اعتزم ان ينزل به عقابا شديدا لعدم اخلاصه لزوجته . ولكن نظرا لأنه ادرك بعد ذلك خطأه ومات محترقا فى جوف الفرن ، فان امبراطور اليشب عدل عن رأيه وبدلا من ذلك جعل تشانغ اله المطبخ وزهرة الليلك الهة المطبخ . وترك الزوجين يحتلان مكانهما عند مواقد المطابخ ويعبدان الى الابد مع سكان العالم الارضى .

عادات الاحتفال

على الرغم من ان عادة تقديم القرابين الى اله المطبخ ظلت محل احترام على مر الزمن ، فان القرابين التى تقدم اليه هزيلة نوعا ما . ولعل تشانغ اله المطبخ الذى ذاق المتع المسرفة يوما ثم عانى الاملاق بعد ذلك ، يعرف جيدا ما يعانيه الفقراء ، ولذلك لا يتوقع الكثير منهم . وقد كتب لوه ين احد شعراء عهد اسرة تانغ يقول ذات يوم :

مكتفيا بقدح من الشاى وعمود من دخان البخور
يصعد صاحب الجلالة اله المطبخ الى السماء الزرقاء .

كان كل ما يستطيع اله المطبخ ان يستمتع به فى ذلك الوقت قدحا من الشاى فحسب . وكان اقل آلهة الاساطير مطالب من المتدينين . وفيما بعد اضاف الناس نوعا من السكر الدبق الى قربانهم المقدم الى اله المطبخ . ربما لأنهم عرفوا ان قرابينهم ضئيلة جدا ، وخشوا ان

يستثير ذلك حفيظة " المبعوث من السماء " . وقد لا يكون السكر كثيرا ولكن تبقى له ميزة ان يلصق اسنان اله المطبخ . لم تكن الهة المطبخ بالطبع تثير قلق الناس ، فقد كانت سيدة طيبة جدا ، ولا تحفل بارتكابهم الخطيئة مرة او مرتين فى العام ، او حتى اذا عاملوها بازدراء . ولكنهم لم يكونوا متأكدين مما قد يفعله اله المطبخ . لذلك قد يكون من الافضل ان يختموا على فمه بذلك السكر الدبق على امل ان يجعله ذلك مغلق الفم كتوما عندما يعود الى السماء .

ما زالت عادة تقديم القرابين الى اله المطبخ فى اليوم الثالث والعشرين من الشهر الثانى عشر عادة مرعية فى الصين . ولكنها الآن اتخذت شكل توزيع السكر الدبق على الاطفال يعلكونه فى تلذذ . اما بالنسبة لارسال اله المطبخ الى سمائه ، فلم يعد الناس يبالون بذلك الآن .

١٣ ـ تشوشى جيه (عشية العام الجديد)

عشاء عشية العام الجديد

الليلة الاخيرة من الشهر القمرى الثانى عشر هى عشية العام الجديد ، او " تشوشى " . و" تشو " تعنى التخلص و" شى " تعنى ليلة . ولذا فان " تشوشى " تعنى ليلة التخلص من عام مضى والدخول فى عام جديد .

وفى ذلك المساء لا يتخلف احد من افراد الاسرة عن الالتقاء على عشاء يجمع شملها . وهذا العشاء يعنى فى شمالى الصين تناول

الجاوزه (قطايف محشوة باللحم) . ولكنه فى الجنوب يكون مأدبة حافلة جدا . ففى شاوشينغ بمقاطعة تشجيانغ تقدم فيه عشرة اصناف . واحد هذه الاصناف الخاصة هو خس الهليون الذى ينقع اولا فى ماء الارز لتطريته ، ثم يقلى فى الزيت ، ثم يغلى ببطء مرة ثانية فى صلصة فول الصويا والخل ، ثم يعاد طبخه مع جذور اللوتس والجنكة والبلح والسكر البنى . وجذور اللوتس هذه والاضافات الاخرى يعبر عنها بكلمتين صينيتين تعنيان عندما تجتمعان معا (تحول الحظ العاثر الى حظ طيب) . ومن الضرورى تقديم جاوزه البيض عشية العام الجديد فى هانغتشو وسوتشو وشانغهاى لأنها تصنع فى شكل " يوان باو" اى قالب من الذهب او الفضة ؛ واذ تصنع زلابية الجاوزه من رقائق البيض ذات اللون الاصفر الذهبى ، فانها تحشى بلحم الخنزير الاحمر المفروم ، وتغلى فى آنية فخارية ، ثم تضاف اليها السبانخ الخضراء وشعرية الفول البيضاء شبه الشفافة وتوضع فى قدر فخارى قبل ان تقدم ساخنة جدا . وهذا الاناء وحده من جاوزه البيض البهية المنظر الطيبة المذاق كفيل بأن يضفى لمسة من بهجة العيد ورونقه على مائدة العشاء . وهناك ايضا شرائح لحم الخنزير "روسى" المقلية مع شرائح للبامبو "سون سى" ، وكذا "سى سى تشى تشى" التى تعنى ان كل شىء على ما يرام ، وان ما يريده الجميع متوفر . وهناك ايضا طاسة من كرات اللحم التى ترمز الى الالتئام السعيد لشمل الاسرة . وطاسة من لحم رأس الخنزير (تعرف باسم لحم "يوان باو") وطاسة من لحم الخنزير والبيض المسلوق (وجود قطعة واحدة لكل فرد فى الاسرة يعنى ان الاسرة كلها سوف تبقى جيلا بعد جيل) . وفى نهاية

المأدبة سوف تقدم طاسة من السمك . وعندما يقدم السمك على المرء ان لا يلمس رأس السمكة او ذيلها ، وبهذه الطريقة يضمن الانسان " بداية طيبة ونهاية طيبة " . وبالطبع هناك دائما خمر " توسو " لكل واحد صغيرا كان ام كبيرا ، وسواء كان من يشربون الخمر او لا يقربونها. وبعد تناول الخمر تصطبغ الوجوه باللون القرمزى ، ويستشعر كل واحد السعادة ، وتنطلق الضحكات من اعماق القلوب مع النكات الصاخبة .

ويطلق اهالى تايوان على عشائهم فى عشية العام الجديد " وى لو " (اى الجلوس حول الموقد) . وتجلس الاسرة بكاملها ملتفة حول مائدة عليها اناء ضخم مما يطبخ فيه الطعام . واولئك الذين لا يشربون الخمر عادة يرتشفون بضع رشفات منها فى العشاء . وينتظر من كل فرد فى الاسرة ان يتذوق من كل الاطباق التى على المائدة ، لأن كل طبق يقدم ينطوى على رمز لمعنى طيب . وهكذا فان كرات السمك تعنى التئام الشمل ، واللفت يعنى الفأل الطيب ، والدجاج (الذى ينطق " جيا " فى اللهجة التايوانية) يعنى ان الاسرة بكاملها تصبح غنية بعد ان تأكل منه . وبعض الاطعمة المقلية تعنى " الازدهار والرخاء " . واكل بعض الرخويات البحرية ، وتسمى بانغ (التى تعنى ايضا " سمين ") ، يشير الى ان المرء سوف يصبح غنيا ويزداد وزنا . اما الخضروات فتقدم جملة ، وتؤكل جملة ، فلا تقطع الى قطع عند اعدادها فى المطبخ ولا عند وضعها على المائدة ، وانما تقضم وتبلع جزءا فجزءا . . وهذه هى الطريقة التى يتمنى بها المرء لأبويه حياة مديدة . واذا كان هناك احد من الاسرة بعيدا عن البيت عندما تلتف حول اناء الطعام ، فانه يفرد له كرسى توضع عليه بعض

الملابس لاظهار ان الاسرة بكاملها تفتقده .

حراسة العام الليل

وبعد الانتهاء من العشاء لا يذهب احد الى الفراش . وكما يذكر « فنغ تو جى » (ملاحظات حول العادات المحلية) فان " الناس عشية العام الجديد لا يذهبون الى الفراش ، بل يجلسون حتى الصباح فى حراسة العام كما يقال " . ويقول سو دونغ بوه فى قصيدة بعنوان " حراسة العام " :

برفض الاطفال الذهاب الى الفراش ،
يحيون الليل سويا فى فرح .

بالطبع لا يحب الاطفال ان تفوتهم اسعد اللحظات التى يمكن لهم اقتناصها . اما الكبار ، فيكتفون بالجلوس وتنسم الهواء ، بينما الزوجات ينهمكن فى طبخ طعام العام الجديد قليا وسلقا وعلى سحائب البخار .

وفى تلك الليلة تسطع البيوت بالانوار ، وتوضع مصابيح الزيت فى كل مكان داخل البيوت وخارجها ، وفى المطبخ ايضا . ويعتقد الناس ان فى ذلك تسليطا لنور الخير على الاشياء التى قد تجلب الحظ العاثر فى كل الاركان . وفى هانغتشو كانت هناك عادة قديمة تتمثل بتسلق تل " وو " عشية العام الجديد لالقاء نظرة الطائر على المدينة بأسرها ، والاضواء تتلألأ فيما لا يحصى من البيوت ، ودخان البخور يتحلق صاعدا فى السماء ، ومن وقت لآخر ينطلق صوت المفرقعات

النارية فى السماء محدثا ضجة كبرى وسط قرع الطبول والاجراس .
وتلمع اضواء الالعاب النارية فى ظلام السماء ، بعضها يشبه فوانيس حمراء معلقة عاليا فوق الرؤوس ، واخرى تشبه الازهار فى كامل تفتحها . وفى تلك الليلة يكون كل شيء معدا لدى ربات البيوت لتقديم قرابين رأس السنـــة الجديدة .. النقود الورقيـة الملونة ، الاوراق المفضضة .. الفواكه الطازجة والمجففة .

تنظيف البيت

ان تنظيف البيت عشية العام الجديد هو عادة اخرى قديمة ما زالت مرعية حتى اليوم .

وكان كثير من الفقراء المدينين فى الماضى يعملون على اخفاء انفسهم عشية العام الجديد للتخلص من مطاردة دائنيهم . وفى تايوان كان يقدم عشية العام الجديد عرض مسرحى فى الاديرة يعرف باسم " عرض لأولئك الغارقين فى الدين " وكان المدينون يذهبون الى هناك لمشاهدة العرض ، فاذا جاءهم الدائنون باحثين عنهم ملحين فى اقتضاء ديونهم ، تلقاهم المشاهدون بالسخرية والتنديد .

ملحق :

عادات اهالى قومية هان
فى اعياد ومهرجانات اخرى

اليوم الثانى عشر من الشهر الثانى : " بايهوا جيه " (مهرجان المائة زهرة) . يقال انه يوم ميلاد الازهار الذى تضع فيه الفتيات وشاحا من خمسة الوان على رؤوسهن . ويفترض ان الأزهار التى تزرع فى ذلك اليوم تنمو بغزارة .

اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى : " هواتشاو جيه " (مهرجان الازهار) . الشهر الثانى من العام هو منتصف الربيع ، واليوم الخامس عشر منه يسمى يوم الازهار . وفيه يتمتع الناس بجمال الازهار ، ويخرجون الى النزهة ويصطادون الفراشات (التى يفترض انها ازهار طائرة) .

اليوم الثالث من الشهر الثالث : كان الاباطرة والملوك فى الازمنة القديمة يقدمون القرابين فى ذلك اليوم الى السماء ، بينما يذهب عامة الناس الى اطراف المدينة ، حيث يقدمون القرابين الى أسلافهم .

اليوم الثامن من الشهر الرابع : " يويفوه جيه " (مهرجان غسل بوذا) : يقال انه عيد ميلاد ساكياموني . وفى الايام القديمة كان الناس يخمرون الماء المحلى بالسكر والمخلوط بالاعشاب الطبية العطرة ويسمونه

" ماء غسل بوذا " ويقدمونه للآخرين هدية . وكانت هناك ايضا طريقة اخرى لـ " غسل بوذا " تتمثل فى ذهاب للناس الى المعبد وحرق البخور فى المذبح وتوزيع الصدقات .

اليوم الثالث عشر من الشهر الرابع : يقال انه يوم ميلاد ليوى دونغ بين احد الآلهة الثمانية للطاوية . كان الناس فى هذا اليوم فى الصين القديمة يذهبون الى معبده لحرق البخور وتعلم الكهانة .

اليوم الخامس عشر من الشهر الرابع : يقال انه يوم ميلاد الاميرة " ون تشنغ " من اسرة تانغ . وقد تزوجت من ملك تبتى ، وكان اهالى التبت يحتفلون بتلك المناسبة .

اليوم الثالث عشر من الشهر الخامس : يقال انه يوم ميلاد " قوان يوى " وهو جنرال من مملكة شو فى عصر الممالك الثلاث . ويقال ايضا انه اليوم الذى ارهف فيه قوان يوى حد سيفه . وغالبا ما يكون يوما ممطرا لأن شحذ السيف يحتاج ، كما يقول الناس ، الى الماء .

اليوم الاول من الشهر السادس : يحتفل الناس فى شمال الصين بذلك اليوم بوصفه " العام الجديد فى منتصف العام " ، وكان فيما سبق يوما لمكافحة الطاعون .

اليوم الثالث عشر من الشهر السادس : يحتفل به فى الجنوب على انه يوم ميلاد " لو بان " ، وهو مهندس قديم يقدم اليه النجارون والبناؤون القرابين فى ذلك اليوم .

اليوم الخامس عشر من الشهر السادس : يقال فى الشمال انه يوم ميلاد اله الشمس . وفى ذلك اليوم يستيقظ الناس مبكرين ، ويرتقون مرتفعا لتحية شروق الشمس والدعاء من اجل مستقبل مشرق .

عادات اهالى الاقليات القومية فى اعيادهم التقليدية الرئيسية

١ ـ عيد رأس السنة التبتية

كان لأهالى التبت منذ زمن بعيد تقويمهم الفلكى الخاص . وقد لعبت الاميرة ون تشنغ من اسرة تانغ دورا فى دفع التبادل الثقافى بين اهالى قوميتى هان والتبت بذهابها الى التبت واقامتها هناك سنة ٦٤١ م . وجرى خلال ذلك تحسين وتطوير التقويم التبتى . وقد تم اتخاذ التقويم للتبتى رسميا سنة ١٠٢٧ م او فى السنة الخامسة من حكم تيانشنغ فى ظل الامبراطور رن تسونغ من اسرة سونغ . وهذه السنة طبقا للتقويم القمرى الصينى هى سنة دينغ ماو . وهكذا فان هذه السنة نفسها اصبحت السنة الاولى فى اول دورة ستينية (لستين عاما) فى التقويم التبتى . والآن يعيش التبتيون طبقا للتقويم التبتى فى الدورة السابعة عشرة .

والتقويم التبتى يربط بين التقويمين القمرى والشمسى ، فالسنة تنقسم الى ١٢ شهرا بثلاثين يوما للاشهر الكبيرة و٢٩ يوما للاشهر



عيد رأس السنة التبتية

الصغيرة . وكل فترة تتراوح بين عامين ونصف الى ثلاثة اعوام يكون هناك شهر كبيس (اضافى) لتعديل العلاقة بين الشهور والفصول . ويمكن القول عموما بأن اهالى التبت يحتفلون بعامهم الجديد بعد احتفال قومية هان بعيد الربيع .

وعيد رأس السنة التبتية هو اهم الاعياد لدى التبتيين . ولا يحتفل الناس فى انحاء التبت المختلفة برأس السنة الجديدة فى يوم واحد . ففى لاسا يقع رأس السنة الجديدة فى اليوم الاول من الشهر الاول من التقويم التبتى . وفى الاماكن التى تقع جنوب نهر نيانتشو يقع فى اليوم الاول من للشهر الثانى عشر . وفى بعض الاماكن حول تشامدو يأتى فى اليوم الاول من الشهر الحادى عشر .

ويحتفل التبتيون فى مختلف انحاء المنطقة بسنتهم الجديدة بطرق مختلفة . ففى لاسا تنثر كل اسرة الجير على الدرج المؤدى الى مدخل البيت ، ويرسمون رسومات ترمز الى الحظ الحسن ، ويرتدى كل واحد وواحدة احسن ما لديه او لديها من ملابس للاعياد . ويظهر الرجال فى رداء فضفاض تخرج الذراع اليمنى من كمه ليظهر ما تحته من ملابس بيضاء او ازار صوفى . كما يلفون حزاما حريريا عريضا حول الخصر ، ويضعون على رؤوسهم قبعة ذات اربع حواش من قماش مقصب مطرز بخيوط ذهبية وفضية ، وينتعلون حذاء طويل العنق . اما النساء فيرتدين ثيابا اكثر تلونا وجمالا ، ويستخدمن اقمشة افضل مما يستخدمه الرجال . ويكون رداء المرأة مفتوحا بميل ممايلى الرقبة لتظهر من تحته البلوزة الداخلية . ويكون شعرها مجموعا الي

اعلى مثبتا بخيوط حمراء وخضراء ، ويعلوه غطاء للرأس ، كما ترتدى النساء اقراطا بالطبع . ومعظم النساء ينتعلن احذية جلدية فيما عدا العجائز اللاتى يرتدين احذية من اللباد الاحمر .

ولا يخرج الناس عادة فى رأس السنة الجديدة لزيارة الاصدقاء والاقارب ، بل يمكثون فى البيت ويحتفلون بالمناسبة مع ذويهم . وبعد غسل وجوههم وتنظيف اسنانهم بالفرشاة يكون اول شىء قيام الصغار والشباب بتقديم التحية الى الكبار ، وبالذات اظهار احترامهم لجدتهم التى تكون مسؤولة عن شؤون الاسرة . وبعد ذلك تقوم الزوجة ممثلة للاسرة بكاملها بتقديم تحيات العام الجديد الى الجيران . وطوال يوم كامل تظل الاسرة كلها تشرب خمر "تشينغكه" (المصنوعة من الشعير الجبلى) ، وتأكل الطعام التبتى مثل اللحم المجفف والنقانق واللحم المغلى مع اللفت والفطائر المصنوعة من السكر والزبدة وبقايا اللبن . وهم عادة يواصلون الاكل من الظهر الى الليل . وكثير منهم تذهب الخمر برشدهم فى المساء .

وفى اليوم الثانى يخرج الناس لزيارة الاسر الاخرى وتبادل التحيات . ويقدم المضيفون الخمر وتنطلق الضحكات والموسيقى للراقصة فى كل مكان . وتزدحم الشوارع ، وتقدم الفرق المسرحية عروضا فى الشوارع لتسلية الناس .

وفى المناطق الرعوية تستمر احتفالات العام الجديد سبعة ايام بدءا من اليوم الاول للشهر . وفى اليوم التاسع والعشرين من الشهر السابق تبدأ كل اسرة فى تنظيف البيت بالتخلص من النفايات واقذار البالوعات والقائها بعيدا فى اتجاه الغرب قبل مغيب الشمس . وهم يتوقعون بذلك

ان تخلصهم الشمس من كل شيء كريه ، وان يدمر ضوؤها كل ما هو بغيض .

وعشية السنة الجديدة يبدأ الناس فى صناعة كعكات الزبدة واللبن وفى اعداد اللحم الذى سيتناولونه بأيديهم والنقانق والحليب واللبن الرائب . وفى اول ايام السنة الجديدة يجب ان تنهض الزوجة مبكرا لتحضر الماء الى البيت . ومن تحضر الماء اولا يتوقعون لها ان تعيش فى سعادة . وتغرس اعواد الابخرة عند مورد المياه ، ويخلط ماء اول برميل خشبى يحمل الى البيت بقليل من اللبن ليغسل منه افراد الاسرة وجوههم وتشرب منه الحيوانات المنزلية حتى ترتوى . ثم تجلس الاسرة جميعها لتناول الطعام . وقبل ان تتناول الاسرة اى شيء من طعامها يجب ان تأكل اولا بعض الدقيق الجاف من شعير تشينغكه ليذكر افرادها انفسهم بأنهم يعيشون على " زامبا " (الطعام الاساسى لأهل التبت المصنوع من شعير تشينغكه) . وفى الواقع يحب التبتيون ان يصفوا انفسهم بأنهم ذوو الشعور السوداء الذين يعيشون على " زامبا " . والطعام الذى يعد ليوم رأس السنة يكون وفيرا : الفطائر ومرق اللحم والفطائر المنضجة بالبخار والفطائر المحشوة ولحم البقر والضأن . ولا يغادر الناس فى الايام الثلاثة الاولى قاعدة القرية التى يعيشون فيها . وفى بعض الاماكن يدعون الجيران اسرة بعد اخرى الى العشاء . وفى اماكن اخرى يقتصرون على دعوة الاقارب والاصدقاء . اما فى الايام الممتدة من الرابع الى السابع فيمكنهم ان يذهبوا انى يشاؤون ، وان يزوروا الاقارب . وخلال احتفالات للعام الجديد تظهر الفتيات والنساء المتزوجات فى مجموعات و " يختطفن " الطعام من الرجال . وليس

لهؤلاء ان يحتجوا او يعترضوا . وفى المساء يتجمعون معا لتناول الطعام والغناء واللعب .

وهناك اماكن تبدأ الاحتفالات فيها عشية العام الجديد ، ففى ذلك اليوم يقام اجتماع كبير تعرض فيه رقصة للسحرة : ويغنى الناس فى ملابسهم الملونة واقنعتهم الغريبة غناء صاخبا ، ويرقصون كالمجانين فى مصاحبة الطبول والـ " صونا " (آلة موسيقية صينية شبيهة بالبوق) والبوق الشبيه بالمحارة . وهم يأملون ان يطرد الرقص الارواح الشريرة ويكسبهم بركة الاله . وفى يوم العام الجديد تذهب النساء ويحملن الى البيت " ماء الحظ الحسن " . وتصنع كل اسرة الكعكات من الزبدة والقمح وشعير تشينغكه . ويغرس فى الكعكة قليل من ربطات سنابل القمح والتشينغكه المصبوغة بالالوان احتفالا مسبقا بحصاد وافر . ويتبادل الناس التحيات والـ " هاتا " وهى وشاح طويل يصنع خصيصا من الحرير من ألوان مختلفة ، غالبا ما يكون ابيض نصف شفاف وخفيفا جدا ، وتقديمه الى آخر يعنى تقديم قلب نقى انطوى اليه ؛ وعند تقديمه يجب ان يتم ذلك بكلتا اليدين علامة الاحترام ، ولا بد من قول كلمة طيبة . وبعد ذلك الاحتفال يذهب الجميع سويا الى الرقص . والتبتيون مغنون جيدون وراقصون بارعون . وتكون الاغنيات شجية الالحان مقفاة الاشطر : ويصحب الاغنيات رقصات فردية او ثنائية او جماعية . وبعض الرقصات تقتصر على تحريك الجزء الاعلى من الجسد : الخصر والذراعين ، او على تحريك الجزء الاسفل : الساقين والقدمين . والرقص على نقرات الطبول يتميز بخصوصية بالغة . اما موسيقا الرقص الشجية جدا والآلات المستخدمة فيها فتحتذى

النماذج موجودة في عمق البلاد . ولكن آلات موسيقا اللاما تتضمن اساسا طبولا ذات مقابض طويلة وابواقا طويلة . وهي تخرج اصواتا تحكى اصوات الطبيعة ونداءات الطيور والوحوش ، ويمكن سماعها على بعد بضعة كيلومترات مما يضفى لمسة اضافية على جو الاحتفال .

ثمة كثير من الحدائق التى تدعى " لينكا " في ضواحى مدن وبلدات التبت . ويتنزه الناس فيها خلال احتفالات السنة الجديدة . وغالبا ما يتجمع الشباب في لينكا ليبحث الفتى او الفتاة عمن يحب او تحب .

وفي بعض الاماكن تقوم الفتيات اللاتى بلغن السابعة عشرة بتصفيف شعرهن رسميا في اليوم الثاني من السنة التبتية الجديدة . والفتاة التبتية يكون لها ٣ ضفائر فى سن ١٣ او ١٤ ، و٥ ضفائر فى سن ١٥ و١٦ ، وعشرات الضفائر عندما تبلغ ١٧ . وتصفيف الشعر هنا مناسبة احتفالية يعطى فيها الوالدان ابنتهما ثوبا جديدا جميلا وغطاء للرأس ، ويطلبان من النساء الماهرات فى تصفيف الشعر مساعدتها . هذا وتتضمن الانشطة الترفيهية الاخرى في اجازة العام الجديد سباق الخيول ومسابقات الرماية وسباق الياك .

٢ ـ عيد الاغتسال التبتى

عيد الاغتسال هو احتفال تقليدى آخر لأهالى التبت . وهو يقع كل عام فى اواخر الصيف واوائل الخريف من اليوم الذى يظهر فيه نجم الفأر البرى فى سماء لاسا الى اليوم الذى يغيب فيه عن الانظار .



عيد الاغتسال التبتي

وهى سبعة ايام كاملة .

يعود تاريخ هذا الاحتفال الى سبعمائة او ثمانمائة سنة . ويقال ان وباء خطيرا حل بالتبت ذات خريف مهددا حياة الناس وحيواناتهم . فأسرع الناس الى تقديم القرابين الى السماء وحرق البخور طالبين بركة قوان ين الهة الرحمة او أفالوكيتيسفارا التى ارسلت سبع حوريات صببن سبع زجاجات من الماء المقدس من الزهرية اليشبية الخاصة بالالهة الى الانهار والبحيرات والبرك فى التبت . وفى تلك الليلة حلم كل شخص بفتاة شاحبة نحيلة ، جسدها كله مغطى بالقروح ، تقفز الى النهر للاغتسال ، ثم تخرج من الماء بجسد صحيح وملامح جميلة . وفى صباح تلك الليلة تدفق المرضى افواجا بعد استيقاظهم ليغطسوا غطسة فى الماء ، وكتب لهم جميعا الشفاء .

ورغم ان تلك القصة تبدو خيالية شيئا ما ، فان الاغتسال فى نهر فى ذلك الموسم من السنة هو بالتأكيد شيء جيد للصحة . فالتبت تقع فى نجد ، يطول شتاؤها ويقصر صيفها . وفى الربيع عقب ذوبان الثلوج والجليد مباشرة يكون ماء النهر باردا بشكل قارص وليس مناسبا للاغتسال . وفى الصيف تندفع سيول الماء هابطة من الجبال محملة بالرمال والطين مما يجعل ماء النهر موحلا وباردا وغير صالح للاغتسال ايضا . وفى الشتاء تهب الرياح القارسة ، وهذا لا يلائم الاغتسال بالطبع . وبواكير الخريف فقط هى الموسم الصحيح للاغتسال خارج البيوت عندما يكون ماء النهر صافيا نظيفا ، وتكون درجة حرارة الماء مناسبة . ويقال ان الماء فى اوائل الخريف يكون حلوا باردا ناعما خفيفا صافيا خاليا من الروائح ، وذلك لا يؤذى حلق المرء او معدته

عندما يشربه ، بل انه على العكس يقى من امراض معينة ، ويعالج بعض الامراض الاخرى ، وله وظيفة الوقاية من البرد .

فى وقت عيد الاغتسال يظهر الناس فى كل هضبة التبت .. " سقف العالم " .. من كل الاعمار ومن كلا الجنسين فى مجموعات للاغتسال فى الانهار والبحيرات والبرك للسباحة وغسل ملابسهم . وفى ضفتى نهر لاسا يأتى الآلاف من الناس يوميا للاحتفال ، فيلعب الشباب فى النهر ، وتغتسل النساء ويغسلن الثياب على ضفة النهر ، ويلهو الاطفال على الشاطئ . وعلى امتداد ضفة النهر لبضعة كيلومترات توجد الثياب والملاءات المغسولة فى كل مكان . واذا شوهدت من بعد ، فانها تشبه كثيرا من الاشرطة المتعددة الالوان . وبعد ان يغتسل الناس يجلسون فى الخيام تحت الاشجار ، يشربون الخمر ، ويحتسون الشاى بالزبد فى جو من المرح والاحتفال .

٣ ـ عيد المفرقعات النارية لأهالى قومية دونغ

اليوم السنوى للمفرقعات النارية هو اهم الاعياد ، والذى يحييه اهالى قومية دونغ منذ اكثر من مائة عام . ففى الايام الاولى من حكم قوانغ شيوى من اسرة تشينغ كانت فولو فى محافظة سانجيانغ فى مقاطعة قوانغشى مركزا تجاريا للاخشاب والتجارة . وقام التجار المحليون من اجل انعاش التجارة بالاشراف علي عرض للمفرقعات النارية فى اليوم



عيد المفرقعات النارية لأهالى قومية دونغ

الثالث من الشهر القمرى الثالث لاجتذاب الزبائن : وكان الفائزون فى ذلك اليوم لا يحظون بالتكريم المعنوى فقط ، بل يحصلون على جوائز مادية مثل الخمر واللحم والبيض . وعاما بعد عام تطور هذا الحدث ليصبح العيد التقليدى للمفرقعات النارية .

ويختلف موعد هذا الاحتفال من مكان لمكان . ولنأخذ على سبيل المثال محافظة سانجيانغ للحكم الذاتى لقومية دونغ فى شمالى قوانغشى ٠٠ : فهو يقع فى اليوم الثالث من الشهر الاول فى تشنغيانغ ، وفى اليوم الثانى من الشهر الثانى فى ميلين ، وفى اليوم الثالث من الشهر الثالث فى فولو وفى اليوم السادس والعشرين من الشهر العاشر فى لينشى . وقد جرت العادة على ان يستقبل الناس فى الناحية التى تقيم الاحتفال اصدقاءهم واقاربهم من الاماكن الاخرى قبل يوم او يومين من موعده ، ويستضيفونهم ليحتفلوا بالمناسبة سويا .

وفى الصباح الباكر من يوم الاحتفال تغمر الفرحة مختلف القرى والنواحى ، وتجد الناس فى كل مكان . . الفتيات فى ثياب مطرزة جديدة يرتدين الحلى الفضية ، والشبان فى سترات سوداء وسراويل بيضاء طويلة ملفوفة بالقلشين (لفافة الساق) . ويزين مكان الاحتفال بالاعلام المثلثة الملونة ، ويعزف الموسيقيون على خشبة مسرح مؤقتة على آلة " صونا " ، ويقرعون الطبول والنواقيس . ويعرض فنانون محترفون ومغنون هواة عروضا محلية ولع بها اهالى قومية دونغ . وهناك اكشاك تبيع الطعام واشياء اخرى . ويأتى الاهالى من القوميات الاخرى التى تعيش فى المناطق المجاورة لمشاركة قومية دونغ احتفالها .

ويبدأ نشاط الاحتفال باطلاق ثلاثة مفرقعات نارية . . وهى عبارة

عن انابيب حديدية محشوة بالبارود ، وكل منها بحلقة حديدية صغيرة مربوطة بخيوط حمراء وخضراء . وعندما يدوى الانفجار تنطلق الحلقة الحديدية بأزيزها الى السماء ، فيصفق المشاهدون . وحالما تسقط على الارض يهرع اليها الشبان المتحفزون المتأهبون ، كأنهم سيل عارم ، متلهفين على استعادة الحلقة التى تعد رمزا للسعادة والحظ الطيب . ويجرى الحشد ايضا مع الشبان هنا وهناك مرة الى الشرق واخرى الى الغرب . واحيانا تسقط الحلقة فى نهر ، فيقفز الشبان ايضا الى النهر مواصلين تدافعهم . اما الذى يمسك بالحلقة اخيرا فعليه ان يخادع منافسيه الذين يتحلقون حوله . . عليه ان يبعد مطارديه ، ويفلت من اعتراضهم له ، ويصل الى النهاية لينعقد له الفوز . والفائزون يحظون بالاحترام ، ويتلقون هدايا من كبار السن .

يعقب اطلاق المفرقعات مباشرة نشاطات رياضية وترفيهية مختلفة ، فتدخل فرق المزمار من مختلف الجهات والنواحى فى منافسة ايضا ، نافخين فى مزامير ضخمة وفى انواع مختلفة دقيقة الصنع من المزامير الصغيرة . كذلك ينخرط الشباب فى منافسات الرماية . وآخرون يغنون ، او يرقصون ، او يدخلون فى حوارات غنائية ، يعربون فيها عن مشاعرهم تجاه بعضهم بعضا . اما الكهول والشيوخ فيحتسون الخمر ، او ينصتون الى الغناء الاوبرالى ، او يراقبون الصراع بين الطيور ، او يلعبون الشطرنج . وهناك ايضا سوق تقام فى الاحتفال .

وفى الليل تسطع جميع قرى قومية دونغ فى الجبال بالانوار . ويستمر الناس المبتهجون فى مشاهدة الاوبرات المحلية والافلام . وتنطلق من داخل المباني الخشبية ذات الطابقين اصوات الناس العذبة

تردد الاغانى الشعبية لقومية دونغ مصحوبة بأنغام " بى – با " (آلة وترية) و" لوشنغ" (آلة نفخ انبوبية) .

٤ ـ عيد رش الماء عند قومية داى

فى شيشوانغبانتا بمقاطعة يوننان يأتى رأس السنة الجديدة بالنسبة لقومية داى فى الفترة بين الرابع والعشرين والسادس والعشرين من الشهر السادس فى تقويم داى ، اى بعد اسبوعين من يوم الصفاء والنقاء عند قومية هان .

ولذلك العيد خلفية اسطورية جميلة ، فيقال انه منذ زمن بعيد . . بعيد كان يعيش فى شيشوانغبانتا ملك نصف اله ، شرس ومتوحش ، له قوة سحرية هائلة ، كانت سببا فى عذاب كثير من الناس . وكانت له سبع زوجات ، وكن جميعا يكرهنه . وكانت السابعة منهن شابة جميلة ذكية . وفى ذات يوم قالت لزوجها : "آه يا سيدى ! ما اعظم قوتك وقدرتك ! انى لأتمنى ان تعيش الى الابد . " واسعد الملك نصف الاله ان يسمع ذلك ، فأفضى اليها بسره قائلا : "ولكنى ايضا قابل للعطب ، فلو ان احدا اخذ شعرة منى وشد بها رقبتى لقضى على قضاء مبرما . " فحفظت السابعة هذا الكلام فى البال . وفى تلك الليلة عندما كان مستغرقا فى النوم انتزعت منه شعرة ، واستخدمتها فى شد رقبته ، وتأكدت من ان رأسه الكبير قد اجتث تماما ، وسقط يتدحرج على الارض . ولكن . . يا للأسف ! حيثما تدحرج الرأس ، تبعته مصيبة . لقد تدحرج على الارض ، فتأججت فيها النيران .



عيد رش الماء عند قومية داى

وتدحرج الى ماء النهر ، ففار الماء بالغليان ، وماتت الاسماك . وعندما دفن تحت الارض ، ملأت الرائحة المنتنة الكريهة المكان كله . لذلك لم يكن للزوجة من حيلة سوى ان تحتفظ بالرأس بين يديها حتى تجنب الناس الدمار . وبعد وقت قصير استولى عليها الارهاق والاعياء ، ومن ثم اخذت الزوجات الست الاخريات الرأس منها واحدة بعد الاخرى ، كل فى دورها . وجعلن فى وقت الراحة يرششن اجسادهن بالماء ليزلن آثار الدماء العالقة . واحياء لذكرى اولئك النسوة السبع الباسلات اللاتى كن على استعداد لاحتمال العذاب حتى يجنبن الآخرين احتماله ، فان الماء يرش عليهن مرة فى العام ، ويقال ان يوما فى السماء يعادل عاما من اعوام الارض .

ان اليوم الاول من العيد هو يوم نبذ القديم واحضار الجديد . والناس عادة لا يرشون الماء فى ذلك اليوم ، بل يقومون بسباقات لزوارق التنين فى نهر لانتسانغ . وتقول احدى الاساطير انه فى الازمان الموغلة فى القدم كان هناك فى شيشوانغبانا سيد اقطاعى يكرهه كل واحد . وذات يوم اصر هذا الاقطاعى على الدخول فى سباق زوارق مع شاب فقير معلنا له : " اذا خسرت السباق فسوف اقطع رأسك بالفأس ، وألقيه طعاما لأسماك النهر . " وكان هذا السيد الاقطاعى يملك زورقا كبيرا يستطيع ان يحمل الف جين (رطل صينى ويعادل نصف كيلوغرام) من البضاعة ، بينما الشاب الفقير ليس لديه سوى زورق صغير . ومع ذلك فان الاخير قبل التحدى . واثارت هذه الشجاعة الملك التنين والاله السماوى . وفى يوم السباق تمثل الملك التنين فى صورة سفينة كبيرة ليبحر بها الشاب الصغير ، كما ان الاله ازجى

ايضا عاصفة لتلحق بتلك الرحلة . وفى لحظة كانت هناك عاصفة على نهر لانتسانغ قلبت مركب السيد الاقطاعى واغرقته . ومن اجل تكريم ذكرى هذا الشاب الشجاع يقوم الناس بسباقات الزوارق فى اليوم الاول من عيد رش الماء .

تعتبر كل قرية طرفا واحدا فى السباق ، ويكون لزورق التنين جذع ومؤخر مقوسان الى الاعلى ، ويدهن بالألوان ، وعند الصدر يقوم رأس تنين منحوت من الخشب ، وكذا ذيل تنين عند المؤخر ايضا . والشباب الذين يشاركون فى التجديف يعتمون بعمائم حمراء ، ويبدو عليهم مظهر رياضى انيق . وبعد اشارة البداية تندفع الزوارق جميعا فى تسارع الى الامام . وعلى متن القارب يغنى المجدفون فى تساوق وانسجام ، بينما المشاهدون على كلتا الضفتين يرددون التحيات. وتندفع قوارب التنين مثل السهام المريشة او ثعابين الماء التى تمتطى ذرا الموجات . وعندما يهبط الفائزون الى الشاطئ ، تقدم لهم راية كبيرة عرفانا بالنصر الى جانب خمر الارز والحلويات . وفيما بعد ينضمون الى سائر الشباب على ضفة النهر فى الرقص وسط انغام الموسيقى .

اما رش الماء ، فيكون فى اليوم الثانى . وهناك طريقتان لرش الماء ، احداهما الطريقة المسماة بالطريقة الهادئة ، ولا تطبق الا على المسنين فقط . وعندما يرش الماء ينبغى للذى يتلقى الرشات ان لا يغادر مكانه . ويهمهم من يرش الماء ببضع كلمات متمنيا الامانى الطيبة ، غامسا غصنا من الزيتون فى حوض من الماء الصافى ، ثم يهزه لتسقط قطرات قليلة من الماء على رأس ذلك المسن ، او يغرف ملء ملعقة من الماء الصافى وهو ما يزال يهمهم بأمنياته الطيبة ، ويرفعها

فاتحا باقة ذلك الشخص المسن ويفرغها على سلسلة ظهره . اما الطريقة الاخرى المسماة بالطريقة الاساسية ، فتكون بالقاء ملء حوض من الماء على اى شخص كيفما اتفق ، على وجهه او وجهها ، وعلى كامل جسمه او جسمها . ان رش الماء هو الطقس الذى يمارسه ابناء قومية داى لمنح الآخرين البركات . وكلما زاد الماء المرشوش ، عنى ذلك زيادة البركات وزيادة سعادة الشخص المرشوش . وفى ابريل ١٩٦١ شارك رئيس مجلس الدولة الراحل شو ان لاى ابناء قومية داى احتفالهم بعيد رش الماء ، مرتديا حلة ذات لون رمادى فضى من ازيائهم القومية ، ومعتما مثلهم بعمامة حمراء .

اما فى الليل فتجتمع فى كل قرية جماعات من الناس يرقصون ويغنون . وعلى قرع "شيانغجياوقو" (طبلة ذات قاعدة على شكل ساق الفيل) ، وبمصاحبة ناى البامبو و"لوشنغ" (آلة نفخ انبوبية) والاجراس والصنوج المحلية ، يرقص الناس رقصة الطاووس المحلية ، ورقصة "يوى لاه" . ان المنطقة التى يسكنها داى تعج بالطواويس ، وتعرف باسم ارض الطواويس . والناس هناك يرون فى الطاووس رمزا للحظ الحسن ، ويرقصون رقصة الطاووس لتقديم امنياتهم الطيبة للجميع . وحركات هذه الرقصة تقليد لحركات الطاووس . والراقصون يرتدون ملابس طاووسية . اما رقصة "يوى لاه" فهى رقصة تؤديها المجموعة ، وهم يتمايلون بلطف . وغالبا ما يغنون وهم يرقصون . وكلا الرقص والغناء مرتجلان موسومان بالحيوية وبنفحة من الفكاهة ، حتى ان المشاهدين غالبا ما ينفجرون فى الضحك . انها رقصة قومية بالمعنى الكامل للكلمة . والمغنون الذين يعرفون محليا باسم "تسان

ها " يغنون الاساطير المتعلقة بالعيد . وقد تستمر هذه التجمعات حتى منتصف الليل احيانا .

اما اليوم الثالث ، فيطلق عليه اهالى داى " يوم الايام " ، اى يوم العام الجديد . وفى ذلك اليوم تبلغ الاحتفالات ذروتها عندما يبدأ الناس باطلاق " قاوشنغ " (الصعود عاليا ، او المفرقعات النارية) و " ديوباو " (رمى الاكياس) .

و " قاوشنغ " هو نوع من الصواريخ محلية الصنع .. انبوب من البامبو محشو بالبارود ، وباشعال الفتيل ينطلق انبوب البامبو الى السماء بقوة دفع البارود المحترق ، محدثا ازيزا وصفيرا . وعادة ما توضع خمسة تذكارات فى داخل اكبر " قاوشنغ " تصعد الى السماء معه ، وعندما تسقط على الارض يتدافع الناس لالتقاطها لأن الحصول على واحد منها يعنى الحظ الحسن .

اما " ديوباو " ، فهو اكثر الاحداث اثارة وحيوية فى احتفالات عيد رش الماء ، وهو ايضا مناسبة للباحثين عن الحب من الشبان والشابات او ابداء عواطفهم . و " باو " كيس مثلث الشكل من القماش ، بداخله بذور قطن ، وحواشيه مزركشة بشراريب ملونة . وتبدأ اللعبة بالفتيان والفتيات ، يقفون صفين وجها لوجه ، يرمون الاكياس الى بعضهم بعضا . ومن يخطئ فى التقاطها ، عليه ان يقدم الى الطرف الآخر الازهار على سبيل الاعتذار . ومع تقدم اللعبة قد يقع بعض الفتيان او الفتيات موقعا من نفس الآخر .. وهؤلاء سوف يخطون الى الامام فى ازواج متقاربة . وعندما يقع اختيار فتاة على الفتى الذى تهواه ، فسوف تخطف منه السيف الذي يحمله او غطاء رأسه او اي

شيء من متعلقاته ، وتجرى عائدة الى بيتها حيث يكون العشاء فى انتظار ذلك المحبوب .

٥ ـ سوق الشهر الثالث عند قومية باى

هذا عيد وسوق كبيران عند قومية باى ، ويقام هذا السوق ما بين الخامس عشر والعشرين من الشهر الثالث على سفح تل ديانتسانغ الى الغرب من مدينة دالى بمقاطعة يوننان . وقد كان فى البداية نوعا من الطقوس الدينية ، ولكنه اخذ يتحول بالتدريج الى عمل تجارى كبير .

وكان الاحتفال يطلق عليه فى الازمنة القديمة عيد قوان ين (قوان ين تعرف ايضا باسم الهة الرحمة) . وقد اصبح سوقا فى حكم يونغهوى (٦٥٠ ـ ٦٥٥ م) من اسرة تانغ قبل ١٣٠٠ سنة . وتحكى قصة بوذية انه منذ زمن بعيد . . بعيد كان هناك شيطان راكساكا قريبا من بحيرة ارهاى . وكان فى كل يوم يقتلع عيون ما يزيد عن ثلاثين شخصا . ولكن الهة الرحمة التى لم تتحمل ان ترى شعب باى يقاسي تغلبت على الشيطان بسحرها الخارق للطبيعة ، وربطته الى عمود فى قاعة قصر . وعرفانا لها بالجميل يرفع شعب باى الظلل ، وينشدون تحتها الكتاب المقدس فى الخامس عشر من الشهر الثالث . . اليوم الذى نزلت فيه قوان ين الى العالم الارضى . وفيما بعد اصبح ذلك اليوم هو الاحتفال التقليدى لأهالى قومية باى .

وثمة قصة اخري تحكي ان صياد سمك اسمه آه شان كان



اسطورة سوق الشهر الثالث عند قومية باى

يعيش الى جانب بحيرة ارهاى . وذات يوم ذهب الى البحيرة ليصطاد ، ولكن شبكته لم تظفر بشيء . فأخذ يغنى ويعزف على قيثارته حزينا مكتئبا ، مما استثار عطف آه شيانغ الاميرة الثالثة للملك التنين فى بحيرة ارهاى ، فجاءت اليه بقارب وساعدته فى رمى شبكته . واصابا فى ذلك اليوم مغنما وفيرا من الصيد . وبينما كانت آه شيانغ تعمل مع آه شان وقعت فى غرامه . فأخذها الى بيته وعاشا معا زوجا وزوجة فى سعادة غامرة . وكان اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث هو موعد اقامة السوق السنوية فى القمر ، وهى السوق التى يجب ان يحضرها الآلهة من كل مكان ، فحولت آه شيانغ نفسها الى تنين ذهبى ، وحملت آه شان على ظهرها ليذهبا الى السوق سويا . وفى سوق القمر شاهدا اللآلئ والاحجار الكريمة والاعشاب الطبية العجيبة ، ولكنهما لم يشاهدا شيئا من ادوات الزراعة او شباك الصيد . وعندما عادا الى القرية ، اخبرا اهلها بما شاهداه فى سوق القمر ، فاتفق الجميع على اقامة سوق خاصة بهم . وهكذا اصبح الناس يقيمون فى اليوم الخامس عشر من الشهر القمرى الثالث كل عام سوقا عند سفح تل ديانتسانغ .

ومهما يكن من امر الخلفية الميثولوجية للاحتفال ، فقد اصبحت السوق السنوية للشهر الثالث عيدا هاما لدى ابناء قومية باى ، ومناسبة للتبادل التجارى والثقافى بين اهالى مختلف القوميات . ويفد الى السوق اناس من قوميات كثيرة : يبى والتبت وليسو وناشى ونو وهوى وهان .

ان سوق الشهر الثالث فى دالى هى سوق حافلة تموج بالصخب والنشاط ، فثم غابة من الاعلام المثلثة الملونة ترفرف فى الشارع مع الخيام المنصوبة التى تعرض مختلف انواع البضاعة ، ويتدفق الناس

فى ازيائهم الفاخرة الى المكان ليبحثوا عما يريدونه ، ويبيعوا منتجاتهم المحلية . واكثر ما يجذب الزبائن فى السوق تلك الموائد التى تباع عليها منتجات خاصة لأهالى الاقليات القومية : خيوط الحرير لنساء باى ليخطن منها ياقات لملابسهن ، والقلائد والاقراط وعقود اللؤلؤ وسلاسل الخصر لفتيات باى ، والقبعات اللبادية وقدور الزبد لأهالى التبت ، والمشدات والاشرطة لقوميتى ناشى ويى .

لكن اكثر ما يشد العيون فى السوق الرخام ، فجميع مشغولاته الفنية ذات شهرة عالمية : سطوح الموائد واوانى الازهار والكؤوس والاطباق . . جميعها ذات تصميمات فريدة ، وتبدو فيها آثار الصنعة الفائقة المهارة . وهذه المنتجات التى يصنعها شعب باى تظهر عبقريتهم على نحو كامل . وكذلك المشغولات المطرزة البالغة الجمال مثل اوشحة الرأس المزينة بخطوط كثيرة ، والاحذية القماشية المطرزة باللونين الاحمر والاخضر الفاتحين ، والحقائب المطرزة بصور التنانين والعنقاوات والصدريات المرسوم عليها طيور الحب على الماء .. كلها تتكافأ جمالا وحسنا ، فان فتاة باى غالبا ما تهدى من يهواه قلبها واحدا منها تذكارا لخطوبتهما .

كذلك يباع فى سوق الشهر الثالث كثير من المنتجات المحلية والخاصة المشهورة مثل الفطر المحلى والفواكه المسكرة وعيش الغراب العطر وفطر الكبد والورق المصنوع محليا والاثاث .. الخ . ومن اطايب الطعام الخاصة بقومية باى السمك فى القدور الفخارية الذى يطبخ مع ما يزيد عن عشرة اصناف من التوابل والاضافات ، ويتميز بقيمة غذائية عالية ومذاق لذيذ جدا . كذلك فان الخيول التى تربى

فى دالى من سلالات مختارة . ويقال ان جواد القتال الذى كان يملكه يويه فى الجنرال المشهور فى عهد اسرة سونغ الجنوبية كان من دالى .

وفى الشوارع قريبا من سوق الشهر الثالث تقام فى العراء عروض للافلام والمسرح وألعاب الكرة . كما يشارك الناس خلال العيد فى سباقات الخيول ومنافسات الرماية وحفلات الرقص .

٦ ـ عيد دانو عند قومية ياو

ان عيد دانو او يوم الجدة العليا او يوم الملك بان قو او رأس سنة الياو هو اهم عيد تقليدى لدى اهالى قومية ياو الذين يعيشون فى قوانغشى والاماكن الاخرى . وهو يقع فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر القمرى الخامس . وكلمة دانو فى لهجة ياو معناها " لا تنس الماضى ابدا " . وهذا العيد مناسبة عظيمة لا تقع الا مرة كل ثلاث او خمس سنوات ، وفى بعض الاماكن كل اثنتى عشرة سنة ، اعتمادا على العادات التقليدية للمنطقة المحلية المعنية ، وعلى مدى جودة المحصول وما يصيبه الناس والحيوانات من احوال طيبة .

ومن بين القصص الكثيرة البديعة التى تروى عن العيد هناك قصة معقولة تقول : فى الزمن السحيق طلبت الالهة ميلوتوو ، الجدة العليا للياو ، من بناتها الثلاث ان يهبطن الى العالم الارضى ، ويعشن حياتهن معتمدات على انفسهن . وفى اليوم التالى نهضت ابنتها الكبرى مبكرة ، فحملت معها محراثا لتحرث به ارض احد السهول . وتلك تناسل عنها



عيد دانو عند قومية ياو

ابناء واحفاد كثيرون ، عرفوا فيما بعد بقومية هان . ونهضت الأخت الوسطى فحملت معها كتبا لتدرس فى مكان ما ، وتلك عرف عقبها باسم قومية تشوانغ التى برعت فى فن العزف على العود ولعب الشطرنج وفنون الخط والتصوير والغناء . اما الاخت الثالثة فلم تنهض من فراشها حتى ساعة متأخرة من الصباح ، وعندما رأت انه لم يترك لها شىء انخرطت فى البكاء ، فأعطتها ميلوتوو الارز الباقى كله ، وطلبت منها ان تستصلح ارضا فى جبل . ولكن عندما بدأ الارز يخرج شطأه جاءت اليه القطط البرية ، وعندما بدأ ينمو جاءت الغزلان لتقضم منه ، وعند نضج المحصول جاءت الطيور لتلتقط من حبه . لذلك شكت الابنة الى امها متاعبها باكية ، فأعطتها امها طبلة نحاسية كانت تحتفظ بها منذ سنوات طويلة . اخذت الابنة الصغرى الطبلة الى الجبل وجعلت تدق عليها عندما لا يكون لديها ما يشغلها وعندما تشعر بالسأم . وكانت تدق الطبلة ايضا لتبعد الطيور والحيوانات التى تأتى لتخرب محصولها . وفى النهاية تحقق لها محصول وافر ، واستقرت فى الجبل وعاشت هناك فى سعادة ، واصبحت ذريتها تعرف باسم قومية ياو . وتكريما لذكرى جدتهم الكبرى جعل شعب ياو يوم التاسع والعشرين من الشهر الخامس ، يوم ميلاد ميلوتوو ، عيد داتو .

عشية العيد ينظف ابناء قومية ياو بيوتهم ، ويعدون كل اصناف الطعام والخمر . وفى يوم العيد يرتدون جميعا ملابس زاهية الالوان ، ويذهبون الى مكان محدد حاملين معهم خمرهم وطعامهم . وهناك يجمع الناس طعامهم معا ويأكلون سويا .

وخلال العيد تكون هناك كل ضروب التسلية والترفيه : الحوارات

الغنائية ، ولعب " صونا " ، ولعبة الاستخفاء وعرض الفنون العسكرية (ووشو) ، واكثر الاشياء امتاعا : الرقص على الطبلة النحاسية واطلاق الصواريخ .

والطبلة النحاسية نوع من الآلات النقرية شائع فى بعض الاجزاء التى تسكنها الاقليات القومية فى قوانغشى وقوانغدونغ ويوننان وقويتشو . وهى مصنوعة كلها من النحاس ، ويبلغ قطر طارتها العليا ٥٠ سنتيمترا ، وارتفاع اسطوانتها ٣٠ سنتيمترا . والاسطوانة مفرغة ولا قاع لها ، ولها عروتان من النحاس الاصفر فى جانبيها . وكلا طارة الطبلة وجسمها مزينان بنقوش بديعة . والرقصة على الطبلة النحاسية رقصة شعبية شائعة بين ياو ، وهى ايضا احدى المسابقات خلال عيدهم . والطبالون ، وهم فى مجموعة من ثلاثة ، رجلين وامرأة ، يقدمون عروضا بدورهم . فأحد الرجلين المؤديين يقرع الطبلة ، ويرقص طبقا لايقاع الضربات ، والآخر يقرع طبلة من الرق مصاحبا له . ويعرض بعض الطبالين على طبلات الرق مهارته الفائقة بدق الطبلة ، مرة وهى على جنبه واخرى وهى على ظهره ، ويقرعها بضربات متوالية تتزايد سرعتها شيئا فشيئا . اما المرأة ، فتحمل قبعتى مطر ، تروح بهما على الطبالين . وعملية الترويح نفسها حركة راقصة ، فهى تقوم بالترويح فى اثناء رقصها . وبينما التى تقوم بالترويح والذى يتعرض له يتحركان بخفة ورشاقة وتناسق ، يتوالى التشجيع الحماسى من المتفرجين . وبعد انتهاء المنافسة يشرب الناس انتخاب افضل الطبالين .

هناك ايضا اطلاق الصواريخ الذى يجرى فى جو من الاثارة العظيمة . وخلال هذه المسابقة يضع الناس على الارض بضعة صواريخ

ليشعلها المتسابقان ، رجل وامرأة ، والذى ينجح منهما فى اطلاق اكبر عدد من الصواريخ الى السماء هو الفائز الذى يستقبل بالهتاف والتحية ، ويرفع على الاعناق ، ويقذف به فى الهواء .

واليوم فضلا عن هذه النشاطات التقليدية تأتى فرق تمثيلية فنية فى عيد دانو لتقديم عروضها لأهالى قومية ياو ، بينما يأتى ايضا اناس من القوميات الاخرى لتقديم تهانيهم اليهم .

٧ ـ عيد المشاعل عند قومية يى

بدءا من اليوم الرابع والعشرين من الشهر القمرى السادس يحصل اهالى قومية يى على اجازة ثلاثة ايام . انه عيد المشاعل . عيد يعرب المرء فيه عن مشاعره وسط جو من النيران !

منذ زمن بعيد كان هناك مصارع مشهور لا يقهر ، يدعى اكيلابا . وعندما سمع به الاله السماوى ، ارسل اليه مصارعا جيدا ليقاتله ، ولكنه قتل خلال الصراع . فاستاء الاله السماوى وغضب ، فأرسل اسرابا من "الحشرات السماوية" لتدمر المحصولات وتنزل الخراب بالعالم الارضى انتقاما . وذهب اكيلابا وقومه الى الجبال لينزعوا اعواد البامبو ويصنعوا منها مشاعل يشعلونها لقتل "الحشرات السماوية" ، واستطاعوا فى النهاية ان يحصلوا على حصاد جيد . واحياء لذكرى انتصار الانسان على الحشرات فان اهالى قومية يى يكررون طقس المشاعل نفسه كل عام فى نهاية الشهر السادس مع عقد حلقات المصارعة والغناء والرقص . ومع مرور الزمن تطور الامر الى عيد المشاعل



عيد المشاعل عند قومية يي

فى ايامنا هذه . وتحكى قصة اخرى عن العيد ، يعود تاريخها الى عهد اسرة تانغ عندما قسمت منطقة يوننان وسيطر عليها ستة مشايخ قبليين . وكان اقوى الستة منغ شه الذى اراد ان يضم الاراضى الواقعة تحت سيطرة القبائل الخمس الاخرى ، فأقام برجا لشعلة الصنوبر ، ودعا المشايخ الخمسة الآخرين لحضور مأدبة وتقديم القرابين لأسلافهم . ساورت الشكوك زوجة شيخ القبيلة دنغ شان فى نوايا منغ شه ، فاقترحت عليه ان لا يذهب ، بيد ان دنغ المغلوب على امره بسلطان منغ شه قرر ان يذهب على اى حال . ولذا وضعت زوجته سوارا معدنيا فى ذراع زوجها على سبيل الاحتراز . والامر المؤكد ان دنغ والمشايخ الاربعة الآخرين قد احرقوا احياء فى البرج . واخطرت زوجاتهم للذهاب وجمع بقايا ازواجهن الذين تفحمت جثثهم جميعا ، ولم يعد ممكنا الاستدلال عليها ما عدا جثة دنغ التى ميزها السوار المعدنى الذى فى ذراعه ، فأعيدت جثته ودفنت . ولما وجد منغ شه ان ارملة دنغ امرأة فائقة الجمال والذكاء اقترح عليها ان يتخذها محظية ، ولكن الارملة صدته . ولدى عودتها الى بلدها حكت لضباط ورجال جيش القبيلة حقيقة ما وقع فى برج شعلة الصنوبر وخطة منغ شه المبيتة ، وعندما ارسل منغ شه قواته لمحاصرة مدينة دنغ قادت ارملة الاخير قوات زوجها الراحل فى مقاومة الغزاة . ونفد الماء والوقود بعد ان حاربت المدينة ثلاثة اشهر . وسقط كثير من الجنود جوعا ، وكذلك ارملة دنغ . وتكريما لذكرى هذه البطلة الحكيمة المخلصة يقيم اهالى قومية يى احتفال المشاعل فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر السادس من كل عام . ويقال انه عندما كانت زوجة دنغ تحاول استرجاع

جثمان زوجها تلطخت بالدماء اصابعها العشرة ، فتشققت واصابتها الخدوش من جراء الحفر . وذلك هو السر فى ان نساء يى فى يومنا هذا يلمعن اظافرهن فى ذلك العيد بعصير بلسمى احمر .

فى الصباح الباكر من يوم ذلك العيد يبدأ الناس فى ارتداء ملابسهم الزاهية . يرتدى الرجل جاكيتا قصيرة مطرزة بياقة مفتوحة بميل الى اليمين ، وبنطلونا منتفخا فضفاضا ، تاركا خصلة من الشعر فى قمة رأسه تعرف باسم "تيان سا" ، ويضع لؤلؤة حمراء او صفراء على اذنه اليمنى ، ويرتدى عمامة زرقاء او سوداء بعقدة طويلة تسمى "عقدة البطل" تربط قريبا من الجبهة . وترتدى المرأة بلوزة مطرزة ومزينة بحاشية ، وتنورة متعددة الطيات والألوان . ثم تضع اقراطا ، وتشبك دبوسا فضيا بزينة على شكل الازهار فى ياقتها ، وتضع على رأسها قماشا او ايشاربا . وكلا الرجل والمرأة يضعان شالا يشبه البطانية على كتفيهما . وفى اثناء النهار تكون الانشطة الرئيسية هى المصارعة ومصارعة الثيران ومسابقات الرماية وسباق الخيل ، ويشرب الناس الخمر خلال الاحتفالات .

اما ليل عيد المشاعل فساحر حقا ، اذ يشعل الناس المشاعل ويتجمعون فى اطراف القرية . وترى العين مئات وآلاف المشاعل تتحرك على طول الممرات فى الحقول مثل التنانين المتموجة ، والمشاعل الصغيرة تحيط بالكبيرة كأنها آلاف من النجوم حول القمر . والمشهد الاكثر اثارة وامتاعا هو مشهد "رشاشات النار" ، اذ يحمل الناس المشاعل بيسراهم ، وجيوبهم وحقائبهم مملوءة بمسحوق قابل للالتهاب مخلوط بمادة راتينجية . وعندما يأتي احد من الاتجاه المقابل يسرعون الى نثر

حفنة من هذا الخليط على الشعلة . وانظر . . يا للعجب ! ألسنة اللهب المبهرة سرعان ما تتأجج فى وجه القادم . وآنذاك يختفى الذين قاموا بتلك الدعابة عن الانظار . لذلك فان من تعرض لرشاشات النار يرفع مشعله عاليا لمطاردتهم ، وليكيل لهم من الصاع نفسه .

هنا تبلغ الليلة ذروتها ، وبعد ذلك ينطلق الشبان والشابات فى الرقص والغناء حول المشاعل ، ويعزف الشبان على نايات البامبو والجيتارات الشبيهة بالقمر ، او على آلات كبيرة ذات اوتار ثلاثة . وترقص الفتيات رقصة القمر . والجميع صدورهم منشرحة ، والرقص يمكن ان يمضى ويمضى طوال الليل حتى ينبلج الفجر . وتلك ايضا مناسبة للشباب من الجنسين للبحث عن شريك حياة من خلال الحوارات الغنائية .

٨ ـ يوم الامساك بالخريف عند قومية مياو

فى يوم بداية الخريف من كل عام (لى تشيو) تحتفل قومية مياو فى هونان الغربية بيومهم التقليدى : امساك الخريف .

وتعبير امساك الخريف (تشيو) مشتق من قولهم امساك الارجوحة (تشيوتشيان) ؛ وتروى احدى القصص انه كان هناك شاب وسيم من قومية مياو يدعى باغويدارى . ولم يكن يتميز بالشجاعة والذكاء فحسب ، بل كان ايضا رجلا ذا مروءة مستعدا على الدوام لتقديم العون للآخرين . ولما كان باغويدارى اكثر الشباب العزاب جدارة بالانتقاء للزواج ، فقد اصبح هدفا لازعاج الخاطبات . وكانت الفتيات في القري المتسع والتسعين اسيرات لغرامه سرا ، ولكن لم تستطع اى

منهن ان تفوز بقلبه ، فقد كان يريد فتاة بارعة جميلة ذات قلب طيب .

وبينما كان يصطاد فى احد الجبال ذات يوم من ايام الخريف الجميلة رأى نسرا يحلق فى السماء ، وقد علق شيء بمخلبه ، فرماه بسهم . ولما سقط النسر ، وجد ان هذا الشيء لم يكن سوى حذاء مطرز . ورأى باغويداري ان فتاة صنعت مثل هذا التطريز العجيب لا بد ان تكون بارعة وجميلة ، فقرر ان يبحث عن الفتاة التى صنعت هذا الحذاء .

وهكذا اقام ارجوحة يمكن ان يجلس فيها عدد من الناس ، ودعا جميع الفتيات فى المنطقة المجاورة الى ان يأتين ويتأرجحن عليها . وعندما جئن قارن بين احذيتهن وذلك الحذاء الذى معه ، وفى النهاية عثر على " سندريلاه " وتزوجا على الفور . واصبحت الارجوحة التى كانت وسيلة باغويداري فى العثور على زوجة شيئا من وسائل الترفيه اليوم .

فى تلك الايام من الخريف لا يكون الانتاج الزراعى فى هونان الغربية وناحية سونغتاو بمقاطعة قويتشو قد نما ، فيخرج الناس قبل حصاد الخريف الى الصيد فى الجبال للتغلب على نقص الحبوب . وعندما يعودون بحصيلتهم من الصيد يكون قد آن اوان الحصاد . ويقيم القرويون الاراجيح التى اخترعها باغويداري فى يوم لى تشيو ، ويتجمعون على سفوح الجبال او فى القرى المزدحمة بالسكان للترحيب بعودة الصيادين الى ديارهم والاحتفال بالحصاد الجيد بعد عمل الايام الشاق . وفى المواقع التى تقام فيها الاراجيح يستخدم الناس عصيا من عظام

الحيوانات ليقرعوا طبولا مشدودة من جلد الحيوان امتاعا لأنفسهم . وهكذا اصبح امساك الارجوحة (تشيو تشيان) امساك الخريف (تشيو) . . العادة التى انحدرت من الماضى الى ايامنا هذه .

فى ذلك اليوم تبدأ الاراجيح المقامة حديثا والتى تتسع لما بين ثمانية واثنى عشر شخصا ن الدوران ، وقد احاط بها جمع غفير يعمه الابتهاج . وهناك قاعدة هى ان كل من يرغب فى التأرجح يجب ان يحسن الغناء . وعندما تتوقف الارجوحة السريعة الدوران فجأة على من يكون فى اعلاها ان يغنى غناء منفردا . واولئك الذين يعرفون كيف يناورون يستفيدون دائما من دفعة القصور الذاتى فى الارجوحة فيضعون اقدامهم على عارضة الارجوحة ويدعون انفسهم ينزلقون الى وضع ادنى . وبالطبع يظل هناك دائما فتيات وفتيان فى قمة الارجوحة ، وهؤلاء يغنون فى ابتهاج طمعا فى اكتساب اطراء واعجاب الجنس الآخر .

ويكون ايضا من مغريات الاحتفال فى ذلك اليوم " الاسود الملونة " و" للتنانين الملونة " وألعاب الكرة والغناء والرقص . كما يجد الناس ايضا ما يشترونه على الموائد التى ينصبها الباعة الجوالون خلال المهرجان .

وقرب نهاية الاحتفال ، وطبقا لعادة مياو ، يتنكر شخصان مرموقان فى هيئة " شيخ الخريف" فيتمنيان للناس حصادا طيبا وخريفا سعيدا .

٩ ـ " نادام " المنغولية

يكون الجو فى منغوليا الداخلية فى الشهر القمرى السابع رائعا ،



" نادام " المنغولية

فتبدو السماء عالية ، ويهب النسيم منعشا ، وتنمو اعشاب العلف بغزارة ، فتسمن المواشى وتبدو فى هيئة حسنة . كما تكون هناك ايضا وفرة فى منتجات الالبان . انه احسن موسم فى السنة لاقامة نادام ، العيد التقليدى الذى يحييه المنغوليون .

ونادام هى الكلمة المنغولية للتعبير عن الترفيه والاستجمام . والمنغوليون شعب مقاتل ، ومغرمون بالمصارعة وسباق الخيل والرماية . ونادام هى مصطلح منغولى مشتق من اسماء هذه الألعاب الثلاثة التى كانت فعلا منذ حوالى ٢٠٠٠ عام وسيلة الترفيه والاستجمام ، وطريقة تزاول بها القبائل الرحل فى الشمال الفنون العسكرية .

وفى عهد اسرة لياو اكتسبت هذه الانشطة الرياضية شعبية بين الجماهير ، واصبحت هى المسابقات الرئيسية فى نادام .

وعلى عهد اسرة جين اصبح اعطاء جوائز نقدية للفائزين فى هذه المسابقات الثلاث قاعدة . وعندما ازدهر الاقتصاد الاجتماعى للبلاد وثقافتها فى ظل جنكيزخان الذى وحد جميع القبائل المنغولية تحت حكمه واسس الخانية المنغولية سنة ١٢٠٦ ، اصبح لقاء نادام الرياضى شيئا مألوفا لمناسبات احتفالية منها : تحية العلم ، وتكليف جنرال فى الجيش بمهمة عسكرية معينة ، او الاحتفال بالبطولات العسكرية . وفى السجلات التاريخية لأسرة يوان وتلك التى فى تاريخ لاحق فى القرن الخامس عشر يظهر تعبير " المسابقات الثلاث للرجال " . وفى عهد اسرة تشينغ توسعت نطاقات ومضامين لقاءات نادام الرياضية من الناحية الفعلية ، فتقام فى كل احتفال رسمى مثل المآدب الملكية ، او اجتماع الادارات المحلية (الروابط والرايات) ، او شعيرة تقديم

القرابين الى علامة حدود ، او مناسبة ترقية موظف كبير ، او مناسبة الاحتفال بصعود " بوذا الحى الخالد " الى ذروة الهيراركية (الكائنات — الوجود) .

وكانت نادام من الناحية التاريخية تحت نفوذ اللامية ، وخصوصا عندما كانت تجرى فى الأسواق التى تقام فى الاديرة اللامية ، او عند تقديم القرابين الى الاصنام الحجرية التى تستخدم علامات للارض بمصاحبة عظات دينية . اما اليوم فقد تطورت نادام الى شيء جديد ، شيء له ملامحه القومية المميزة ، شيء يهواه المنغوليون مع محافظتها على صورتها القومية سليمة لم تمس .

ولقاء رياضات نادام هو لقاء حافل بالمتعة والمرح . فالمنغوليون مولعون بالمصارعة منذ اقدم العصور . ويقال ان جنكيزخان (١٢٠٦ — ١٢٢٧ م) عندما كان طفلا صارع ذات مرة راعى ابقار وصرعه فى ثلاث جولات متتالية . ويقال ان الراعى اعجب به جدا حتى انه ساعد جنكيزخان فى الثأر لأبيه من الاعداء . وفيما بعد عندما اصبح جنكيزخان امبراطورا قرر ان يجعل من المصارعة فقرة هامة فى اختبار اللياقة البدنية لضباطه ورجاله . وكذلك جعل الناس المصارعة احدى مسابقات الرجال الثلاث الى جانب الفروسية والرماية . ومنذ ذلك الحين تطورت المصارعة جيلا بعد جيل الى رياضة شعبية جدا .

ومنافسة المصارعة الرسمية تكون حافلة بالمراسم والشكليات ، فعلى المتسابقين ان يرتدوا حلة تقليدية عبارة عن جاكيت بلا اكمام من الخيش او الجلد مزودة بمسامير من الفضة او النحاس ، وتحتها تنورة قصيرة ذات ثلاثة ألوان ، وبنطلون محبوك مطرز مع حذاء برقبة .

ويقوم المصارعون اولا بأداء رقصة المصارعين وانشاد اغنية المصارعين التى تقول : " ارسل رجالك الشجعان . . رجالك الشجعان ! " وطبقا لقواعد اللعبة عندما يلمس اى جزء من جسم المصارع فيما فوق الركبة الارض ، فانه يخسر الجولة . وكلما فاز مصارع اخذ شريطا متعدد الالوان يشبك فى صدره . اما الرجل ذو القوة الخارقة الذى يصبح بطل الراية فيحوز لقب " ناتشين " اى النسر القوى ، وترمقه الجماهير باعجاب وفخر عظيمين .

يرتبط سباق الخيل فى منغوليا ارتباطا وثيقا بتربية الحيوانات وطريقة الحياة فى المراعى . ويمتد السباق عادة عشرات الكيلومترات . وقبل ان يبدأ السباق يصطف المتسابقون على خط واحد مرتدين جميعا حزاما ملونا حول خاصرتهم وعمامة ملونة . والطريقة المنغولية فى سباق الخيل فريدة تماما ، فالراكبون يجلسون منتصبى القامة على ظهر الحصان ويشدون الزمام بحيث يخب بسرعة لا تقل عن العدو . وفى بداية كل سباق يتقدم رجل كهل يرفع طاسة فضية مترعة باللبن و" هاتا " فى بياض الثلج ، فيغنى بعض الكلمات ويمنح المتسابقين بركاته . وكلمات المجاملة هذه قبل السباق من خصائص القومية المنغولية .

ان الجياد افضل اصدقاء الرعاة فى حياتهم اليومية ، وهى ايضا وسيلتهم فى الانتاج . وعلى المرج الاخضر يتنافسون على حيازة قصب السبق . والجواد الذى يفوز فى السباق يكسب شهرة عظيمة ويكون مدعاة لفخر راكبه . وهكذا تتشكل كلمات المجاملة على افضل نحو : تشجيعا قبل السباق ، وتهنئة للفائز ، ومواساة للخاسر .

ونادام هى ايضا سوق كبير ، فهناك متاجر متنوعة مؤقتة ومطاعم

وصالات ومكتبات وصيدليات ترادف بعضها بعضا ، مكونة مركزا تجاريا . والذين يقضون اجازاتهم يأتون لشراء الاشياء التى يريدونها ، وقد ملأت الاثارة نفوسهم بعد اشتراكهم فى سباق الخيل والمناشط الاخرى .

واذا حل الغسق سطعت المروج الخضر بالاضواء ، وانطلق يتردد فى جو الليل صوت " ماتوتشين " (آلة وترية منغولية رأسها منحوت على هيئة رأس حصان) .

١٠ ـ عيد الاضحى

عيد الاضحى عيد اسلامى معروف ايضا باسم يوم الصلاة الكبيرة . وهناك فى الصين عشر قوميات مختلفة تعتنق الاسلام ، وهى قوميات : هوى والويغور والقازاق والقرغيز والطاجيك والتتار والاوزبك ودونغشيانغ وسالار وباوآن . وعيد الاضحى معروف ايضا بالعيد الكبير الذى يحتفل به احتفالا عظيما .

والترجمة الصينية لكلمتى " عيد " و" الاضحى " العربيتين هى " تسايشنغ جيه " (اى عيد نحر الذبائح) وهو اليوم الذى تنحر فى الذبائح اضحيات . ويرجع ذلك الى قصة النبى ابراهيم الذى اوحى الله اليه فى المنام ان يذبح ولده اسماعيل علامة على التقوى والامتثال . ولكن فى اللحظة التى هم فيها ابراهيم بتنفيذ حلمه ارسل الله اليه ملكا يحمل كبشا ، امره بذبحه عوضا عن التضحية بولده . ومنذ ذلك الحين اصبح سنة عند المسلمين ان يذبحوا الحيوانات فى كل عام

اضحيات . وبعد ظهور الاسلام اصبح اليوم العاشر من الشهر الثانى عشر (ذى الحجة) فى التقويم الاسلامى (الهجرى) عيد الاضحى . ولما كان هناك اختلاف قدره احد عشر يوما بين التقويمين الغريغورى (الميلادى) والاسلامى (الهجرى) ، فان عيد الاضحى لا يأتى فى اليوم نفسه من كل عام حسب التقويم الغريغورى .

تعتبر القوميات المنتمية الى العقيدة الاسلامية عيد الاضحى يوما مشهودا . فعشية العيد (يوم الوقفة) تقوم الاسر بالتنظيف الشامل لبيوتها ، وتنهمك فى عمل الكعك وسائر الاطعمة الشهية . وفى يوم العيد يغتسل المسلمون ويتوجهون لحضور صلاة العيد ، وتنحر الاسر الميسورة خروفا ، بل ان بعضهم ينحر بقرة او جملا للضيوف ، كما يوزعون من هذا اللحم على الاصدقاء والاقارب . ويتجمع المسلمون فى المساجد يتصافحون ويتعانقون ويتبادلون التهانى . وبعد ذلك يرددون وراء الامام التهليلات والتكبيرات والدعوات ، ويحضرون شعيرة نحر الذبائح . وآخرون يقومون بزيارة الاصدقاء والاقارب الذين يحتفون بالزوار طبقا للمراسم التقليدية بمأدبة حافلة ، يأكلون فيها الكعك والفاكهة ولحم الضأن ، ويعقب ذلك الرقص والغناء اللذان يستمران احيانا حتى منتصف الليل .

وهناك بعض الاقليات التى لها طريقتها المتميزة فى الاحتفال بالعيد طبقا لعاداتهم .

فأبناء قومية الطاجيك مثلا يقومون بالتنظيف الشامل لبيوتهم ، وينثرون شيئا من دقيق القمح على جدرانها . وتقوم نساء الطاجيك بنثر الدقيق على الكتف الايسر لرجالهن وضيوفهن متمنيات لهم الصحة



اختطاف الاغنام فى عيد الاضحى

الجيدة : وفى الصباح الباكر يدخل الناس بيوتهم تابعين طفلا صغيرا ، يقود خروفا ، ويلج البيت اولا . وبعد ذلك يمكنهم ان يغادروا البيت ، ويقوموا بزيارة الاسر الاخرى . ويقال ان ذلك سوف يضمن البركة للناس والحيوانات ، ويبشر بمحصول جيد فى العام القادم .

اما القازاق ، وهم راقصون ومغنون جيدون ، فالى جانب الرقص والغناء يتناولون طعاما جيدا ومشروبات لذيذة فى ذلك اليوم ، ويحتفلون بالعيد بأنشطة مختلفة مثل منافسات خطف الاغنام وألعاب مطاردة الفتيات للفتيان .

وخطف الاغنام رياضة تجرى على ظهور الخيل ، فيوضع خروف قيدت ارجله الاربع بحيث يستطيع راكبو الجياد ان ينقضوا عليه ويخطفوه : وتمثل فرق الراكبين القرى ، والفريق الذى يفلح فى خطفه اولا وارساله الى قريته هو الفريق الفائز .

اما مطاردة الفتيات للفتيان فلعبة اخرى على ظهور الخيل . وهى تمثل طريقة القازاق فى مطارحة الغرام ، وهى تبدأ بفتى وفتاة يعدوان راكبين على حصانيهما . وفى طريقهما قد يحاول الفتى التودد الى الفتاة التى قد تروغ منه دون ان تجيب عن اسئلته ، ولكن يجب ان لا تتصدى له ابدا . اما الشاب الذى يحب الفتاة فقد يستخدم قدراته الفائقة فى الفروسية محاولا التودد اليها باعتراض طريقها واستغلال مهارته العالية فى ركوب الخيل للحيلولة بينها وبين الوصول الى نقطة معينة . وحالما يصلان الى تلك النقطة تنقلب الآية ، فالفتى فى طريق العودة يركب امام الفتاة التى تطارده ، وعندما تلحق به قد تذيقه من لسعات سوطها . وعلى الفتى ان لا يدافع عن نفسه ؛ ويتمخض هذا عن مشهد



لعبة مطاردة الفتيات للفتيان فى عيد الاضحى

مثير : الفتى يحاول ان يعدو مبتعدا ، والفتاة تنخس جوادها مطاردة اياه . فان كانت تميل اليه فقد ترفع سوطها عاليا ولكنها لا تلسعه الا لسعة خفيفة جدا غير راغبة فى ان تلحق به اذى . اما ان كانت لا تكن له ودا فان الفتى سوف يتلقى بالتأكيد ضربات موجعة .

ان خطف الاغنام ومطاردة الفتيات للفتيان هما لعبتان شائعتان فى عيد الاضحى والعيد الصغير وحفلات الزفاف . ولن يتخلف رعاة القازاق عن الحضور على متن جيادهم الاصيلة لشهودهما ومعهم الفاكهة والاطعمة الاخرى . والناس يضحكون ويصفقون محيين كل شاب يختطف خروفا وكل فتاة تدرك فتاها .

١١ ـ العيد الصغير

هذا واحد من الاعياد الكبيرة فى العالم الاسلامى ويأتى بعد انتهاء شهر رمضان . وفى الصين تقوم الاقليات القومية التى تدين بالاسلام باحياء شعائر ذلك اليوم والاحتفال به . ويأتى ذلك اليوم فى كل عام فى اليوم الاول من الشهر العاشر (شوال) الهجرى . وفى شينجيانغ يعرف ذلك اليوم ايضا باسم "عيد روزى" وروزى هى الكلمة الفارسية التى تعنى الصوم . وفى اماكن اخرى مثل نينغشيا يعرف باسم عيد الفطر ، الاسم العربى له . والعيد هنا اسم لكل احتفال يعود من عام الى عام . والفطر اشارة الى مجيئه فى اعقاب شهر رمضان الذى نص القرآن على فرض صيامه على كل مسلم بالغ ومسلمة بالغة .

وشهر رمضان ، الشهر التاسع من التقويم الهجرى ، هو عند



عيد الفطر عند القوميات المسلمة

المسلمين الشهر الذى انزل فيه القرآن وفرض عليهم فيه الصيام الفريضة الدينية الكبرى ، حيث يتناولون سحورهم طوال هذا الشهر قبل الفجر ، ثم يمتنعون من الفجر الى المغرب عن كل طعام وشراب ، ويكف المدخنون عن التدخين طوال النهار . وعلى المسلمين طوال هذا الشهر ان يمتنعوا عن كل صنوف الشهوة وهواجس الشر ، وألا يقربوا الجنس خلال النهار . وكل ذلك بدافع التقوى والتقرب الى الله . ويعفى من هذه الفريضة النساء عند الولادة وعند الطمث ، والاطفال دون سن الحلم والشيوخ الذين لا يقدرون على اداء الفريضة والمرضى حتى يشفوا والمسافرون حتى يستقر بهم المقام ، وذلك رعاية لصحتهم . ولكن على هؤلاء ايضا ان يمتنعوا عن الاسراف فى الطعام او الشراب وعن المجاهرة بالافطار . وتظل الايام التى تفطرها الوالدات والحوائض والمرضى والمسافرون دينا فى اعناقهم يتعين عليهم قضاؤه بمجرد زوال ظروفهم المؤقتة . وكل من يفطر فى رمضان دون عذر مقبول عليه ان يصوم شهرين متتابعين عوضا عن كل يوم افطره ، او يطعم ستين شخصا كفارة عن كل يوم (كيلين من الحبوب لكل شخص) . وطوال شهر رمضان تسود الجو سكينة وخشوع . ولكن ما ان ينقضى نهار الصوم ويحل الليل حتى يتاح للناس ان يأكلوا ، ويشربوا ، ويتجاذبوا اطراف الحديث ، ويتبادلوا المزاح او يجتمعوا مع جيرانهم فى سمر لطيف . وحتى ابناء السبيل الذين يتصادف عبورهم بالناحية يستطيعون ان ينزلوا فى اى بيت ، حيث يستقبلهم مضيفوهم بحفاوة بالغة .

وبعد انتهاء شهر رمضان يأتي العيد الصغير او عيد الفطر . وفى

الصباح الباكر من اول ايام الشهر العاشر الهجرى يجتمع المسلمون فى المساجد فى افضل هيئة لهم للوضوء والصلاة . ثم تعقب ذلك الاحتفالات ، فيزور الرجال عادة الاقارب والاصدقاء فى ذلك اليوم لتحيتهم وتهنئتهم بالعيد ، بينما تقوم النساء بالزيارة فى الايام القليلة التالية . وفى شينجيانغ تزدحم الشوارع بالناس الذين يقرعون طبولا صغيرة اشبه بالدفوف ، ويعزفون على " دونغبولا" (الطنبور — آلة وترية نقرية) ويغنون ويرقصون فى الشوارع . وحتى الخيول توضع عليها السروج المزركشة وتربط الى اعرافها وذيولها بحرير احمر وريشات من طائر التدرج زينة لها ، وتغطى حلى بشكل الازهار عدة الحصان كلها من سرج ولجام وركاب . اما الويغور المسلمون فيستقبلون الاهل والاصدقاء فى بيوتهم ، يقدمون اليهم الشاى باللبن واللوز والمشمش المجفف والزبيب وعسل النحل والمرطبات الخفيفة . واما القازاق والقرغيز والطاجيك ، فيلعبون لعبة خطف الاغنام وسائر الرياضات التى تجرى على ظهور الخيل . والمسلمون من اهل الجنوب يصنعون لأنفسهم واقاربهم واصدقائهم كعكا من عجين يقلى قليا جيدا فى زيت السيرج . وفى الاماكن الاخرى من البلاد يجتمع المسلمون معا ، وغالبا ما يختار الشباب المقبلون على الزواج منهم ذلك اليوم لأعراسهم .

ان الصين تتخذ سياسة احترام عادات مختلف القوميات وحرية الاعتقاد . وعيد الفطر اجازة فى الاماكن التى تعيش فيها بكثافة قوميات من التى تدين بالاسلام . وتنظر دوائر التجارة المحلية فى اعطاء المسلمين تموينا اضافيا من الاطعمة الخاصة بالعيد .

١٢ ـ عيد دوان عند قومية شوى

" دوان جيه " فى لغة قومية شوى تعنى " لتبدأ بداية جديدة " .
انه يوم السنة الجديدة لدى قومية شوى فى مقاطعة قويتشو . ويشبه ذلك الى حد بعيد بدء السنة القمرية عند قومية هان بعيد الربيع . وطبقا لتقويم شوى تبدأ السنة مع الشهر القمرى التاسع ، وتستمر الاحتفالات من نهاية الشهر الثامن الى اوائل الشهر العاشر . وعندما يكون اليوم هاى (هاى هو آخر الفروع الارضية الاثنى عشر ، ولذلك ففى كل اثنى عشر يوما يوم هاى) فان اهالى قومية شوى يحتفلون بالعيد تباعا طبقا لعادة مؤصلة . وهو عيد يحتفل فيه بالحصاد الوافر ، ويتمنى فيه الناس لبعضهم بعضا الحظ السعيد فى العام القادم .

وثمة قصص عديدة عن اصل هذا العيد ، اكثرها ذيوعا تدور حول ثلاثة اخوة دفعهم الفيضان الى مكان هو الآن محافظة سانجيانغ الذاتية الحكم لقومية شوى فى قويتشو . . فأقسموا ، وقد ساءهم ان يروا القرى والمنازل تتحول الى انقاض وحطام بفعل الفيضان ، على ان يعيدوا بناء المناطق التى اصابها الفيضان ، وتعاهدوا بعد ان احرزوا نجاحا على اللقاء مرة اخرى فى مثل ذلك اليوم من عامهم القادم ، اول يوم هاى فى اول شهر فى تقويم شوى . وبعد عام حققوا آمالهم فاجتمعوا مرة اخرى ليحكى كل منهم لأخويه ما فعله فى تجديد القرى . ومن اجل ان يبدى اهالى قومية شوى الاحترام لهؤلاء الاسلاف فانهم جعلوا ذلك اليوم عيدا .

عشية العيد تتجاوب كافة القرى بأصداء اصوات النواقيس النحاسية ،

تلك النواقيس التى نادرا ما تدق الا فى الايام المشهودة . انها تدق لاعلان مقدم العام الجديد . وتبدأ كل اسرة فى التأكد من ان كل شيء معد على ما يرام لاستقبال العيد . وصباح العيد يرتدون ملابسهم الجديدة ، وتعد كثير من الاطعمة تقدم قرابين للاسلاف . ويطبخون الارز الغروى ، ويصنعون حساء من الاسماك الطازجة الخارجة لتوها من الماء ، ويستمتع الضيوف . ويتبادل الناس الزيارات متمنين لبعضهم بعضا افضل الامانى . وخلال الاحتفال يستمتع اهالى شوى بسباق الخيل وقرع الطبول والعزف على لوشنغ والرقص .

وعادة ما يجرى سباق الخيل على منحدر جبل قريب من القرى . ويعرف هذا المنحدر باسم "منحدر دوان" او "منحدر السنة الجديدة" . ويذهب الشبان المشاركون فى السباق الى ذلك الموقع بخيولهم التى زينوها بعناية ، وعلقوا الاجراس بعدتها والكرات التى على شكل الازهار فى آذانها ، ووضعوا دثرا صوفية سميكة على ظهورها ، ويجرى السباق وسط تشجيع وهتافات الجمهور المتحمس .

وقرع الطبول هو ايضا من الاحداث الممتعة جدا ، وتستخدم فيه الطبول النحاسية والطبول الرقية كلتيهما . والاولى ذات لون اصفر ذهبى يبلغ قطرها قدما ونصف قدم ، وتزن اكثر من ٣٠ كيلوغراما . والثانية قد تكون جذع شجرة بولفينية مجوفا طوله ٥ر٢ قدم ، وقد شد على اسفله واعلاه رقان من جلد البقر . وتدق الطبلة النحاسية ليلة الاحتفال. والاسرة التى لديها مثل هذه الطبلة سوف تعلقها وسط غرفة من البيت ، وتسلى نفسها بالدق عليها . وحينذاك يبدأ الشباب بالعزف على لوشنغ واداء رقصتى الطبلة النحاسية ومصارعة الثيران . ورقصة الطبول رقصة

مفعمة بالجرأة والمرح والنشاط ، تبث الحياة فى الاشياء ، اذ تأخذ دقات الطبول التى تبدأ بايقاع بطىء تسرع شيئا فشيئا ، وصوتها الذى يبدأ ناعما هادئا يرتفع شيئا فشيئا ، والخطوات الرشيقة القوية للرقصة يصاحبها ايقاع الطبول التى يضفى صوتها جوا حماسيا ـ اما رقصة مصارعة الثيران فهى رقصة لقومية شوى ، طوروها فى تاريخ لاحق لرقصة الطبول . وتقدم عادة فى سنوات الحصاد الجيد ، وهى تصور بخطواتها وحركاتها المراحل المختلفة للزراعة : البذر ، ورعاية النباتات الصغيرة ، والحصاد . بينما تتخلل حركات مصارعة الثيران حركات مختلف مراحل الزراعة بطريقة فنية .

١٣ ـ عيد الثالث من الشهر الثالث عند قومية تشوانغ

اليوم الثالث من الشهر القمرى الثالث هو يوم قومية تشوانغ لانشاد الاغانى " قه شيوى" ويوم الرقص والغناء " قه بوه" .

و" قه شيوى" هى الكلمة الهانية لتعبير قومية تشوانغ "هوان لونغ دونغ" الذى يعنى اداء الناس الاغانى فى الحقول . وفى بعض الاماكن يدعى هذا اليوم " هوان ووه قان " بمعنى الاغانى التى تغنى خارج كهف . اذ ان اهالى قومية تشوانغ الذين نادرا ما بنوا المعابد كانوا يضعون اصنامهم فى الماضى فى الكهوف ، معتقدين انها اماكن مقدسة ينبغى ان يبقى الناس فيها ساكنين لا يحدثون ضجيجا . ولذلك فانهم لا يملكون حريتهم فى الغناء الا بعد ان يغادروها .



عيد الثالث من الشهر الثالث عند قومية تشوانغ

" والآن اصبحت قوانغشى بحرا من الاغانى ، وجميعها انحدرت من الاخت الثالثة شخصيا " . تلك كلمات من اغنية شعبية فى قوانغشى ، وهى تشير الى اصل هذا الاحتفال الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بالاخت الثالثة ليو المغنية الالهية .

يقال ان الاخت الثالثة ليو كانت ابنة صياد ، ولدت فى ييشان بمقاطعة قوانغشى فى عهد اسرة تانغ . وقد احبت الغناء منذ طفولتها . وعندما شبت وغدت فتاة جميلة اصبحت تستطيع الغناء ارتجالا . وكان فى تلك الناحية رجل ثرى يدعى موه هواى رن ، اسكره جمالها ، فاستأجر اربعة مغنين ليدخلوا فى حوار غنائى مع الاخت الثالثة ليو على امل ان يستطيع رجاله اذا فازوا فى هذه المنافسة اقناعها بالزواج منه ، ولكن المغنين الاربعة جميعا خسروا المنافسة ، وحينذاك اختطفها حراس موه ، ولكنها لم تستسلم رغم اختطافها ، ولم تفلح التهديدات ولا الملاطفة من جانب موه فى إلانة عريكتها ، فأمر بها موه وقد تملكه الغضب فرميت فى نهر . ولكنها انقذت من الغرق عندما حملها التيار الى ليوتشو . وهناك استقرت فى تل يويفنغ (قمة السمك) . وعندما سمع اهل القرى بقصتها جاؤوا جميعا ليتعلموا الغناء منها . وفيما بعد تزوجت صيادا شابا وواصلت تعليم الناس الغناء . وعندما شم موه تلك الاخبار سعى الى اغراقها هى وزوجها فى بركة صغيرة عند سفح تل يويفنغ بمساعدة بعض الموظفين المحليين . وفى منتصف ليلة ساطعة القمر متلألئة النجوم جاء اهالى الريف ، فانتشلوا جثتيهما . وفجأة ، وفى هبة ريح ، شوهدا هى والصياد الشاب راكبين متن سمكة ومنطلقين فى الفضاء قبل ان يختفيا عن الانظار . واصبح

الناس يعتقدون انها صارت الهة ؛ ومنذ ذلك الحين دأب السكان المحليون على الاشارة اليها بوصفها المغنية الالهية . واحياء لذكرها تغنى الاغانى على مدى ثلاثة ايام بلياليها اعتبارا من اليوم الثالث من الشهر القمرى الثالث من كل عام ، لأن هذا هو يوم الذكرى السنوية لوفاة الاخت الثالثة ليو . وتلك هى قصة قه شيوى .

تدل السجلات التاريخية على ان هذا العيد يقام منذ اكثر من الف سنة ، ففى كتاب « تايبينغ هوانيويجى» (ملاحظات عن عالم السلام) الذى كتب ىُ عهد اسرة سونغ وصف المؤلف كيف ان " جميع الرجال والنساء من قومية تشوانغ يرتدون ازياءهم ، ويغنون مجتمعين . " وقد تطورت الاغانى الشعبية لقومية تشوانغ تطورا جيدا بعد عهد اسرتى سونغ ويوان ؛ واصبحت الحفلات الغنائية شائعة جدا فى الاعراس وسائر المناسبات البهيجة ، حيث احب الناس هناك ان يغنوا فى المهرجانات والاحتفالات ؛ وكانت هناك لقاءات منتظمة خلال فترات الركود فى العمل الزراعى لانشاد الاغانى معا . وكان الغناء الثنائى فى الواقع مجالا لوصل حبل الوداد بين الجنسين . وفى عهد اسرة تشينغ تطور قه شيوى فأصبح تجمعا للعدة مئات وربما آلاف يغنون معا .

عندما يأتى يوم قه شيوى يتجمع الشباب فى افضل ازيائهم على التلال وفى الحقول المكشوفة وفى غياض البامبو وعلى المنحدرات المعشبة لارتجال الحوارات الغنائية موجهين الى بعضهم بعضا اسئلة من خلال الغناء . وتلك الاسئلة قد تشمل اى مجال من مجالات المعرفة ، من الفلك والجغرافيا والتاريخ والحياة الاجتماعية الى العمل الانتاجى ،

وهناك بالطبع اغانى حب ايضا . وقد تتجمع مجموعة من الفتيات واخرى من الفتيان يغنون لبعضهم بعضا ، وبينهما مسافة من بضعة امتار يسألون ويجيبون بالغناء . وهم لا يبذلون جهدا لاخفاء مشاعرهم وعواطفهم فى حضور هذا الجمع من المشاهدين حولهم : وفى الغالب يظلون حتى بعد يوم وليلة من الحوار الغنائى المتعاقب قادرين على الاجابة السريعة ، ولديهم الافكار الجديدة التى يعبرون عنها فى تدفق وعبارات جميلة الصياغة .

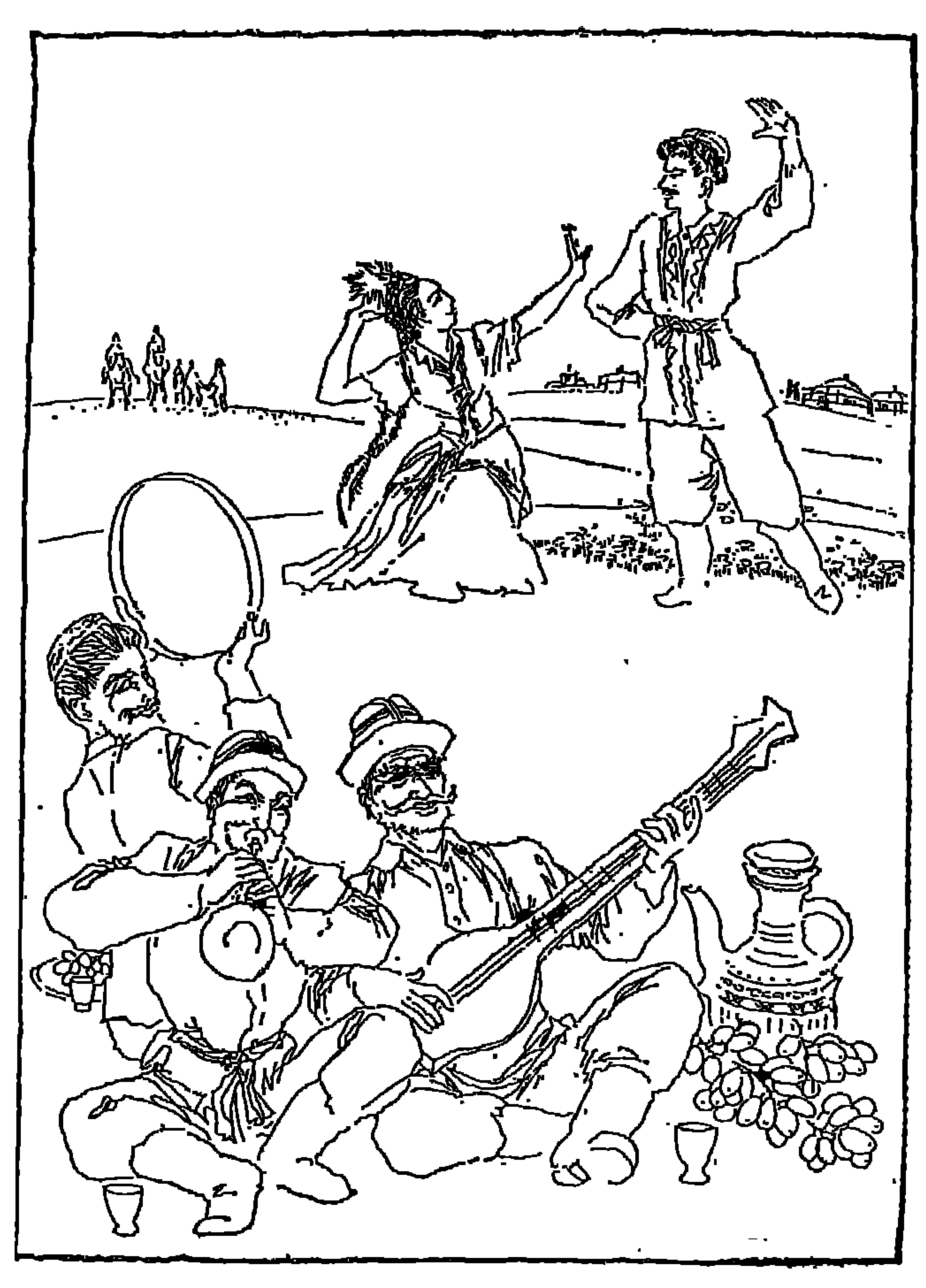
ومن الاحداث الفريدة ايضا خلال هذا الاحتفال القاء الكرات الحريرية . وتستخدم هذه الكرات بألوانها المختلفة لاظهار العواطف تجاه شخص آخر . والكرات التى تستخدم فى مسابقات لرميها والامساك بها تكون مستديرة او مربعة او مثلثة ، وبعضها يكون على شكل سمكة او بطة ، كما ان احجامها تكون مختلفة . وفى اعلاها شريط ملون ، ومن اسفلها يتدلى عنقود من الشراريب الحريرية طوله حوالى قدم . وبعد ان يمضى الحوار الغنائى بعض الوقت يبدأ المغنون فى القاء الكرات الحريرية . ويقف شبان وشابات ، فى العراء ، تفصل بينهم منصة ، ويلقى كل منهم على حدة الكرات الحريرية من فوقها . فاذا اخفق احدهم فى الامساك بها حق تكليفه بغناء او عمل شىء عقابا له . وقد يحدث ان تلقى شابة غير متزوجة كرة حريرية خلسة الى الرجل الذى تحبه ، فيرمى اليها فى المقابل منديلا او شيئا من هذا القبيل . وخلال الحوار الغنائى تخطب المرأة الشابة الى الرجل الذى تحبه .

واليوم اصبح الاحتفال بهذا العيد واسع النطاق ، اذ يحضره على الاقل ألفان او ثلاثة آلاف ، واحيانا اكثر من عشرة آلاف . وليس

الشباب وحدهم هم الذين يشاركون فى اغانى الكورس فى هذا العيد ، بل يشترك ايضا المغنون المتمرسون من كبار السن الذين يرون من واجبهم ان ينقلوا الى الاجيال الاصغر الاغنيات التقليدية الشهيرة ، وخلال اعياد قه شيوى ابدعت قومية تشوانغ كثيرا من الاغانى المتعددة الألوان ، ولذلك فان هذا العيد لتلك الاقلية القومية يحفل دائما بأصداء الالحان العذبة .

١٤ ـ مهرجان "آكن" الغنائى لقومية القازاق

فى منتصف كل صيف ، عندما تصبح الازهار فى السهوب فى كامل تفتحها ، يبدأ مهرجان آكن الغنائى لقومية القازاق . و"آكن" هى الكلمة القازاقية للمغنى . وتحكى قصة انه منذ زمن بعيد بعيد .. كانت هناك فتاة جميلة تعيش فى مراعى آلتاى ذات صوت جميل اخاذ حتى ان القبرات كانت تقف ساكنة عازفة عن الطيران لدى سماعها . وذات يوم بينما كانت تعزف على " دونغبولا " (الطنبور) الى جانب نهر ، وتشدو بأغنية عن اشواقها لحبيبها البعيد ، مر بها شيخ لقبيلة بدوية راكبا على جواده . ولما كان قد اخذ بسحر جمالها فقد ارسل خاطبة تطلب يدها ، وبالطبع عارضت الفتاة ، ولكنه رغم ذلك ارغم اسرتها على عقد قرانها عليه . وذات يوم ، وقد اقترب موعد الزفاف ، ظهر جواد مطهم ، وسرعان ما طار فى الهواء وعلى متنه تلك الفتاة التى فتت الحزن قلبها . كان ذلك الجواد فى الواقع هو حبيب قلبها الذى تقمص فى صورة جواد ليحملها . وكانت الفتاة لا ترغب فى مفارقة



مهرجان "آكن" الغنائى لقومية القازاق

اهلها وجيرانها ولذلك اسقطت دونغبولا من الهواء . ويا للعجب ! فانها تكاثرت ونمت لتصبح دونغبولات كثيرة ، اخذت تتساقط فى الهواء الى اعزائها على الارض الذين تجمعوا وانضموا الى الزوجين المفارقين فى الغناء ، وتحولت المراعى الى ساحة ومهرجان للاغانى . ومنذ ذلك الحين دأب رعاة القازاق على التجمع فى منتصف كل صيف فى المراعى والغناء فى ذكرى الزوجين السعيدين ، وعاما بعد عام يستمر مهرجان آكن الغنائى .

يشترك فى المهرجان افضل المغنين من مختلف النواحى بما فيهم المغنون المتمرسون الذين بلغوا الستينات من العمر ، والشباب الناشئون فى الغناء ، والفتيات بأصواتهن الشابة المصلصلة . انه تجمع يتنافس فيه المغنون جميعا على البطولة .

ومن عادة القازاق ان يشربوا الكوس (شراب مخمر من لبن الفرس) قبل ان يبدأ مهرجان الغناء . وهم يعتقدون انه مفيد فى جلاء الاصوات . وتحتوى اشكال الغناء المختلفة على الغناء الفردى والاغانى الحوارية ، وترتجل جميع الاغانى ارتجالا ، فيما عدا قليلا منها يقوم على اساس الالحان الكلاسيكية .

ويستمر المهرجان عادة حوالى عشرة ايام . وتوزع الجوائز فى اليوم الختامى . كذلك تكون هناك خلال اللقاء انشطة اخرى مثل سباق الخيل ومسابقات خطف الاغنام وألعاب مطاردة الفتيات للفتيان والمصارعة وشد الحبل والرماية .

١٥ ـ تجمع " موناو تسونغقه " لقومية جينغبوه

موناو تسونغقه احتفال تقيمه قومية جينغبوه فى يوننان ، ويقع عادة فى يوم مختار خلال وقت الحصاد الوافر . والكلمة هى الترجمة الصوتية للكلمة التى تعنى مجموعة الرقص والغناء بلغة جينغبوه . وتقول اسطورة قديمة لهذه القومية انه فى الزمن البعيد جدا لم يكن احد يعرف الرقص سوى اطفال الاله الشمس . وذات يوم دعا الاله الشمس كل الاشياء التى على الارض الى تجمع موناو تسونغقه . وقد اختيرت القبرة الذكية لتمثل الارض ، وحضرت اللقاء . ولما تعلمت القبرة فن الغناء والرقص من الشمس اوصت بأن يكون الطاووس " ناوشوانغ " (اى الراقص القائد) وان يقدم عرضا على الارض . وقد حدث ان كان قريبا من ذلك العرض الرائع ورآه شنغلا قونغتشا وزوجته الجدان الاعليان لشعب جينغبوه ، فسرا به سرورا عظيما حتى انهما نقلا موناو تسونغقه الى شعبهما على امل ان يسعد به اطفالهما واطفال اطفالهما جميعا ، ويعيشوا فى سعادة الى الابد .

فى الصباح الباكر لموناو تسونغقه يأتى الناس من جميع القوميات فى المنطقة الجبلية الى موقع الرقص ليقدموا تهانيهم الى اخوتهم واخواتهم من قومية جينغبوه ، فيأتى ابناء قومية داى يرقصون رقصة الطاووس ، واهالى قومية آتشانغ يقرعون الطبول والصنوج ، وابناء قومية بنغلونغ يطلقون البنادق والمفرقعات النارية ، ويأتى ابناء قومية ليسو ، يعزفون على آلات ثلاثية الاوتار .

وهكذا يصبح المكان كله متوهجا بالالوان . وتنتصب فى وسط



اسطورة تجمع "موناو تسونغقبه" لقومية جينغبوه

خشبة المسرح اربعة ألواح خشبية (موناو شيدونغ) مرسوم عليها صور راقصين . وعلى المصاطب المحيطة بها والمصنوعة من البامبو ترفرف الاعلام المثلثة . وخلفها طبلة خشبية هائلة وبضعة نواقيس نحاسية معلقة على الجانبين . وبين الالواح الخشبية (موناو شيدونغ) يقوم سيفان كبيران متقاطعان يوحيان بالقداسة والرهبة .

وقبل ان يبدأ الاحتفال تخطو الى مكانه مجموعة من رجال ونساء جينغبوه حاملين فى ايديهم خمر الارز وكعكات الارز الدبقة والبلح للترحيب بالضيوف من القوميات الاخرى . وعندما تبرز الشمس من الافق يطلق رجال جينغبوه الصواريخ الى السماء ايذانا بافتتاح الاحتفال . وبين الاصوات العالية لـ " دونغبا " (نوع من الآلات الموسيقية يشبه قرن الثور) والايقاع اللطيف للناى يدخل آلاف الناس الى موقع الاحتفال بخطوات راقصة قوية ، والرجال منهم يحملون سيوفا طويلة لامعة كجنود ذاهبين الى القتال ؛ بينما فتيات جينغبوه الحسناوات يضارعن الفراشات جمالا . وتضع الفتاة التى يقع عليها الاختيار كـ " ناوشوانغ" غطاء للرأس مزينا بريش الطاووس (رمزا للحظ السعيد) ، وتعلق على صدرها قلادة لامعة ، وترتدى تنورة ملونة تأسر العيون برسوماتها الزهرية . ويدخل الآلاف بعد الآلاف من الراقصين فى تناسق مع ضربات الطبول والايقاعات المرحة واحدا بعد الآخر ۲۰ مرة يتقدمون الى الامام مرفوعى الرؤوس ، واخرى يستديرون راجعين الى الخلف برؤوس محنية . وبينما يتمايل الذين فى المقدمة ، يستدير الذين فى المؤخرة ، ويتحركون جميعا معا مثل تنين يتلوى ،

وغالبا ما يستمر ذلك من الصباح حتى المساء ، بل ربما الى الليل ، ولبضعة ايام .

١٦ ـ مهرجان الاغاني لقومية جينغ (هاجيه)

هاجيه مهرجان تقليدى لقومية جينغ التى تعيش حول محافظة دونغشينغ فى قوانغشى . و " ها " كلمة بلغتهم تعنى الغناء . ويختلف موعد هذا العيد من مكان لآخر ، فيقع فى اليوم العاشر من الشهر القمرى السادس فى بعض الاماكن ، وفى اليوم العاشر من الشهر الثامن فى اماكن اخرى ، وفى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الاول فى سائر الاماكن .

وتمضى قصة العيد على هذا النحو : منذ حوالى سبعمائة او ثمانمائة سنة جاء الى حيث تعيش قومية جينغ مغن من الجان ، اخذ يعلم الناس الغناء بحماسة فى كل يوم بعد ان يفرغوا من عملهم . وكانت اغانيه التى تفضح وتنتقد بشدة افعال الحكام الشريرة ، وتعبر عن شوق الناس الى الحرية والسعادة ، موضع الترحيب لدى قومية جينغ . واحياء لذكراه بنت قومية جينغ مقصورة لـ " ها " حيث يغنون ويعلمون الآخرين الغناء . وقد تواصل هذا النشاط عبر الاجيال حتى اصبح " هاجيه " الحالى .

والمقصورة التى يغنى فيها الاهالى المحليون فى الاحتفال مبنية من الخشب بناء جيدا وذات مظهر خارجى رائع وطراز قومى قوى . والاغانى التى تقدم فى المهرجان تقوم على اساس كتاب اغان مكتوب ،

ويؤديها مغنون محترفون ، هم عادة رجل وامرأتان يغنون على التوالى . وهذه الاغانى تدور حول شخصية تاريخية ، او تروى حكاية شعبية ، او تصف الحياة السعيدة ، او تشيد بالصداقة والحب . وهناك دائما عدد كبير من المستمعين ، منهم اناس من قوميتى هان وتشوانغ . وقد يبلغ عدد المشاهدين احيانا بضعة آلاف .

العادات الشعبية فى الاحتفالات الاخرى للاقليات القومية فى الصين

السنة الجديدة المنغولية :

يقع رأس السنة الجديدة للمنغولية فى الشهر القمرى الاول الذى يوصف بـ " الشهر الابيض " . وكان المنغوليون فى العصور القديمة يعتبرون البياض اصلا لكل الاشياء ورمزا للذهن الصافى . وقد كتب ماركوبولو فى كتابه عن انطباعاته عن الشرق ان المنغوليين جميعا ، ومن بينهم الخان الاعظم ووزراؤه ورعاياه ، يرتدون الثياب البيضاء فى رأس السنة الجديدة اتباعا لعادة قديمة ، اى من بداية اليوم الاول للشهر الاول يرتدى الجميع ثيابا بيضاء . وقد لوحظ خلال الاحتفال ان الناس يتبادلون هدايا بيضاء اللون ، وانهم يعتبرون الثياب البيض شيئا ميمونا . كذلك وصف ماركوبولو مشهد احتفالات المنغوليين بالعام الجديد فى عهد اسرة يوان . وقال انه فى ذلك اليوم ترسل من بعض اجزاء البلاد الى العاصمة اكثر من مائة ألف من الخيول البيضاء هدايا واتاوات . وكان هناك حوالى خمسة آلاف فيل مزينة بسروج مزركشة ، يحمل كل منها على ظهره صندوقين فاخرين مملوءين

بالمشغولات الذهبية والفضية والاسلحة ليستخدمها القصر الامبراطورى فى العيد الابيض . وكان هناك ايضا عدد لا حصر له من الجمال المزينة ايضا بالسروج والتى تحمل الاشياء المطلوبة لذلك اليوم . وكانت جميعا تمر امام الخان الاعظم مشكلة اكثر الاستعراضات ابهارا للناظرين بروعة مناظرها .

اما فى هذه الايام فان المنغوليين يرتدون ثيابا جديدة فى رأس السنة ، ويتبادلون التحيات والتهانى وهدايا العام الجديد فيما بينهم ، ويقدمون لبعضهم بعضا " هاتا " . وعشية العام الجديد يقدم للمعمرين من الناس " الخمر فى توديع العام الذاهب" . وفى اول يوم فى السنة يركب الناس الخيول لزيارة الاصدقاء . وغالبا ما يكرمهم مضيفوهم بمأدبة كل اطباقها من لحوم الضأن .

السنة الجديدة لقومية داهور :

فى لغة قومية داهور يطلق على السنة القمرية الجديدة "آنيه" . وهم فى اليوم الثلاثين من الشهر الثانى عشر يقدمون القرابين للاسلاف وينظفون قبورهم . وتقوم كل اسرة بتنظيف فناء بيتها ، ويكومون روث الابقار الجاف امام المدخل الرئيسى . وعندما يحرق هذا الروث فى المساء فان النيران المنبعثة من البيوت الكثيرة ، مرسلة لهيبها الى السماء ، تخلق جوا من الشعور بالألفة والبركة فى القرية . ويسهر الناس الى وقت متأخر عشية السنة الجديدة . ويعلقون مختلف انواع الفوانيس امام ابواب الدور ، وبعضها يكون من الفوانيس الثلجية . وفى يوم رأس السنة الجديدة يرتدى الناس ثيابهم الفاخرة ويتمنون

للمسنين من افراد الاسرة الصحة الجيدة ، ويقدمون اليهم غليونا من التبغ ويسجدون لهم . كما يقدمون تهاني العام الجديد للجيران بيتا بيتا . ويكون كل بيت قد اعد الكعك المنضج بالبخار انتظارا للضيوف ؛ وحالما يطأ الزوار بيت احد من الناس ، يهرعون الى المطبخ ، ويرفعون غطاء المرجل متدافعين الى اكل الكعكات الموجودة هناك . ثم يبدون رأيهم فى الكعكات التي تذوقوها ، ويقارنون بينها وبين ما تناولوه فى بيوت اخرى . واذا كان مذاق تلك الكعكات حلوا جدا دل ذلك فى عرفهم على ان صاحبته تتمتع بطوية سليمة وقلب طيب . ويمكن القول عموما ان الزوار والمضيفين على السواء ، ذكورا كانوا ام اناثا ، يتبادلون خلال الزيارة السجائر او تبغ الغليون علامة على الاحترام . وتجلب الفتيات معهن الى حفلات الرقص فى عيد الربيع الاكياس التي طرزنها بأنفسهن ، ويقدمنها فى الخفاء لمن اصطفته قلوبهن عنوانا للمحبة . ويزاول ابناء داهور خلال "آنيه" كثيرا من ألعاب التسلية ، فيقومون — مثل المنغوليين — بالمصارعة وسباق الخيل والرماية . وهم مغرمون بصفة خاصة بلعب "بى كوه" ، وهى لعبة شبيهة بهوكى الثلج . وتستمر الاحتفالات حتى اليوم السادس عشر من الشهر الاول . واليوم الاخير من الاحتفالات يدعى "اليوم الاسود المهبب" . وفى ذلك اليوم يلطخ كل واحد وجهه وكل واحدة وجهها بالهباب (السخام) . ويقولون ان اهمال القيام بذلك سوف يجلب الحظ السيئ خلال العام . ولذلك يلطخ الشباب جميعا ايديهم بالسخام ليلوثوا به وجوه الآخرين . وتصبح الفتيات هن الهدف المحبب لذلك ، فيقوم الشباب غالبا بتلطيخ وجوههن بالسواد .

السنة الجديدة لقومية ياو :

ان اليوم الاول من الشهر القمرى الاول هو يوم للسنة الجديدة لقومية ياو . وتكون هناك تجمعات تحضرها الفتيات اللاتى يرتدين جاكيتات وتنورات مزينة برسوم الازهار ، ويلبسن حليا فضية ، ويرتدى الفتيان ايضا افضل ما لديهم لأيام العطلات . وفى بداية الحفل يقدم ثلاثة من للشباب عرضا لعملية للزراعة ، فيتنكر احدهم فى هيئة ثور ، والثانى فى هيئة فلاح يقوم بالحرث والثالث فى هيئة فلاح يمسك بالمعزقة . ويرقص الثلاثة ويغنون متمنين حصادا جيدا فى السنة القادمة وعيد ربيع سعيدا . ويتبادل الناس التحيات ويحضرون مسابقات للرماية وسائر الالعاب :

يوم الغناء لقومية ياو :

ذلك يوم يتجمع فيه اهالى قومية ياو للاحتفال بالحصاد الجيد . ويأتى كل عام فى اليوم السادس عشر من الشهر القمرى للعاشر . وهو ايضا يوم يتلاقى فيه للشباب من الجنسين ، يتطارحون للغرام من خلال للغناء الحوارى .

مهرجان اونغور :

وفيه يحتفل التبتيون مقدما بالحصاد الجيد : ويبدأ عادة فى يوم مبارك قبل حصاد الخريف ، ويستمر من يوم الى ثلاثة . وخلال المهرجان يمتطى الناس الجياد وهم فى ابهى حلل العيد ، ويتجولون فى الحقول ، ثم يتجمعون لينصبوا للخيام فى الاراضى المعشبة وسط الغابات ،

ويضعون الحشايا الملونة على الارض ، ويضعون اطباق الطعام الذى يتناولونه فى الهواء الطلق من اللبن الرائب والانواع الاخرى الجيدة . ويبدأ بعضهم فى العزف على العود السداسى الاوتار ، وآخرون يغنون او يرقصون محتفلين مقدما بالحصاد الجيد . والمهرجان كذلك مناسبة لمزاولة الانشطة الرياضية مثل سباق الخيل والرماية . ومن الالعاب المثيرة لهم التقاط هاتا فى طريق السباق . فبينما ينخس الراكبون جيادهم مندفعين فى طريق محدد ، يحاولون ان يلتقطوا قطع هاتا من الأرض . واولئك الذين يقودون جيادهم اسرع ، ويلتقطون قطعا من هاتا اكثر ، يعقد لهم الفوز ، وتستمر السباقات حتى يحل الظلام . وآنذاك فقط يبدأ الناس فى العودة الى بيوتهم مغنين راقصين فى الطريق .

مهرجان داما :

احتفال تقليدى للتبتيين . ففى كل عام ، حوالى اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى السادس ، يتجمعون لمنافسات سباق الخيل والرماية من على ظهور الخيل . ويأتى الناس من كلا الجنسين ومن كافة الاعمار لشهود تلك المنافسات . واكثر الاشياء امتاعا لهم هى سباق الخيل والرياضات التى تمارس على ظهور الخيل . ويكون معظم الراكبين المتنافسين من المراهقين وممن هم فى العقد الثانى من عمرهم ، والفائزون يحصلون على جوائز . وتقام فى المهرجان ايضا سوق يؤمها الناس للاتجار فى المنتجات الزراعية والحيوانية .

مهرجان شيويه دون :

احد الاحتفالات التبتية التقليدية . و" شيويه " تعنى اللبن الرائب و" دون " تعنى الوليمة او المأدبة . وقبل القرن السابع عشر كان شيويه دون نشاطا دينيا خالصا ، ثم اخذ يتطور بالتدريج الى مهرجان مسرحى تبتى . ويقع فى كل عام فى الثلاثين من الشهر القمرى السادس .

عيد ساجبداوا :

وهو العيد الذى يحتفل فيه اللاميون التبتيون بمولد ساكيامونى . اى باليوم الذى يقال انه اصبح فيه بوذا ، وهو ايضا يوم وفاته . كذلك هو اليوم الذى يحتفل فيه التبتيون ، سواء من الرهبان او من عامة الناس ، بالحصاد مقدما . وهذا العيد يأتى فى كل عام فى الخامس عشر من الشهر الرابع بالتقويم التبتى . وهو يقام منذ ما يزيد عن الف عام . ويقال ايضا انه اليوم الذى وصلت فيه الاميرة ون تشنغ من اسرة تانغ الى التبت ، ولهذا تقام انشطة تذكارية فى كافة انحاء التبت .

مهرجان الثامن من ابريل :

١ — مهرجان هام لقومية مياو التى تعيش فى نواحى مدينة قوييانغ بمقاطعة قويتشو . وقد بدأ منذ عهد اسرة مينغ . ففى كل عام يتجمع فى اليوم الثامن من الشهر القمرى الرابع شباب قومية مياو ، وهم فى حلل العيد ، عند النافورة فى مدينة قوييانغ ، يغنون ويحيون ذكرى " يانو" بطلهم القومي الاسطوري .

ومنذ التحرير اصبح هذا التجمع يضم الناس من شتى القوميات عنوانا للصداقة والتضامن .

٢ — وهذا اليوم ايضا احد احتفالات قومية بويى . ويختلف اسم الاحتفال من مكان لمكان . ففى بعض الاماكن يطلق عليه " نيو وانغ جيه " اى عيد ملك الابقار . وفى اماكن اخرى يسمى " موتونغ جيه " (يوم رعاة البقر) او " كايبانغ جيه " (يوم غرس شتلات الارز) : وفى ذلك اليوم يأكل الناس والابقار ايضا الارز الجيلاتينى ، ويكفون عن العمل تخفيفا عن حيوانات الحمل .

عيد العام الجديد :

يحتفل اهالى قومية يبى برأس السنة الجديدة فى الشهر القمرى العاشر . وفى تلك المناسبة تذبح الابقار والاغنام والخنازير قرابين لأسلافهم . وكان الاتباع فى الماضى فى ليانغشان يخصصون نصف رأس خنزير لسادتهم اعلانا عن خضوعهم . وفى ذلك اليوم يشرب اهالى قومية يبى الخمر ويغنون الاغانى ويتبادلون التحيات . وفى الليل يتجمع الشباب فى قطعة خالية من الشجر وسط غابة صنوبر او ن حقل مكشوف ليرقصوا راقصة القمر . ويعزف الرجال على آلة ثلاثية الاوتار او على العود بمصاحبة الناى ، ويرقصون مع النساء اثنين اثنين . وتتضمن حركات الرقصة ثلاث خطوات الى الامام ثم توقف لزمن حركتين ثم رفع قدم الى الامام او للدوران فى المكان مع التصفيق بالايدى .

مولد النبي :

ويقع فى اليوم الثانى عشر من الشهر الثالث فى التقويم الهجرى (ربيع اول) احتفالا بذكرى النبى محمد مؤسس الاسلام . وقد ولد فى الشهر الثالث ، وكانت وفاته ايضا فى نفس هذا الشهر . والعقيدة الاساسية فى الاسلام هى كما هو معروف الايمان بالله الها واحدا للكون ، وبمحمد نبيا ورسولا لله .

عيد الثالث من مارس :

وهو عيد تقليدى لقبيلة اميبفو من قومية لى فى جزيرة هاينان ، ففى كل عام يحتشد ابناء هذه القبيلة فى اليوم الثالث من الشهر القمرى الثالث للاحتفال مقدما بالحصاد الوفير من " شان لان " (الارز الجبلى الجاف) وبالصيد الطيب . وهو ايضا المناسبة التى يبحث فيها الشباب عن نصفهم الآخر .

رقص ثور الربيع :

وهو حدث فريد يقع بين اهالى قومية دونغ فى يوم بداية الربيع (لى تشون) . ويصنع فيه رأس ثور من اعواد البامبو ، ويكسى بالورق . ويزين الرأس بزهرة كبيرة حمراء . اما البدن فيغطى بدثار قطنى مضرب كاللحاف ، مع قليل من شعر الثور عليه على سبيل الرمز . ويقوم شابان بالرقص ممثلين دور الثور يتبعهم سائر العارضين فى هيئة الفلاحين حاملين المحاريث ، والفلاحات حاملات السلال . وتذهب المجموعة

الى كل بيت لتقول : " جاء ثور الربيع الى عتبة بيتك ، فلعل الجو يكون طيبا هذا العام بما يكفى للتبشير بحصاد جيد ! " وآنذاك يقدم رب البيت الى المجموعة السكر البنى وكعكات الارز الدبق اعرابا عن امتنانه لهم .

الاحتفال بأكل الارز الجديد :

هو الاحتفال التقليدى القديم لقومية مياو فى اليوم السادس من الشهر القمرى السادس من كل عام ، موسم نضج الارز المتوسط عندما يصبح المحصول قيد النظر . وفى ذلك اليوم تقتلع كل اسرة ثلاث نبتات من الارز بسنابلها من الحقل وتغسلها وتعرضها مع الارز للبخار لتقوم الاسرة بكاملها بتذوقها ، ويعرف ذلك بـ " اكل الارز الجديد " ويقال ان هذا الاحتفال يقام احياء لذكرى بطل عمل طوال حياته من اجل الخير العام . . واهل قومية مياو يرتدون فى ذلك اليوم ثياب العيد ، وينفخون " لوشنغ" ويغنون الاغانى ، ويشاركون فى سباق الخيل ومصارعة الطيور .

احتفال قارب التنين :

انه من احتفالات قومية مياو ، ويكون من الثالث والعشرين الى السابع والعشرين من الشهر القمرى الخامس . وفى بعض الاماكن فى اليوم الخامس من الشهر الخامس . والحدث الاساسى فى ذلك الاحتفال هو سباق زوارق التنين . ويتجمع عشرات الآلاف من الناس على ضفتى النهر ليشهدوا السباق .

عيد كوتشاتشا :

هو عيد سنوى لقومية هانى . وكلمة كوتشاتشا عند قومية هانى تعنى " فليكن هناك حصاد جيد ، وليتمتع الناس والحيوانات بصحة جيدة " . ويتفرع اهالى قومية هانى الى اعراق كثيرة يختلف وقت الاحتفال بهذا العيد فيما بينها . ولكنه يقع عموما فى منتصف الشهر القمرى السادس ، ويستمر ما بين ثلاثة ايام وخمسة ايام .

لقاء رقصة الازهار :

وهو احتفال لقومية بويى بين اليوم الاول من الشهر القمرى الاول واليوم الحادى والعشرين منه . وعادة ما يكون فى حقل معشب واسع مستو . ويتراوح عدد المشاركين فى اللقاء ما بين بضعة آلاف الى ما يزيد على عشرة آلاف . وبعد ان ينفض ذلك اللقاء ، يستعد الناس لحراثة الربيع .

عيد المصابيح :

فى دير تاير — المكان المقدس للبوذية فى محافظة هوانغتشونغ بمقاطعة تشينغهاى ، يجرى كل عام الاحتفال الكبير بعيد المصابيح فى اليوم الخامس عشر من الشهر القمرى الاول . ويؤمه الناس من المنطقة المحلية ومن بعيد بما فيهم تبتيون ومنغوليون واناس من قوميات تو وهان وهوى ، ويصلون عادة الى عشرات الآلاف . وخلال الاحتفال تزدان قاعات الدير بالمصابيح الملونة ، وتقام شعيرة دينية فى صورة رقص الساحر ، ويستمر الاحتفال عادة سبعة ايام .

يوم قطف الازهار :

وهو يوم تحتفل به قوميتا بنغلونغ وداى كل عام فى عيد تشينغ مينغ (يوم الصفاء والنقاء) . وفى ذلك اليوم يرتدى الجميع رجالا ونساء ، صغارا وكبارا ملابس العيد ، ويذهبون جميعا الى الجبال او الخمائل القريبة لقطف الازهار واهدائها الى الاصدقاء على سبيل المباركة .

احتفال الحصاد الجيد :

هو احتفال لقومية قاوشان فى مقاطعة تايوان . ويأتى فى يوم مختار بعد حصاد الخريف ويستمر من ثلاثة الى خمسة ايام . واكثر الرقصات شيوعا فيه رقصة تؤدى بالأيدى المتشابكة . وليس هناك حد معين لعدد الراقصين . . فقد يكونون ثلاثة او خمسة او عشرة او عشرين او حتى بضع مئات . . وتشمل الاغانى اغنيات عن الاسلاف والابطال القوميين واغانى عن الحصاد واغانى عن التضامن . وفى بعض الاحيان ترتجل كلمات الاغانى .

ملحق :

الفترات الشمسية الاربع والعشرون

الفترات الشمسية الاربع والعشرون هى جزء اساسى فى التقويم الزراعى (القمرى) الصينى . فقد استطاع اجدادنا عبر سنوات طويلة من الخبرة فى العمل الزراعى ان يضعوا ايديهم على القوانين التى تحكم التغيرات فى الفصول الاربعة والمناخ . فقسموا السنة كلها الى اربعة وعشرين جزءا ، تندرج تحت اربع وعشرين فترة شمسية للمساعدة فى تحديد التغيرات الموسمية ، وتقلبات الحرارة ، ومواسم الجفاف والمطر ، ودورات نمو المزروعات . وكانت نتيجة ذلك تلخيصا لخبرة الجماهير الصينية الكادحة فى ملاءمة العمل مع الفصول ، واسهاما فى تنمية الانتاج الزراعى فى الصين .

ولم يصل نظام الفترات الشمسية الاربع والعشرين الى ذروة اكتماله طفرة واحدة . فقد اشار «كتاب الوثائق التاريخية» فى اوائل عهد الربيع والخريف الى الانقلاب الصيفى باعتباره " رى يونغ " (النهار الدائم) والى الانقلاب الشتوى باعتباره " رى دوان " (النهار القصير) . اما «حوليات الربيع والخريف للمعلم ليوى» التى كتبت فى ختام عهد الممالك المتحاربة فقد اشارت بوضوح الى الفترات الشمسية الاربع : بدايات الربيع والصيف والخريف والشتاء . وفى تلك الايام كان الناس

يغرسون قضيبا فى الارض ، ويقيسون طول الظل الذى يصنعه تحت الشمس ليحددوا مواعيد الانقلابات الشمسية : فيوم الانقلاب الشتوى هو اليوم الذى يبلغ فيه الظل اقصى طول له ، ويوم الانقلاب الصيفى هو اليوم الذى يبلغ فيه الظل اقصر مدى له ، ويوما الاعتدالين الربيعى والخريفى هما اليومان اللذان يتوسط فيهما طول الظل بين اقصى واقصر مدى له . وهذه المواعيد الشمسية الثمانية (بدايات الفصول الاربعة مع الانقلابين والاعتدالين) تقسم السنة بالضبط الى ثمانى فترات متساوية فى الطول بصفة اساسية ، ومن ثم اصبحت تحدد مدة الفصول الاربعة ، وكان هذا ضروريا بصورة مطلقة لتطوير الانتاج الزراعى . وقد تحدث الفيلسوف الصينى القديم شيون تسى (٣١٣ - ٢٣٨ق . م تقريبا) ذات مرة عن الحراثة فى الربيع ، واقتلاع الاعشاب الضارة فى الصيف ، بالحصاد فى الخريف ، وتخزين الحبوب فى الشتاء . وبحلول عهد اسرتى تشين وهان منذ حوالى ٢١٠٠ سنة مضت كان قد تم تأسيس نظام تقسيم السنة الى اربع وعشرين فترة بصورة جيدة . وقد اورد كتاب « امير هواى نان » الذى كتبه ليو آن وآخرون فى عهد اسرة هان الغربية بدقة الفترات الشمسية الاربع والعشرين بالطريقة نفسها المعروفة بها فى يومنا هذا .

وعلى اساس دوران الفصول الاربعة متعاقبة فى نظام دائرى تعكس الفترات الاربع والعشرون دوران الارض حول الشمس . وهذه الفترات تنتمى بالكامل الى ذلك الجزء من التقويم الشمسى الذى تبناه التقويم الزراعى (القمرى) . ومن وجهة النظر الفلكية فان هذه الفترات تتحدد بوضع الشمس فى مسار البروج . وهذا المسار مقسم الى ٣٦٠ درجة ،

والنقطتان اللتان يتقاطع فيهما هذا المسار مع خط الاستواء هما نقطتا الاعتدال الربيعى والاعتدال الخريفى على التوالى . والاولى تقع عند نقطة الصفر اى خط الطول الاستوائى السماوى ، والثانية تقع عند درجة ١٨٠ . ومسار البروج كله مقسم الى ٢٤ قسما ، وكل منها يساوى ١٥ درجة ، والنقطة التى يلتقى عندها قسمان تحدد فترة شمسية . ولذلك فان كل فترة تقع بالنسبة للانسان فى يوم محدد من التقويم الغريغورى بخلاف لا يزيد عن يوم واحد فى السنوات المختلفة . ولكن هذه التواريخ على التقويم القمرى ليست منتظمة ، وقد يصل الاختلاف فيها فى السنوات المختلفة الى ايام كثيرة .

عرف الفلاحون فى المجريين الاوسط والادنى من النهر الاصفر الفترات الشمسية الاربع والعشرين اولا . ثم انتقلت منهم بالتدريج الى سائر انحاء البلاد . وتتحتم هنا الاشارة الى ان هذه الفترات اكثر ارتباطا بالمناخ والعمل الزراعى فى المناطق الوسطى والدنيا من ذلك النهر .

جدول بالفترات الشمسية الاربع والعشرين
طبقا لترتيبها ومواعيدها على التقويم الغريغورى

الفترة	موعدها فى التقويم الغريغورى	موعدها فى التقويم القمرى
لى تشون	٤ او ٥ فبراير	اوائل الشهر الاول
يوى شوى	١٩ او ٢٠ فبراير	منتصف الشهر الاول
جينغ تشه	٥ او ٦ مارس	اوائل الشهر الثانى
تشون فن	٢٠ او ٢١ مارس	منتضف الشهر الثانى
تشينغ مينغ	٤ او ٥ ابريل	اوائل الشهر الثالث
قو يوى	٢٠ او ٢١ ابريل	منتصف الشهر الثالث
لى شيا	٥ او ٦ مايو	اوائل الشهر الرابع
شياو مان	٢١ او ٢٢ مايو	منتصف الشهر الرابع
مانغ تشونغ	٥ او ٦ يونيو	اوائل الشهر الخامس
شيا تشى	٢١ او ٢٢ يونيو	منتصف الشهر الخامس
شياو شو	٧ او ٨ يوليو	اوائل الشهر السادس
دا شو	٢٣ او ٢٤ يوليو	منتصف الشهر السادس
لى تشيو	٧ او ٨ اغسطس	اوائل الشهر السابع
تشو شو	٢٣ او ٢٤ اغسطس	منتصف الشهر السابع
باى لو	٧ او ٨ سبتمبر	اوائل الشهر الثامن
تشيو فن	٢٣ او ٢٤ سبتمبر	منتصف الشهر الثامن
هان لو	٨ او ٩ اكتوبر	اوائل الشهر التاسع
شوانغ جيانغ	٢٣ او ٢٤ اكتوبر	منتصف الشهر التاسع
لى دونغ	٧ او ٨ نوفمبر	اوائل الشهر العاشر
شياو شيويه	٢٢ او ٢٣ نوفمبر	منتصف الشهر العاشر
دا شيويه	٧ او ٨ ديسمبر	اوائل الشهر الـ ١١
دونغ تشى	٢١ او ٢٢ ديسمبر	منتصف الشهر الـ ١١
شياو هان	٥ او ٦ يناير	اوائل الشهر الـ ١٢
دا هان	٢٠ او ٢١ يناير	منتصف الشهر الـ ١٢

لى تشون (بداية الربيع)

هى الفترة الشمسية الاولى فى التقويم الزراعى (القمرى) الصينى . واذا كان الجو معتدلا فى ذلك اليوم فذلك يبشر بمحصول جيد فى تلك السنة .

يوى شوى (بداية المطر)

يصبح الجو دفيئا بعد يوى شوى ، وعادة لا يسقط الثلج مرة اخرى . وفى معظم انحاء الصين يزيد تساقط المطر تدريجيا .

جينغ تشه (استيقاظ الحشرات)

فى ذلك الوقت يكون الجو دافئا نوعا ما ؛ واحيانا يكون هناك رعد صيفى ؛ وفى ذلك الوقت تخرج الحشرات التى كانت فى سبات شتوى من سباتها تحت الارض ، وتستأنف نشاطها . وفى معظم انحاء الصين يكون ذلك وقت الحراثة الربيعية . وثمة قول بين الزراع فى وسط الصين يقول : " بعد يوم جينغ تشه تستمر الحراثة الربيعية دون توقف" .

تشون فن (الاعتدال الربيعى)

" تشون فن يعنى تقسيما متساويا بين يانغ (الايجابى) وين (السلبى) ، ولذا يتساوى الليل والنهار فيه طولا ويصبح الجو لا باردا ولا حارا " — من « الندى الوفير من حوليات الربيع والخريف» التى كتبها دونغ تشونغ شو من عهد اسرة هان الغربية . وفى ذلك اليوم تكون اشعة

الشمس عمودية على خط الاستواء ، ويتساوى الليل والنهار تقريبا . وفى معظم انحاء الصين تبدأ المحصولات الشتوية فى النمو . وهناك قول مأثور لفلاحى وسط الصين : " يحين اوان نمو القمح فى يوم تشون فن ، ولا وقت هناك للضياع ، فلحظة قصيرة تساوى الف تايل من الذهب . "

تشينغ مينغ (يوم الصفاء والنقاء)

وفيه تبدأ درجات الحرارة فى الارتفاع ، ويبلغ متوسط درجات الحرارة فى المجريين الاوسط والادنى من النهر الاصفر ومناطق جنوب النهر الاصفر الى اكثر من ١٠ درجات . وفى معظم انحاء البلاد يصبح الجو دافئا ، وتبدأ الاشجار فى اطلاع براعمها ، وتختفى مشاهد الشتاء من كل مكان .

قو يوى (غيث الحبوب)

فى الازمنة القديمة كان قو يوى يعنى ضمنا ان "كل انواع الحبوب تنمو على المطر" . وحوالى وقت قو يوى يكون الجو عادة دافئا جدا ، وتكون هناك زيادة فى تساقط الامطار . وفى شمال الصين يكون هذا فصل عمل مكثف ، تزرع خلاله محصولات الربيع ، وتبدأ فى اخراج شطئها . وهناك قول سائر فى الشمال : " فى وقت قو يوى ضع بذور البطيخ ، وانثر بذور الفول فى الحقول . "

لى شيا (بداية الصيف)

فى ذلك الوقت ينهمك الناس فى العمل فى الحقول ، وتنمو

المحصولات سريعا . والقول السائر فى الريف هو " ينبغى ازالة الاعشاب الضارة من الحقول ثلاثة ايام تباعا بعد لى شيا " .

شياو مان (امتلاء السنابل) .

فى ذلك الوقت تمتلئ سنابل محصولات الصيف فى شمال الصين ، ويكون فى الجنوب اوان حصاد الصيف وبذار الصيف .

مانغ تشونغ (حسك السنابل)

ان كلمة مانغ فى الصينية تعنى المحاصيل التى لها حسك فى السنابل ، وتشونغ تعنى البذور : وطوال هذا الوقت من السنة يبدأ كل من القمح والشعير فى تنمية حسك سنابله ـ وفى المجريين الاوسط والادنى من نهر اليانغتسى يكون هذا موسم المطر . وفى الزراعة يواصل الناس انشغالهم بحصاد الصيف وبذار الصيف .

شيا تشي (الانقلاب الصيفى)

فى ذلك اليوم تكون اشعة الشمس عمودية تقريبا على مدار السرطان فى نصف الكرة الشمالى . ويكون النهار اطول ما يكون خلال العام . وتكون المحصولات السريعة النمو مهددة بالاعشاب والآفات التى تنتشر ايضا بسرعة . وينبغى تكثيف العناية بالحقول . وفى وسط الصين ينتشر القول التالى : " فى يوم الانقلاب الصيفى تغطى الاعشاب الضارة حقول القطن ، وتكون اخطر من حية سامة تلدغ انسانا " .

شياو شو (الحرارة الصغرى)

وتكون فى بداية ايام الشعرى القائظة الحر . وفى معظم اجزاء الصين يبلغ الجو اقصى حرارته على مدار العام . وفى الزراعة يصبح الناس مشغولين فى رعاية محصولات الصيف والخريف .

دا شو (الحرارة الكبرى)

وتكون فى منتصف ايام الشعرى : وفى اجزاء كثيرة من الصين يكون هذا اكثر المواسم حرارة ، وهو ايضا الموسم الذى تنمو فيه اكثر محصولات الجو الدافئ .

لى تشيو (بداية الخريف)

بعد لى تشيو تبدأ الحرارة فى الهبوط . ويبدأ الناس فى وسط الصين فى حصاد الارز المبكر ونقل شتلات الارز المتأخر .

تشو شو (حد الحرارة)

فى معظم اجزاء الصين تواصل درجات الحرارة انخفاضها .

باى لو (الندى الابيض)

فى معظم الاماكن فى الصين يأخذ الجو فى البرودة وتهبط الحرارة بشكل حاد . وفى الليل يتكثف البخار فى الجو الذى يبرد فجأة ، ويتخذ صورة قطيرات من الندى على فروع الاشجار والازهار .

تشيو فن (الاعتدال الخريفي)

"تشيو فن يعني تقسيما متساويا بين ين ويانغ ، ولذا يصبح الليل مرة اخرى مساويا للنهار ، ويصبح الجو لا حارا ولا باردا" من «الندى الوفير من حوليات الربيع والخريف» . ومثل الاعتدال الربيعي تكون اشعة الشمس في ذلك اليوم عمودية تقريبا على خط الاستواء ، ويكون النهار والليل متساويين تقريبا . وفي شمال الصين يبدأ في ذلك اليوم حصاد الخريف وبذار الخريف .

هان لو (الندى البارد)

في ذلك الوقت تصبح درجة الحرارة منخفضة ، وتصبح قطرات الندى باردة مثلجة . وفي معظم اجزاء الصين يبدأ حصاد الخريف وبذاره .

شوانغ جيانغ (نزول الصقيع)

وعندها يصبح الجو ابرد ، ويتكثف الضباب على اوراق الاشجار وفروعها او على الارض مكونا الصقيع . ويأتي للصقيع الى وادي النهر الاصفر في وقت يدور حول هذا اليوم : وفي الجنوب يكون ذلك موسم العمل من اجل حصاد الخريف وبذاره .

لي دونغ (بداية الشتاء)

وحينذاك يتجمد الماء في المجريين الاوسط والادنى من النهر الاصفر . وتبدأ اعمال البناء في مشروعات للري في البلاد .

شياو شيويه (الثلج الخفيف)

وفيه يبدأ تساقط الثلج فى حوض النهر الاصفر .

دا شيويه (الثلج الكثيف)

وفى ذلك الوقت يتكاثف الثلج الناعم الذى تذروه الرياح على سطح الارض فى وادى النهر الاصفر . وهناك عقيدة فلاحية تقول : " يدوم الثلج فى وقت دا شيويه ودونغ تشى ، وذلك هو وقت الانهماك فى ترتيب انتاج الاعمال الجانبية وجمع المزيد من السماد " .

دونغ تشى (الانقلاب الشتوى)

وفيه تكون الشمس عمودية تقريبا على مدار الجدى ، ويبلغ النهار اقصر مدى له على مدى العام فى نصف الكرة الشمالى ، وفى معظم اماكن الصين يتخذ اهل الريف ترتيباتهم لمقاومة عضة الصقيع ، والبدء فى جمع السماد والحراثة العميقة ، كما يتأكدون ايضا من ان حيواناتهم ستجتاز الشتاء بسلام .

شياو هان (البرد الخفيف)

" فى اوائل الشهر الثانى عشر تكون شدة البرودة خفيفة فى الجو . ولكن بعد منتصف الشهر يصبح الجو شديد البرودة . " وهذا هو اشد الاوقات برودة فى العام . وفى معظم انحاء الصين يكون شديد البرودة .

دا هان (البرد الشديد)

وهى الفترة الاخيرة من الفترات الشمسية الاربع والعشرين وحينذاك تواجه معظم اجزاء البلاد اشد الايام برودة فى العام .

الجذوع السماوية العشرة والفروع الارضية الاثنى عشر

لا تحسب السنوات فى التقويم الزراعى الصينى بأعدادها بل بطريقة الجمع بين " الجذوع والفروع " (قان تشى) — وهذه الطريقة دارجة فى الاستعمال فى الصين منذ اكثر من ألفى عام . وهى اختراع كبير فى نظام التقويم الصينى القديم .

و" قان " او الجذوع تعرف ايضا باسم (تيان قان) او الجذوع السماوية . واسماؤها بالمقاطع الصينية حسب ترتيبها هى : جيا ، يى ، بينغ ، دينغ ، وو ، جى ، قنغ ، شين ، رن ، قوى .

اما " تشى" او الفروع ، وتعرف ايضا باسم (دى تشى) او الفروع الارضية ، فتمثلها المقاطع الصينية الآتية حسب ترتيبها : تسى ، تشو ، ين ، مو ، تشن ، سى ، وو ، وى ، شن ، يو ، شيوى ، هاى . ويقضى حساب السنوات بنظام الجذوع والفروع بربط كل مقطع من المقاطع الدالة على الجذوع بكل مقطع من المقاطع الاثنى عشر الممثلة للفروع الارضية . وذلك يكون لدينا ٦٠ اسما تعرف باسم " جيا تسى" او " هوا جيا " . وطبقا لهذه الارتباطات بين نظامى

هذه المقاطع يكون العام الاول من الدورة الستينية للسنوات " جيا تسى "
عبارة عن كلمة تجمع المقطع الاول من سلسلة الجذوع السماوية
مع المقطع الاول من سلسلة الفروع الارضية اى جيا تسى ، والسنة
الثانية تكون يى تشو ، والسنة الثالثة تكون بينغ ين . وهكذا فان الاحداث
التاريخية فى الصين الحديثة يشار اليها بهذه الطريقة . وعلى سبيل المثال
يشار الى الحرب الصينية اليابانية لعام ١٨٩٤ بأنها حرب جياوو ، ولحركة
الاصلاح عام ١٨٩٨ بأنها حركة الاصلاح لعام ووشيوى ولثورة ١٩١١
بأنها ثورة عام شينهاى .

الحيوانات الاثنى عشر الدالة على سنوات ميلاد الناس

زاوج قدماء المنجمين فى الصين اثنى عشر حيوانا مع الفروع
الارضية الاثنى عشر . وهكذا فان تسى هى سنة الفأر ، وتشو هى سنة
الثور ، وين هى سنة النمر ، ومو هى سنة الارنب ،
وتشن هى سنة التنين وسى هى سنة الثعبان ، ووو هى سنة الحصان ،
ووى هى سنة الخروف ، وشن هى سنة القرد ، ويو هى سنة الديك ،
وشيوى هى سنة الكلب ، وهاى هى سنة الخنزير . وهكذا فان عام
١٩٨٤ عام جياتسى فى التقويم القمرى يسمى عام الفأر ، وعام ١٩٨٥
عام ييتشو هو عام الثور . ويقال ان الشخص الذى يولد فى عام خاص
بأحد الحيوانات يكون تحت علامة هذا الحيوان ، فاذا ولد شخص

فى عام تسى فسوف يكون تحت علامة الفأر واذا ولد شخص فى عام تشو فسوف يكون تحت علامة الثور ، ويسمى هذا النظام بالحيوانات الاثنى عشر ، او العلامات الاثنتى عشرة .

الايام التذكارية فى الصين الحديثة

١ يناير	عيد رأس السنة — اجازة رسمية ليوم واحد .
٨ مارس	عيد المرأة العالمى (١٩١٠ — اليوم الدولى للنساء العاملات) — اجازة للنساء .
١ مايو	عيد العمال العالمى (١٨٨٩ — يوم العمل الدولى) — اجازة رسمية ليوم واحد .
٤ مايو	عيد الشبيبة الصينية (١٩١١)
١ يونيو	عيد الطفل للعالمى (١٩٤٩ — اليوم الدولى للاطفال) — اجازة للاطفال .
١ يوليو	ذكرى تأسيس الحزب الشيوعى الصينى (١٩٢١)
١ اغسطس	يوم تأسيس جيش التحرير الشعبى الصينى (١٩٢٧)
١ اكتوبر	ذكرى تأسيس جمهورية الصين الشعبية (١٩٤٩) — اجازة رسمية ليومين

تواريخ عهود الحكم والاسر الحاكمة فى الصين

شيا		القرن الـ ٢١ – القرن الـ ١٦ ق . م (تقريبى)
شانغ		القرن الـ ١٦ – القرن الـ ١١ ق . م (تقريبى)
تشو الغربية		القرن الـ ١١ – ٧٧٠ ق . م (تقريبى)
تشو الشرقية	عهد الربيع والخريف	٧٧٠ – ٤٧٦ ق . م
	عهد الممالك المتحاربة	٤٧٥ – ٢٢١ ق . م
تشين		٢٢١ – ٢٠٧ ق . م
هان الغربية		٢٠٦ ق . م – ٢٤ م
هان الشرقية		٢٥ – ٢٢٠ م
الممالك الثلاث (وى ، شو ، وو)		٢٢٠ – ٢٦٥ م
جين الغربية		٢٦٥ – ٣١٦ م
جين الشرقية		٣١٧ – ٤٢٠ م
الاسر الجنوبية والشمالية		٤٢٠ – ٥٨٩ م
سوى		٥٨١ – ٦١٨ م
تانغ		٦١٨ – ٩٠٧ م
الاسر الخمس والممالك العشر		٩٠٧ – ٩٦٠ م
سونغ الشمالية والجنوبية		٩٦٠ – ١٢٧٩ م
لياو		٩١٦ – ١١٢٥ م
جين		١١١٥ – ١٢٣٤ م
يوان		١٢٧١ – ١٣٦٨ م
مينغ		١٣٦٨ – ١٦٤٤ م
تشينغ		١٦٤٤ – ١٩١١ م

مطبعة اللغات الاجنبية بكين
توزيع
الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب
٢١ شارع تشه قونغ تشوانغ الغربى ، بكين ، الصين
ص . ب ٣٩٩ بكين — الصين
للرمز البريدى ١٠٠٠٤٤

中国传统节日民俗
齐星编著
*
外文出版社出版
（中国北京百万庄路24号）
邮政编码100037
外文印刷厂印刷
中国国际图书贸易总公司发行
（中国北京车公庄西路21号）
北京邮政信箱第399号 邮政编码100044
1990年（34开）第一版
（阿）
ISBN7－119－00887－0/K·57(外)
00445
11－A－1980P

العادات الشعبية فى الاعياد الصينية

الصين متعددة القوميات ، ولكل قومية عاداتها الخاصة بأعيادها التقليدية ، فلأبناء قومية هان رقصة الاسد فى عيد الربيع وتجديف القوارب فى عيد قارب التنين والاستمتاع بضوء القمر فى عيد منتصف الخريف وتسلق الجبال فى التاسع المزدوج. وفى الاحتفال بأعياد الاقليات القومية الاخرى يجرى مثلا الغناء الحوارى والتراشق بالماء واختطاف الاغنام وسباق الخيل والمصارعة ومطاردة الفتيات للفتيان . . الخ. وهذه الاعياد تعود من حيث منشئها الى قصة تتغنى بمآثر شخصية تاريخية او تصف اسطورة ممتعة او ترجو حصادا وافرا وسعادة دائمة. ونحن فى دراسة هذه الاعياد التقليدية نفتح نافذة التاريخ على الثقافة العريقة لأمتنا الصينية وعلى قيمها وعاداتها.

ان هذا الكتاب يتتبع بطريقة منتظمة اهم الاعياد التقليدية فى الصين ، ويقدم تحليلا دقيقا لتطور هذه الاعياد ، ويصف العادات الممتعة المتبعة [illegible] المناسبات.

دار النشر باللغات الاجنبية بكين



ISBN 7-119-00887-0
11-A-1980P